

# تربيع المراتب والأصول

## نتاج أفكار الفحول من أرباب الوصول


مخطوط نادر لقطب زمانه

**الشيخ إبراهيم البشنوي**

يقدمه إلى الأمة الإسلامية العصرية

**فضيلة الدكتور. حسن عباس زكي**

تحقيق

**خديجة النبراوي**




# تربيع المراتب والأصول

نتاج أفكار الفحول من أرباب الأصول

مخطوط نادر لقطب زمانه

**الشيخ إبراهيم البثنوى**

يقدمه للأمة الإسلامية العصرية

**فضيلة الدكتور حسن عباس زكى**

تحقيق

**خديجة النبراوى**

**مركز الكتاب للنشر**

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

رقم الإيداع: ٧٩٣٥/ ٢٠٠٠
الترقيم الدولي: 9-189-294-977

يطلب من مركز الكتاب للنشر

---

مصر الجديدة ٢١ شارع الخليفة المأمون - القاهرة
ت: ٢٩٠٨٢٠٣ - ٢٩٠٦٢٥٠ - فاكس: ٢٩٠٦٣٥٠
مدينة نصر ٧١ شارع ابن النفيس - المدينة السادسة ت: ٢٧٢٣٣٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾

[الحجر: ٢١]

صدق الله العظيم .. وصدق رسوله الأمين ﷺ الذى بلغ عن رب العزة مراد الحق من الخلق، ففاضت قلوب بقدرها وأنوارها، فترجمت الأقلام تلك الفيوضات الربانية كلمات نورانية، يفوح أريجها عبر العصور والأزمان تبوح بقبس من أسرار عظمة الواحد الديّان.

**خديجة النبراوى**

## تعريف وتقدير
## لأستاذنا القدير: فضيلة الدكتور حسن عباس زكى

يهمنا قبل أن نشرع فى التعرف على محتويات الكتاب، أن نتعرف على صاحب الفضل فى تعريفنا بذلك المخطوط القيِّم؛ لأن الدال على الخير كفاعله... ومما لا شك فيه أن هذا التعريف أمر عسير فمن الصعوبة بمكان التحدث عن إنسان تعلق قلبه بعرش الرحمن، وحلقت روحه مع خير الأنام، وسبح فى عالم من الأنوار، حيث السكينة والاطمئنان.

حقًا! إن من يحاول التعرف على ذلك الولى التقى، العالم المؤمن العارف بالله، أستاذنا فضيلة الدكتور حسن عباس زكى، يكون كمن ارتفع إلى سماء علياء، وحاول أن يصف ما بها من مجرات، فيجد نفسه تائهًا فى مسافات شاسعة، وأحجام هائلة، فيرتد إليه البصر وهو حسير؛ لأنه إنسان اجتمع فيه من الكمالات ما يعجز القلم عن تسجيله. وكيف يمكن لقلم عاجز أن يقتحم تلك الأسرار العالية التى يفيض بها المولى عزَّ وجلَّ على أوليائه، الذين عرفوه حق المعرفة، فحباهم من لدنه فضلاً كبيرًا، وعطاءً عظيمًا.

فإذا حاولنا تعريف أستاذنا الفاضل د. حسن عباس زكى فى كلمات موجزات تعتبر مؤشرات على كنوز ذلك العطاء الربانى... فإننا نقول:

- إنه **الولى التقى** الذى سعى سعيًا حثيثًا لمعرفة ربه، فأدخله الله فى رحاب قربه، وسقاه من بحار حبه، وأنار قلبه بنور قدسه، فأصبح يدعو

إلى الله على بصيرة نورانية، تنبع من الأنوار الإلهية... فلم يعد مثل هؤلاء الناس الذين يحسبون أنهم جرم صغير، رغم أن فيهم انطوى العالم الأكبر، بل هو يعلم علم اليقين أن الله جل شأنه قد أودع فيه أسرارا وقدرات وطاقات لا متناهية ... ولذلك فهو يتعامل فى الحياة من منطلق تلك القوة الربانية. ويوقن بدوره السامى المتمثل فى الخلافة الإلهية، ويصدق عليه قول القائل: «واثق الخطوة يمشى ملكًا»... فهو وإن لم يكن ملكًا متوجًا على العروش الدنيوية، فهو ملك متوج على عروش القلوب الإيمانية، التى هى مرآة لانعكاس التجليات النورانية.

• وهو **المسلم المؤمن** الذى ورث فى عصره وزمانه القسط الأوفى من الوراثة المحمدية، فصار فريدًا فى تواضعه لله، فريدًا فى عزة نفسه ورفعة أخلاقه، فريدًا فى استيعابه للعلوم فى شتى المعارف والميادين، فريدًا فى إرادته وتنظيمه لكل أمور الحياة، فريدًا فى التمكين فى الأرض واستنباط أسرارها... وكل هذا يتم فى إطار من البساطة المتسامية، التى لا توحى بما تحتها من أمواج وكنوز هائلة، تحويها نفسه الطاهرة، وروحه التى تنطلق فى آفاقها، وجسده معنا يتجاوب مع استفساراتنا وكأنه يعايش مشكلاتنا.. وتلك هى العظمة فى أسمى صورها.

• وهو **المضياف الكريم** الذى يعرف للضيافة حقها، ويقدرها حق قدرها.. فمن جاءه يريد الدنيا ويسعى لها سعيها، فهو يهيئ له من أسبابها مما أفاض الله به عليه، حتى تقر عين الضيف، ويظن أنه الوحيد المقرب لدى صاحب الدار، نظرًا لما أحاطه به من حفاوة وترحيب وتكريم، يتساوى فى ذلك الغنى والفقير، وصاحب المقام البسيط أو الرفيع.

أما من أراد الآخرة، وسعى لها سعيها، ووجد أستاذنا الفاضل، بفراسته النيِّرة، أنه يصلح لسلوك الطريق إلى معرفة المولى عز وجل، ويمكنه أن يرتشف من مشارب القوم، فإنه يأخذ بيده بكل الرفق

والحنان، بما أفاض الله سبحانه وتعالى عليه من أنوار، ويعرج به على طريق معرفة الرحمن، مرشدًا إياه إلى عثرات ومزالق الطريق، ومحذرًا له من الأهواء والشهوات ووساوس الشيطان، وذلك حتى يستنشق عبير الروح والريحان، ويستشعر القرب من الحنَّان المنَّان.

وهكذا بفضل من الله وحمده، يجد كل من قصده: مراده ومبتغاه، وكلٌ فى الهوى قد غنى بليلاه.

● وهو **الشيخ المربى** بحق، حيث وهبه الله فراسة تستنير بنور الحق جلَّ جلاله، فيعرف بعمق الأبعاد الروحية للشخصية التى أمامه، ويعرف الأبعاد والعوائق التى تعترضها وتردها عن السبيل القويم.. لذلك تختلف تربيته لمريدى الطريق حسب الشخصية الإنسانية التى يعالجها، فكلماته رغم بساطتها الظاهرية لها وقع كوقع السهام، بل أشد وطأة؛ لأن السهام تصيب أبعاد الجسد أما كلماته فتصيب أعمق أعماق القلب والروح، فتعتبر كمشرط الجراح الذى يجتث موضع الداء، ويقتلعه من مكامنه.

وكذلك نظراته... فهى لا تقل فى تأثيرها عن كلماته، بل قد تكون أسرع نفاذًا فى مفعولها من الكلمات، حيث يكون لها مجالها فى التربية الروحية، فلا تكتمل إلا بها. فهى نظرات تحمل أشعة نورانية، تشبه أشعة الليزر فى إجراء العمليات الجراحية... وهو بهذه المواهب الربانية التى وهبها الله إياه، يجمع بين أصول التربية الحقة، وهى الترغيب والترهيب.. فأحيانا يشعر المريد كأنه قاب قوسين أو أدنى من قلبه، وأحيانًا أخرى يشعر بالرهبة المشددة التى تجعله كالنملة التى تتدحرج على سفح قمة هذا الشيخ العملاق، وفى كلتا الحالتين فالمريد معلق القلب بشيخه لأنه يستحق عن جدارة كل حب واحترام، حيث يغدق على مريديه كل الحدب والرعاية، النابعة من رحمة المصطفى صلوات ربى وسلامه عليه وحنانه وشفقته على أمته.

• وهو **العارف بالله** الذى يحوى من الأسرار، ما يجعل المرء يقف مشدوها أمام عظمة الواحد القهار، وما يفيض به على أوليائه من أنوار، تبهر أصحاب القلوب المؤمنة والبصائر النيّرة، فهو خبير بمدارج طريق المعية مع الله، وهو الذى علّمنا كيف تكون معارج القلوب، فمن ذاق عرف، وفاقد الشيء لا يعطيه «وكل إناء ينضح بما فيه» كما يقولون، ووعاء قلب أستاذنا العارف بالله د. حسن عباس زكى قد عمر بأنوار اليقين، فأصبح إمامًا للمتقين، فهو قد عرج بروحه معراج النبى الأمين، حتى حظى بالقرب من رب العالمين، ثم عاد بعدما حقق مبتغاه، ليأخذ بيد السالكين، ويرشد الحائرين، إرشاد عارف خبير، عرف دروب القلوب، وأهواء النفوس، ومعارج العارفين الواصلين فتمرس على كيفية تجنب تلاميذه مخاطر الطريق، ليرشدهم إلى نور اليقين وصحبة الرسول الحبيب، خاتم الأنبياء وسيد المرسلين.

• وهو **الأستاذ المؤدب**: الذى تعلمنا فى صحبته أسمى أنواع الأدب، استرشادًا بسلوكياته وأخلاقه الرفيعة مع الجميع، ومهما كتب البعض عن آداب المريد مع شيخه، فسوف تظل صحبة الأولياء تكتنفها المصاعب والأخطار؛ لأن تلك الصحبة فوق مقدورنا فى توفيتها حقها من الأدب والتبجيل، ولولا ما أودعه الله فى قلب أستاذنا الفاضل من رحمة وشفقة سيدنا محمد ﷺ، لكنا فى عداد الهالكين، حيث أحيانًا نتخطى حدود الأدب المفروض ألا نتجاوزها نتيجة تواضع أستاذنا الجم، وبساطته معنا، حتى نظن أنه واحد منا، ولكن سرعان ما نفيق على سياط الأدب الإلهية، التى تعرفنا آداب صحبة الأولياء والتى نتخطاها نتيجة الطباع البشرية التى تطغى علينا نتيجة الألفة والشفقة التى يغمرنا بها أستاذنا الولى التقى، الذى يعلمنا أشرف العلوم وأرفعها قدرًا ومقامًا، وعندما نفيق نعرف جيدًا الفرق بين مقامنا ومقام ولينا فنلزم بقدر الجهد حدودنا، ولكن سرعان ما تطغى علينا طباعنا، وهكذا يظل جهادنا على

طريق معراجنا، الذى يستلزم الأدب مع أستاذنا، حتى نتعلم الأدب مع ربنا.

● وهو **العالم المسلم** الذى أفنى عمره فى طلب العلوم من جميع مصادرها (اللدنية منها والدنيوية) وعمره هذا لا يقاس بالسنوات مثلنا، بل بالساعات والدقائق؛ لأن كل دقيقة من حياته المباركة لها قيمتها، ولها فاعليتها في الأداء والتحصيل والاستيعاب، من أجل هذا استحق أن يكون عالمًا جديرًا بعلمه، ووليًا ينال من الحظوة الإلهية والأنوار المحمدية، ما تتقطع له أكباد المؤمنين شوقًا إلى تلك الفيوضات الربانية، والنعم والعطاءات العلوية، فإذا تكلم فهو جدير أن ينصت الجميع إليه، وإذا تنازعت الآراء فى قضية ما، فعنده القول الفصل، فهو الخبير الذى لا يُبارى فى ميدان العلوم، وله السبق إذا تنافس المتنافسون.

● وهو **الباحث عن كنوز الحقيقة** الذى أظهر لنا علم كثير من الأولياء والعلماء، الذين كان يمكن أن تندثر علومهم، ونحرم من بركاتهم ومددهم، لولا جهود أستاذنا العالم الفاضل د. حسن عباس زكى فى السعى الدءوب بحثًا عن تلك العلوم ونشرها مهما كلفه ذلك من جهد ومال، ولذلك فقد منَّ الله عليه بجنس عمله، انطلاقًا من دستور القرآن العظيم: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

فنشر له بعضًا من فيض علمه فى كتب عديدة حازت إعجاب كل من قرأها، واستوعب علومهما، رغم أنه لم يسع إلى ذلك إطلاقًا؛ لأنه لا يحب الظهور، ولكنها العدالة الإلهية التى لا تنقص الناس أجورهم، ولا تحبط أعمالهم، بل تضاعفها لهم، وتزيد من بركاتها، عطاءً مغداقًا يليق بملك الملوك الكريم المتعال.

● وهو **موسوعة العلوم** التى تفيض بكل علوم العصر المتطورة، فهو خبير اقتصادى تفوق خبرته كل خبراء عصره، وهو الإدارى الجدير

الكفء، فيكفى أن يحمل أى مشروع اسمه لكى يحقق النجاح المنشود، وهو ذو باع طويل فى ميدان الطب البديل والفلك والفيزياء والروحانيات، وهو قبل هذا وذاك الولى الخبير بمدارج النفوس البشرية، ومعارج القلوب النورانية.

ولذلك فهو باختصار: الفارس الهمام فى كل ميدان، الذى آتاه الله من كنوز العلوم ما ينوء بحمله أولى العصبة من الرجال.

وهذا الكتاب الذى بين أيدينا هو غيض من فيض مما أثرى به عالمنا الجليل المكتبة الإسلامية المعاصرة، حيث بذل المال والجهد والعمر كله فى جمع مخطوطات المفكرين المسلمين الصالحين الذين كان لهم اليد الطولى فى إعلاء صرح الدين وتذكير أولى البصائر برب العالمين والهدف من بعثة خاتم المرسلين، وصاحب هذا المخطوط هو الشيخ إبراهيم البثنوى عالم جليل من تركيا، كتبه منذ حوالى مائتى عام.

وأستاذنا الفاضل د. حسن عباس زكى يعتبر من المجاهدين العظام فى جمع علوم الدين، حيث لم يبخل بالغالى والنفيس فى هذا المجال يدفعه إلى ذلك يقينه العميق بأن العلم النافع هو أساس رقى المسلمين؛ لأنه يكشف الغطاء عن عظمة هذا الدين وكنوز القرآن العظيم الذى أكرمنا به الله على يد نبينا الأمين، فكل علم يصدر عن أولياء الله الصالحين المتقين يعتبر شعاع من نور يبدد ظلمات السائرين، ويخرجهم من ظلمات الجاهلية بأصول الدين إلى نور اليقين، مما يرفع شأن الإسلام والمسلمين.

وهذا الكتاب ينطق بالحق على جهاد شيخنا وأستاذنا فضيلة الدكتور حسن عباس زكى فى الميدان العلمى، الذى هو أشرف الميادين وأقدسها، فالعلم كالدر المنثور، والسر المكنون، الذى لا يقدره حق قدره إلا أهله، فكل كلمة من كلمات ذلك المخطوط النادر تنفذ إلى أعمق أعماق الروح، فتبعث فيها الحياة السرمدية بسر الأنوار الإلهية

وتجعلنا نسجد لله شكرًا على ما أودعه في صدور أوليائه من أسرار، تقربنا من جنان الرضوان ونستنشق بها عبير الملكوت الأعلى والفردوس المرتقب، ونتفهم بها كثيرًا من الرسالة القرآنية الأزلية الموجهة إلينا.

كما أن كلمات الكتاب تحمل رنين الأجراس الذى يوقظ أرواحنا وعقولنا من سباتها، لنعرف عظم الأمانة التى نحملها، وقدسية الأسرار التى يحملها القرآن، فنردد بلسان الحال والمقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، ونقول: حاشا لله ما خلقتنا عبثا، فكل كلمة فى كتابك المقروء وكتابك المنظور تنطق بعظمة ألوهيتك، وما حرمتنا الرسل الذين بلغونا رسالتك، واصطفيتنا بخير رسلك وأنبيائك حبيبك المصطفى ﷺ، ثم أتبعته بأوليائك الصالحين المتقين السائرين على درب النبى الأمين، فحملوا مشعل الدين، ليضئ الطريق للسالكين إلى رب العالمين، ويبدد ظلمات الحيارى والتائهين، فكانت كلماتهم نورًا متجددًا يجمع بين المؤمنين وربهم حتى لا تنفصم عرى إيمانهم.

فاللهم لا تحرمنا أجرهم ومددهم، وبارك لنا فى عمر عالمنا الجليل د. حسن عباس زكى، ووفقنا إلى استيعاب نصحه والسير على دربه حتى لا نحرم مدده، واللهم وفقه إلى مزيد من خدمة علوم الدين حتى ترفعه بفضلك وكرمك إلى أعلى عليين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على البشير النذير، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وكل من اهتدى بهديه واتبع سنته بإحسان إلى يوم الدين.

آمين .... آمين .... آمين.....

**خديجة النبراوى**

* * *



# تقديم من محققة الكتاب

## نظرة عامة على المخطوط

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، سبحانك يا من قلت وقولك الحق: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

حقًا يا إلهى! إن القلب ليخشع، وإن القلم ليعجز عن تسطير عظمة ما تودعه فى صدور أوليائك من أسرار كلماتك، ومهما طال بنا العمر فى طواف حول محراب العلم، ومهما اطلعنا على ما سطره العلماء العاملون، المخلصون المتقون، فسوف يظل دومًا هناك الجديد من كلمات الله التى تنفذ إلى أعمق أعماق الروح فتشع بأنوارها على العقل، فيشعر بالعجز المطلق أمام عظمة القهار، ومراده من العباد، وتردد الألسن، والعقل ما زال فى تيه الأنوار:

سبحانك ما عرفناك حق معرفتك، سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، وكيف لا! وقد عشت ما عشت، وطوّفت ما طوّفت بين كلمات الأولياء المحبين، لعلىّ أجد ما يطفئ ظمأ شوقى نحو محاولة التعرف على مراد الحق من الخلق، وفى كل مرة أجد الجديد الذى يهز كيانى من الأعماق وأشعر معه بجهالتى وضآلتى، وعجزى التام أمام أنوار الدَّيان، ومغزى كلماته للأنام، التى حملها إلينا خاتم المرسلين والأنبياء، فى إشعاعات نورانية، تضمنتها المعجزة القرآنية.

### أهمية المخطوط:

إن المخطوط الذى بين أيدينا جدير فى فكرته ومغزاه ومرماه، ولا يقدر عليه إلا عالم خبير، جال ما شاء الله له التجوال فى رياض العلوم،

وامتص رحيق بواطن الأمور، وأخرجه لنا عسلا شهيًا فيه شـفاء لما فـى الصدور.

**فكلمة أسرار التربيع:** تعنى أنه حاول جاهدًا أن يستجمع من الآيات القرآنية، والأحاديث النبويـة، والمظـاهر الكونيـة، والشـرائع التعبديـة مـا يحتـوى علـى أربعـة أحـرف، أو أربـع كلمـات، أو أربعـة معـان. وهـذا بلاشك علاوة على أنه جهد كبير، فهو يحتاج إلى فهم عالم قدير، له قدم راسخة فى علوم القرآن والشريعة الغراء، والسنة المحمدية، والعلوم اللدنية سواء المسجلة منها فى كتب الصوفية أو تشع بها القلوب النورانية.

ومن هنا تنبع أهمية المخطوط، فـهو نتـاج فكـر جديـد، يعتبر بلـورة لجهد كبير بذله الشـيخ إبراهيـم البثنـوى، رضـى الله عنـه وأرضـاه، فـى تحصيل المعرفة فى معراجه على طريق الحب الإلهى والنور الربَّانى الـذى تفيض به قلوب العارفين الواصلين، فتترجمه لنـا كلمـات نورانيـة تشـوق القلوب التقية إلى نفحات المعرفة الإلهية.

**إجمال قبل التفصيل:**

ونعرض هنا باختصار ما سوف يعـرض بتفصيـل مـن أسـرار الـتربيع، لعل هذا الموجز يلقى بعض الضوء لمن يريد إطلالة سـريعة علـى الكتـاب فتشوقه إلى مزيد من التأنى فى اسـتيعاب مـا فيـه مـن كنـوز المعلومـات. ويهمنا بادئ ذى بدء أن نجيب على ذلـك السـؤال الـذى قـد يثـور فـى أذهان الكثيرين وهو:

**لماذا اهتم هذا الشيخ الجليل بأسرار التربيع؟.**

وللرد على هذا السؤال: نقتبس الإجابة من كلمات الشيخ نفسها وما ورد من معلومات خلال رحلتنا مع هذا المخطوط المبارك، فنقول:

**إن أصل خلقة الإنسان تقوم على أربعة أركان:**

التراب، والماء، والنار، والهواء.

**والأركان الأصلية للإنسان أربعة:**

الجسد، القلب، الروح، النفس.

**والمراتب المعنوية أربع:**

جسمانى، قلبى، روحانى، نفسانى.

**والنفوس التى جبل عليها الإنسان أربع:**

- نفس نامية، وتسمى النفس النباتية.
- نفس أمارة، وتسمى الروح الحيوانى.
- نفس شيطانية، وتسمى الروح الطبيعى.
- نفس ملائكية، وتسمى الروح الإنسانى.

**وقوام الجسم بأربعة:**

المرة السوداء، والمرة الصفراء، والدم، والبلغم.

حيث: مسكن اليبوسة فى المرة السوداء: التراب.

مسكن الرطوبة فى المرة الصفراء: الماء.

مسكن الحرارة فى الدم: النار.

مسكن البرودة فى البلغم: الهواء (الروح).

والناس تبعًا لهذا أربعة أصناف: سوداوى - صفراوى - دموى - بلغمى.

**الطيور الأربعة التى أمر الله تعالى خليله بذبحها:**

تمثل الصفات التى جبلت عليها النفس البشرية وهى:

الطاووس: يمثل العجب.

الغراب: يمثل الحرص.

الديك: يمثل الشهوة.

الحمامة: تمثل حب الدنيا.

**وأنواع الغيب أربعة:**

١- علم الله تعالى، المسمى بالعناية الأولى.

٢- غيب عالم الأرواح.

٣- عالم التعينات.

٤- عالم الخيال.

**والعوالم المتعينة من العلماء أربعة:**

١- عالم المثال المطلق.

٢- عالم التهيم.

٣- عالم القلم والروح.

٤- عالم الطبيعة.

**ولذلك فمنازل السلوك أربعة:**

١- معرفة النفس.

٢- معرفة الأخلاق.

٣- معرفة الدنيا.

٤- معرفة الآخرة.

**أوتاد العالم أربعة رجال:**

منازلهم على منازل الأربعة الأصلية (الظاهرة والباطنة).

شرقًا، وغربًا، وجنوبًا، وشمالاً.

**الأبدال من الرجال أربعون:**

والأربعون على أكمل الأعداد من التربيع، حيث تجمع مراتب الأعداد: فهى أربعة أضعاف للرقم عشرة، والعشرة هى جمع: واحد + اثنين + ثلاثة + أربعة.

**ونتيجة هذا التربيع فى أصل التكوين:**

فقد حفلت الشريعة الإسلامية بالكثير من الأسرار التربيعية، لتهذيب النفس الإنسانية، وتهيئتها لمراحل العروج الإيمانية، ونعرض هنا نماذج سريعة لما حفل به المخطوط من تلك الأسرار:

**من أنواع التربيع فى الأسماء والكلمات:**

- اسم الجلالة «الله»: أربعة أحرف، وكذلك: «محمد» ﷺ.
- بسم الله الرحمن الرحيم «أربعة كلمات».

ومثلها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وكلمة التوحيد ﴿**لا إله إلا الله**﴾.

- الأشهر الحرم: أربعة.
- الكعبة: أربعة أوجه وأربعة أركان.
- أيام التشريق أربعة، وهى المقصودة بقوله تعالى: ﴿۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

**من نماذج التربيع فى آيات القرآن الكريم:**

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [البقرة: ٥١].

﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: ٢٧٤].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ﴾ [مريم: ٥٨].

﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠].

﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة: ٢].

﴿لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ۚ﴾ [النور: ١٣].

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

[الأنعام: ١٦٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾ [الحج: ٧٧].

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٥].

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧].

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣].

**من نماذج التربيع فى أقوال المصطفى الأمين والتابعين:**

- أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: «إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر».

- أربع حق على الله تعالى عونهم: الغازى، والمتزوج، والمكاتب، والحاج.

- أربع دعوات لا ترد: دعوة الحاج حتى يرجع، ودعوة الغازى حتى يصدر ودعوة المريض حتى يبرأ، ودعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب.

- أربع من كن فيه نشر الله عليه رحمته، وأدخله جنته: من آوى مسكينًا، ورحم الصغير، ورفق بالمملوك، وأنفق على الوالدين.

- أربع من أعطيهن فقد أعطى خير الدنيا والآخرة: لسان ذاكر، وقلب شاكر، وبدن على البلاء صابر، وزوجة لا تبغيه فى نفسها ولا فى مال زوجها.

- أربع أنزلت من كنز العرش: أم الكتاب، وآية الكرسى، وخواتيم البقرة، والكوثر.

- أربع حق على الله تعالى أن لا يدخلهم الجنة، ولا يذيقهم نعيمها: مدمن خمر، وآكل الربا، وأكل مال اليتيم بغير حق، والعاق لوالديه.

- أربعة من كنز الجنة: إخفاء الصدقة، وكتمان المصيبة، وصلة الرحم، وقول: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

- أربعة تزيد فى العقل: ترك الفضول من الكلام، والسواك، ومجالسة العلماء، ومجالسة الصالحين.

- أصول الدين أربعة: الكتاب، والسنة، والقياس، وإجماع الأمة والعزيمة بها.

– العبادات أربع: فرض، وواجب، وسنة، ونفل.

– مراتب العلم أربع: معنوية، روحانية، صورية مثالية، مركبة مادية.

– من أعطى أربعة لم يمنع أربعة: من أعطى الشكر لم يمنع المزيد، ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول، ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخير، ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب.

**من أسرار التربيع فى العبادات:**

– **أركان الصلاة أربعة:** القيام، الركوع، السجود، التشهد.

– **(شروط) اكتمال الصلاة أربعة:** حضور بالنفس، خضوع بالأركان، (الجسد)، شهود بالقلب، خشوع بالروح.

– **غراس الجنة أربعة:** سبحان الله، الحمد لله، لا إله إلا الله، الله أكبر.

– **فرائض العمرة أربع:** الإحرام، الطواف، السعى، الحلق.

**مراتب أرباب الإحرام أربع:** المفرد بالحج، القارن بينهما، المفرد بالعمرة، المتمتع.

– **أركان الكعبة أربعة:**

الحجر الأسود: ركن الخاطر الإلهى.

الركن اليمانى: ركن الخاطر الملكى.

الركن الشامى: ركن الخاطر النفسى.

الركن العراقى: ركن الخاطر الشيطانى.

– **مراتب السجود أربعة:**

- سجود الانقياد والطاعة والإخلاص.
- سجود الفناء فى الأفعال فلا يرى مؤثرًا غير الله، ولا يرى أثرًا من نفسه.

- سجود الفناء فى الصفات.
- سجود الفناء فى الذات.

**- الأبواب أربعة:**

- أبواب النعمة فتحت للغافلين للاستدراج والإمهال.
- أبواب السماء على قوم نوح بالطوفان.
- أبواب النار فتحت على الكفار للعقوبة والنكال.
- أبواب الجنان على المؤمنين للفضل والأفضال.

**- القلوب أربعة:**

- قلب قاس للكفار والمنافقين.
- قلب ناس وهو قلب المسلم واطمئنانه بالتوبة.
- قلب مشتاق وهو قلب المؤمن المطيع، فاطمئنانه بذكر الله.
- قلب وجدانى وهو قلب الأنبياء.

**وبعد هذا العرض السريع لأنواع التربيع يمكننا القول بكل اليقين:**

إن هذا الكتاب يعتبر بحق إضافة جديدة لمجال الفكر الإيمانى، لفهم حقائق الدين وعظمة القرآن الكريم بأسلوب نورانى بديع.

وقد عرض لنا حصاد جولات فى رياض الحقيقة، وما اقتطف من جواهرها اللامعة وثمارها اليانعة، ما يبهر أصحاب القلوب النيِّرة، وذلك فى أربعة أجزاء:

- فبدأ بسر التربيع فى آيات القرآن العظيم، وهذا بلا شك يحتاج سبَّاح قدير، يعرف كيف يغوص فى كلمات الله السرمدية، ويغترف ما شاءت له العناية الإلهية من علوم لدنية وأسرار ربانية.

- ثم انتقل إلى سر التربيع فى مراتب التوحيد، وما يتعلق بالحرم المكى وشمائل النبى ﷺ، وذلك ليكشف لنا بعض الأسرار التى يودعها

الله فى قلوب عباده الأبرار، فيزيحوا لنا الستار عن قبس من مراد الواحد القهار.

– أما التربيع الواقع فى كتب الصوفية: فهو جولة رائعة مع معارج القلوب المؤمنة، ومشاربهم المتنوعة، لننهل من معارفهم السامية.

– والجزء الرابع فى أسرار التربيع فى العبادات والآداب، لنفهم كيف أن الأوامر والنواهى تشتمل على أربع مراتب تمثل عروج القلب على طريق الحق.

– وختمها بخاتمة فى بيان مراتب العلم والعلماء، وكيف يدخل الغرور فى أعمال هؤلاء، ومن يقرأ ذلك يوقن بقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩]. فلا يهم كثير العمل مع قلب يمتلئ باطنه بالأمراض المعنوية التى تتنافى مع صدق الإيمان.

**ولذلك فهذا الكتاب**: يعتبر نورًا يزيل الغشاوة من على بصائرنا، لنتفهم ونعى مراد الحق من الخلق، ويعتبر منارة ترشد السالكين، وتبدد ظلمات الطريق، ويعتبر أجراسًا توقظ الغافلين، وتنبههم إلى عظم الرسالة الإيمانية التى يحملونها على عاتقهم، بعد ما جاءتهم من رب العالمين على لسان نبى أمين، والكتاب يقول لنا: إن هذا القرآن يحوى من الحقائق الساطعة، والأدوية النافعة الشافية، ما لا يمكن حصره أو حتى استيعاب كل حقائقه، فهو كلام الله الذى لا تنفذ خزائنه مهما اغترف الأولياء وسلكوا طريق البيان.

ولذلك هناك قاعدة شائعة فى طريق الصوفية وهى: «على المرء إما أن يتعلم وإما أن يسلم».

وفى الحقيقة فإن هذا الكتاب يقودنا إلى الطريقين معًا فى نفس

الوقت، فنحن نتعلم قبسًا من الأسرار الإلهية، ومع هـذا التعلـم نصـل إلى مرحلـة العجـز والتسـليم أمـام العظمـة الإلهيـة فـى قدراتـها اللامتناهيـة، وحكمتها السرمدية، وعنايتها بالنفس البشـرية، ومـا يحويـه القـرآن مـن كنوز نورانية، وإلهامات روحانية، قامت على أساسها فيوضات الشـريعة الإسلامية.

وليس أمامنا ما نواسى به أنفسنا أمام هذا العجـز المطلـق إلا أن نـردد قول الصديق، رضى الله عنه وأرضاه: «العجز عن درك الإدراك إدراك».

فاللهم لا تجعلنا أخيب خلقك فى فـهم أسرار كلمـاتك. ووقفنـا إلى فهم بعض ما خفى عنا من أسرار قرآنـك، وأكـرم كـل مـن سـلك هـذا الطريق من أوليائك لكشف مرادك من عبادك، فنحن فى أشد الاحتيـاج إلى كل من يدلى بدلوه فـى بحـار حبـك، ويرتشـف مـن رحيـق علمـك اللدنى الواسع، ثم يترجمه لنا قطرات من العسل الشهى الذى فيه شفاء لما فى الصدور، وتشويقًا إلى عـلام الغيـوب فـهذا فيـه طمأنينتنـا وسـكينتنا وأمن القلوب وسعادتها.

وصدق الحـق جـلَّ شـأنه إذ يقـول: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

* * *



# تمهيد

## لمؤلف المخطوط، قطب زمانه وفقيه عصره وأوانه

## الشيخ إبراهيم البثنوى

**حمدًا لله وشكرًا لعظمته:**

الحمد لله الملهم بالصواب، الفتاح الكريم الوهاب، الذى أنطق العوالم ورتب الأسباب، وأوجد الإنسان وفضله وميزه من بين أجناس المخلوقات والموجودات بالعقل والفهم والآداب، وعلمه وعرّفه مراتب الأسماء وأسرار المكنونات، وزينه بأنواع الكرامات من الخبرات والحسنات فى عالم السفليات والعلويات، كما جاء فى الحديث القدسى الخفى العرفانى، ليستدل بها العباد على فردانيته ووحدانيته على ما أفهمه وألهمه من الفيض الجودى الوحدانى المطلق فى التعددات والتعينات؛ لأن العلم بالأسماء والصفات لا يحصل إلا بالمراتب، وكذلك الفهم والتفهم لا يتحقق إلا بالمدارج، ولا وصول إليها إلا بالمعارج.

ونشكره ربنا على ما أكرمنا بإفاضة سيجال العوارف الروحانية، وإسباغ ظلال العواطف الرحمانية، فهو المعين الذى جذب أرواحنا من غيابة جب الحيوانية، وأمرنا بالترقى والسعى من حضيض النفسانية إلى ذروة كمال الروحانية، لنسعى فى درك عمى القلب لكسب مراتب الإنسانية، كما قال سبحانه وتعالى فى محكم كتابه، إشارة إلى الترقى بالمراتب: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

**الصلوات على سيد الكائنات وعلى آله وصحبه وأتباعه الأبرار:**

وأكمل الصلوات وأزكى التحيات على سيدنا وسندنا محمد الذى أنزل عليه القرآن على وجوه من البلاغة والإعجاز، والمراتب والإيجاز، وعلى آله وصحبه الذين كانوا أرباب هذا الشأن، وفرسان الكلام، قد خصوا من البلاغة والحكم بما لم يخص أحد من الأمم غيرهم، وأوتوا من

دراية اللسان ما لم يؤت إنسان، فهم ذوى البلاغة البارعة، والألفاظ الناصعة، خصوصًا منهم:

الصديق الأكبر الأفخم المصدق بالحجة البالغة، والقوة الدامغة المسمى بالعتيق أبى بكر الصديق، رضى الله عنهم، وكذلك الفاروق الغيور الكرار، رئيس حبل الأبرار، حبيب الستَّار، ذى الغيرة الباهرة، بالحجة القاهرة، أمير المؤمنين عمر الفاروق، رضى الله عنهم، وذى النورين إمام الحرمين حبيب الرحمن، الموصوف بالحياء والإيمان، أمير المؤمنين عثمان ابن عفان، رضى الله عنه، ووارث العلوم، النبوى ستر الله فى العالم العلوى والسفلى، كاشف العلم المدنى، ذى الدرجة العلية، والأخلاق السنية، فاتح مفاتيح الغوامض في الحكم والدقائق، أمير المؤمنين علىّ الرضىّ السخىّ الموفى، رضى الله عنه، وكرم الله وجهه.

وعلى جميع الآل والأصحاب والأزواج والأحباب، الذين أوصافهم أجمل من بريق اللآلئ، فنجدهم عون الألباب، ميز للون الصعاب، فالبلاغة من جملة علومهم، قد حددوا فنونها، واستنبطوا عيونها، ودخلوا بالمراتب والدرجات فى كل باب من فنون أبوابها، وعلوا صرحًا لبلوغ أسبابها، وهم الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وبارك وسلم: «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»[(١)]، رضوان الله عليهم أجمعين، اللهم ارزقنا التبعية إلى مناهج أصولهم وإلى مراتب فهومهم فى معارفهم وعلومهم، آمين بحرمة خاتم الأنبياء والمرسلين.

وبعد.....

**المقصود من المخطوط:**

لما وقف العبد الفقير بإذن الله الملك القدير (جلَّ شأنه وبهر على

---

(١) فى تلخيص الحبير لابن حجر جـ٤، ص١٩٠، قال ابن حزم: خبر مكذوب وموضوع وباطل، وقال البزار: هذا الكلام لا يصح عن النبى ﷺ.

العالمين سلطانه وبركاته) على أسرار مراتب التربيع وحقائقه، وعلى أسرار كتابه العزيز ودقائقه، عزمت بالتوجه التام فى الإظهار والإبراز قدر ما يمكن إبرازه، على ما وجدت فى كتب القوم كتفسير نجم الداية، وتفسير إمام قاشانى وقشيرى، وفى كتب الشيخ وكتب الصدر القونوى وسلطان العشاق عمر بن الفارض، وكنز الأسرار، وكشف الأستار، وأصول الحكم لوالدنا المرحوم، وفى كتب غيرهم من العلماء، من علماء وأهل السنة والجماعة (على وجه ألف) بل ومطابقًا وموافقًا لكتاب الله جلَّ شأنه؛ لأن كل كتاب وكلام لم يطابق كلام الله فهو زندقة وإلحاد، كما سيجئ بيانه.

وكتبت هذه القواعد لوجه الله راجيًا أن يكون فى طبابها معاشر الإخوان الإلهيين خاصة، ولسائر الطالبين من المؤمنين عامة، خصوصًا لولدى سعد الدين أحمد (لا زال فى الدنيا والآخرة مسرورًا، وبين الأولياء مودودًا ومبرورًا، عامله الله بلطفه فى الدارين، بحرمة رسول الثقلين) فإن هؤلاء أليق بالمخاطبات بتلك الأسرار.

ثم حرك باطنى إظهار نبذ من أنواع المراتب فى التربيع، والإشارات إلى سائر المراتب فى التثليث والتخميس على وجه التفريع، يمكن حفظه، وعلى نمط يمكن ضبطه، لا على إيجاز غير مؤلم وإعجاز غير مُفْهِم، وعلى أسلوب يمكن تحصيل أصولها، ووصولها بحقائقها ودقائقها ومجازها بغير تعب ومشقة، يفهم كل من كان له طلاقة اللسان فى حد الإمكان؛ ولأن كل من ينظر إلى كتابنا هذا بالإنصاف، يطلق ما كتبت له فيه من مراتب الأسرار، وما كشفت له فيه من مغاليق كثيرة من كتب المشايخ، من الأحياء والأبرار.

ونرجو من الناظر فى كتابنا هذا أن يستر ما وقع من كثرة النسيان من طغيان القلم بذيل العفو، فالمأمول من أهل الإحسان ستر الخطأ والنقصان؛ لأن الإنسان معروف بالنسيان، وأن يتوجه ويطالع بخلوص

تام، لا على وجه التعذر والإلزام، مترقبًا متعرضًا لما فتح لـه مـن نفحـات الرحمن، ليمنح بذلك التوجه فتحًا جديدًا، وليفتح عليه من خزائن الغيب أبوابًا عديدة، فالإحسان من الله بعباده لقريب، وليس بروزه ببعيد، والله على كل شيء شهيد.

## المنهج المتبع فى تأليف الكتاب:

بعد أن استخرت الله ورسـوله: فـإنى قـد أعرضـت فـى التـأليف عـن الإطالة فى بـاب الإشـارة، سـائلاً المـولى الوهـاب أن يجعـل كتـابى هـذا مقبولاً عند الأحباب ومحفوظًـا مـن النقـص والشـرك والطغيـان، والخطأ الضار والزلل والنقصان إنه ولى العفو والغفران.

وكتبت على وجه الاختصار من التأويل، خوفًا عن التغيير والتحويل، وبذلت الجهد فيه لطالب مراتب الأصول، واستخرجتها من كتب الكبار من فحول العلماء.

ولأن المراتـب لهـا مبدأ ومعـاد ونهايـة، وبدايـة وغايـة، غـير الـذات الواحد، فليس له غاية ولا بداية ولا نهاية، ولكن أسمـاءه وصفاتـه بوجـه من الاعتبار لها أوائل وأواخر، كمـا قـال جـلَّ شـأنه: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

ويعرف هذه الحقائق الواصلون إلى دقائق ولباب العلوم اللدنيـة، التـى تعلموها من لدن حكيم خبير بـلا واسـطة، كمـا قـال تعـالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الرحمن: ١، ٢]، وغـير هـذا مذكـور فـى القـرآن فافهم سر المراتب، تجد فيه مزايا لا تجدها فى غيره من العلوم والمعـارف، وما أدراك أن تفهم وأنت مجنوس[1] فى قشور الوجود المجـازى، ومرعـىّ ومرزوق فى كل حين غذاء النفسانى الحيوانى، فلا يظنن جاهل بأن مثل

---

(١) مجنوس: أى مختلط من الجسد والروح، من النفس الحيوانى والملائكى.

هذه التحقيقات يدل على إبطال ما هو المعلوم والمفهوم من ظاهر الآية، وإبطال ما قرره العلماء والكبراء فى المعانى الظاهرة حاشا وكلا، لا يليق صدور مثل هذا منهم، ولكن فى أدوات الآيات القرآنية ومعانيها وحواشيها فروقًا شتى فى الفهم بين العلماء الراسخين، كما روى عن ابن عباس، رضى الله عنهما: «أن القرآن ذو شجون وفنون وظهور وبطون لا تنقضى عجايبه ولا تبلغ غايته»[١].

وعن الحسن، رضى الله عنه: «لكل آية ظهر وبطن ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع»[٢]، وفى رواية أخرى مرفوعًا: القرآن تحت العرش له ظهر وبطن، يحاج العبد كذا فى الإتقان فى علوم القرآن، ظاهره ما فسره العلماء، وباطنه يدل على ما حققه أهل التحقيق من أهل الله وخاصته، وقيل: ظهره التلاوة وبطنه التأويل، فجالسوا به العلماء، وجانبوا به السفهاء.

والحاصل أن لكل آية ستين ألف فهم، وهذا يدل على أن فى فهم معانى القرآن مجالاً خصبًا، ومتسعًا بالغًا، وفى الحديث القدسى: «أوليائى تحت قبابى لا يعرفهم غيرى»[٣]، إشارة إلى أهل الباطن من أرباب القلوب من المحققين، وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة وردت فى حق أهل الله تعالى من المشايخ، بشرط أن يكون ما قالوه موافقًا للكتاب والسنة، يشهدان عليه بالحق، وأن كل حقيقة لا يشهد عليها الكتاب

(١) مذكور فى مقدمة كتاب «الغرائب والعجائب فى تفسير القرآن الكريم» للإمام الفقيه أبى القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى، ذكر ذلك حاجى خليفة فى كشف الظنون (١١٩٧/٢).

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (٣٥٨/٣ - رقم ٥٩٦٥)، وأخرج بعضه ابن المبارك فى الزهد (ص٢٣).

(٣) ذكره الجرجانى فى كتاب التعريفات (جـ٢، ص٢٩٥)، طبعة دار الكتاب العربى.

والسنة فهى إلحاد وزندقة لقوله تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

## الحكمة فى التحقيق بالمراتب والأصول:

قال أهل الحكمة فى وضع المراتب والحكمة فيها وفى أعدادها: لأن كمال التوجه بالجمعية أقوى، وأكمل المراتب التربيعية أربعون، وهى منتهى الأعداد فى التربيع كما سيفهم فيما بعد فى مواضعها، ونذكر إن شاء الله تعالى فى المقدمة بعض أصولها ومراتبها، ومن أراد مزيدًا من الاطلاع على تفاصيل أسرار التربيع، وسائر حقائق الأصول والمراتب فى التثليث والتربيع وغيرها، فعليه بمطالعة تفسير عين الحبات، وتفسير سورة الفاتحة للصدر، وأن يلازم كتاب الأسولة للوالد المرحوم حيث قال فى رسالة له: كتاب الأصول كتاب جليل الشأن عظيم البركات، ما سبقنى فى ترتيبه سابق، والعلماء فى عصره يعترفون بقوله هذا.

وكتابنا هذا فى سر التربيع قريب منه فى الجمعية بأنواع الحقائق، وأنا الفقير إليه سبحانه وتعالى تراب نعال جيل الأبرار، ألفت هذا الكتاب المختصر الموجز عند حصن سكتوا (رحمه الله تعالى من الفتن إلى يوم القرار) ووضعته فى أصول التربيع من الآيات القرآنية ومن الأحاديث الواردة فى التربيعية، والتربيع الواقع فى كتب القوم من المشايخ، وذكرت فيه من العادات والآداب والعبادات الجارية على أصول التربيع.

## اسم الكتاب ومحتواه:

سميته: [تربيع المراتب والأصول نتاج أفكار الفحول من أرباب الوصول].

ومجموعها ينبنى على مقدمة وأربعة أجزاء مع خاتمة لطيفة جامعة فروع العلماء والمشايخ وقرابتهم وما لزم على منكريهم عند الشرع.

**أما المقدمة:** فهى موضوعة فى بيان ثمرة مطالعته وهى الوصول على مراتب أصوله وذكر فيها بعض الأمهات من أصوله، وما هو الغرض المطلوب من جمعه وتأليفه.

**الجزء الأول:** فى سر تربيع البسملة وسورة الفاتحة، وما فهم من تربيع الآيات القرآنية.

**الجزء الثانى:** فى سر تربيع مراتب التوحيد، وتربيع الكعبة المكرمة، وما يتعلق من التربيع بالحرم المكى، وذكر فى بند الركن الثانى بعضًا من مناقب النبى المكرم وشمائله الواقعة على طريق التربيع صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وبارك وسلم.

**الجزء الثالث:** فى التربيع الواقع فى كتب الصوفية من المعارف والحكم اللدنية السنية المعتبرة بين العلماء، ويذكر فيه أيضًا بعض مراتب الإنسان من التربيع، ولسنا نريد بالإنسان ما هو إنسان حيوان فقط، بل المراد من الإنسان ما هو إنسان وخليفة.

**الجزء الرابع:** فى أنواع التربيع من العبادات والآداب والعادات، ويذكر فى هذا الركن الرابع بعض أنواع التربيع فى حياة هذا العالم الظاهر.

**الخاتمة:** فى بيان مراتب العلم والعلماء والمشايخ.

وما أنا إلا عبد أشرع بالإمداد من الله العزيز الوهاب جلّ شأنه، وبالاستمداد من صوب الروح الأحمدى الشفيع الأوسع الذى بهر على الأمة إحسانه، صلوات الله عليه وسلامه، وبالاستمداد من أرواح المشايخ عامة، ومن روح الوالد المقدس خاصة، قدس الله أسرارهم، ونفعنا من علومهم ومددهم، وهو المطلوب من هذا المسطور، الملهم من المعبود، وهو المكافئ على الموعود ببذل المجهود إن شاء الله تعالى وتقدس.



# مقدمة الكتاب
# فى بيان ثمرة مطالعته
# وهى الوصول على مراتب أصوله
# والوقوف على أنواع مراتبه وفصوله

## المراتب التربيعية الأصلية الإنسانية:

لابد أولاً من تفصيل المراتب التربيعية الأصلية الإنسانية، وهى الطبائع الأربعة فالطبيعة عندنا عبارة عن الحقيقة الجامعة للحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، والحاكمة على هذه الكيفيات الأربعة ما كان متولدًا من الأركان الأربعة: النار، والهواء، والماء، والتراب، كما قال صاحب العوارف، رحمه الله، نقلاً عن وهب بن منبه حيث قال:

وجدت فى التوراة صفة آدم عليه السلام: أنى خلقت آدم وركبت جسده من أربعة أشياء: من رطب ويابس وبارد وساخن.. وذلك لأنى خلقته من التراب فهو يابس، ورطوبته من الماء، وحرارته من قبل الدم، وبرودته من قبل الروح، وخلقت فى الجسد بعد هذا الخلق الأول أربعة أنواع من الخلق، هن ملاك الجسم بإذنى، وبهن قوامه، فلا يقوم الجسم إلا بهن، ولا يقوم منهن واحدة إلا بالأخرى، منهن المرة السوداء، والمرة الصفراء والدم والبلغم.. ثم أسكنت بعض هذا الخلق فى بعض: فجعلت مسكن اليبوسة فى المرة السوداء، ومسكن الرطوبة فى المرة الصفراء، ومسكن الحرارة فى الدم، ومسكن البرودة فى البلغم.. فأيما جسد اعتدلت فيه هذه الفطر الأربع التى جعلتها ملاكه وقوامه، فكانت كل واحدة منهن ربعًا لا يزيد ولا ينقص، كملت صحته واعتدلت بنيته.

**ثمرة مطالعة الكتاب:**

من تجلى له فى قلبه علم المراتب من التربيع وغيره، يفهم ما أمعنت عليه من هذه المراتب بالنسبة إلى سائر العلوم التفضيلية.. فاعلم واستحضر أن فائدة جمعه وتأليفه وترتيبه: انتظام أحوال متفرقاته التى فى المعضلات، وانضمام مراتبه وأطواره وأسراره التى تغيرت وتفرقت فى أصوله فى الأمهات، ومحصول معناه مستحضر فى أصوله، حيث بذلت جهدى بعد التتبع والتوقف فى استخراج مسائله المنصوبة ومدارجه المكنونة، بصفاء الخاطر وبقلب ذاكر؛ لأجل ذلك: مهدت له أصولاً، وقدمت له مقدمة وفصولاً وأركانًا، بتوفيق الله الودود، ليستدل بالأركان على الموجود.

والناظر فى كتابنا هذا لا يخلو من فوائد منها: أن ثمرة المطالعة إنما النظر مع الاعتبار فى أجناس المراتب، والوقوف بأصول العلوم والمعارف من الأسرار الإلهية والنفحات الرحمانية والبدائع الربانية الواقعة على أصول التربيعية، والوصول إلى أنواع حقائق العلوم ودقائق الحكم، ليزداد إيمان الناظر، ويتقوى عليها الخاطر، ويحصل التبهيج للألباب الروحانية، ويصل الطالب الصادق بمدارج الأصول إلى المكانة الزلفى والمخدع الأعلى، ويفرق الخطأ من الصواب، ويفصل القشر من اللباب؛ لأن كتابى كاشف الغيوب، ونهاية المطلوب، وفيه مراتب التوحيد معلوم، وكثير من أسرار المراتب مندرج فيه ومفهوم.

نسأل الله النفع لكل من يطالع فيه بالإنصاف، ويدعو لكاتبه بالخير بقلب صاف، فاعلم يا أخى أنى ما كنت لك بهذا مرشدًا ناصحًا، بل مسترشدًا مستفيدًا، طالبًا عونًا على تقلب قلبى خيرًا، ومستعيذًا من تحول قلبى شرًا، وهو المستعان لمن استعان.

**فائدة النظر فى كتب المشايخ:**

إن الغرض الأكثر، والمطلب الأكبر من هذا المسطور، هو الاستفادة

من صوب أرواح الكمل من المشايخ رحمهم الله، كما قال بعض الأفاضل نقلاً عن الجنيد (قدس سره العزيز) حين سئل عن فائدة الكتاب، والنظر في كتب المشايخ، فقال في الجواب:

حكايات المشايخ جند من جنود الله تعالى، وكلماتهم الروحانية كذا فيها أسرار غريبة وأطوار عجيبة، لا يعرفها غير أهلها، يثبت الله بها ما في القلوب من التقلب والتشكك كما قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

كذلك فيها التذكر والتذكير والتلذذ بها، باستماع الأحوال من أحوال المشايخ في سلوكهم، والوقوف على مراتب أصولهم في المعارف والعلوم، لا يخلو الناظر في كتبهم من الاستفادة.. وأنا الفقير إلى عفو ربه القدير، راقم الحروف، ما نلت ما نلت إلا بمطالعة كتبهم، بخلوص القلب وبالتوجه التام إلى آثار طريقهم، في أحوالهم وسلوكهم.

ونسأل الله الملك المنان أن يحشرنا وإياكم في زمرة أهل الإيمان والإحسان كما قيل: «المرء يحشر على دين خليله».

ولأن الطالب الصادق قد يحبط في طريقه، ويخطئ في اجتهاده في سلوكه؛ لأجل ذلك يحتاج إلى مطالعة كتبهم، واستماع كلماتهم، خصوصًا في هذا الزمان، فقد اندرست الحقيقة، وانقلبت الأحوال والطريقة، ولذا وجب على كل طالب صادق أن يطالع في كتبهم: ككتاب الغزالي، والشيخ العربي الحاتمي، والصدر القنوي وغيرهم من علماء أهل السنة والجماعة، ويحترز من أرباب البدع؛ لأن أكثر المشايخ في عصرنا هذا يميلون إلى مسلك أهل البدع، ويتشبهون بهم في الأقوال والأفعال، كما سيذكر أحوالهم في الخاتمة إن شاء الله.. ولا يجالس أحدًا إلا بعد التأمل والتوقف، ولا يميل كل الميل إلى كل من له صلاح في الظاهر، ورياسة ونفاق وعجب في الباطن، بل ينظر ويعتبر في أحوالهم،

فى رعاية سنن رسول الله ﷺ، ويستفيد ما انتقش فى صفحات ذوات أهل السنة من المعارف والحكم.

هذا مع ضرورة توافر شروط حتى يستفيد المرء من كتب هؤلاء القوم وتلك الشروط هى:

إنما يتأتى مطالعة كتبهم لمن فى استعداده الذاتى المقتضى حسن قبول للفيض الإلهى، على وجه تمييز الحسن من القبيح، والمساء من الصبح، لا يشينه بشىء من كلماتهم، وله الفيض على طهارته الأصلية الذاتية المقدسة، المكتسبة من فيضه الأقدس.

ومن هو حاله هذا لا يخلو عن أربعة: قريب، وأقرب، وسعيد، وأسعد، على درجات متفاوتة كما قيل: «رحم الله امرأ عرف قدره و لم يتعد طوره»، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

**مراتب ظهور الموجودات الأربعة:**

اعلم يا أخى أنى قد نبهت لك فى هذا الكتاب فى مواضع كى تقرع سمعك، وليحصل لك العلم، ويزداد الفهم بمراتب الوجودية، والمناسبة المعاينة الجودية؛ لأن المراتب فى التعددات والتعينات والكيفيات متكثرة ومختلفة ومتشابهة على ما سيتبين مجملاً مختصرًا فى موضعه إن شاء الله تعالى.

وأن يفهم أن المراتب والأسماء والصفات درجاتها تتفاوت بحسب أمهات مراتب ظهور الوجود وهى: أولها المرتبة المعنوية، ثم المرتبة الروحانية، ثم المرتبة المثالية، ثم المرتبة الحسية.. والجامع لهذه المراتب الأربع: المرتبة الإنسانية الجامعة سائر الحضرات الأربع، والجملة تسمى بحضرات الخمس عند الصوفية، كما سيذكر فى مواضع هذا الكتاب المجمل الملخص إن شاء الله تعالى، بالمناسبة المحلية المقتضية بيانها فيها..

وإذا تقرر هذا فاعلم أنه ليس للمتذكر رتبة كلية غير ما ذكر في هذا المجلد ، ولكنها تفاصيل مذكورة في كتب المشايخ وجد من طلبها، وأنىَّ يمكن درج البحار في الغار، وحبس نور الشمس في الدار.

وإني ذاكر لك في هذا الفن من المراتب الاختصاصية الربَّانية، بعض ما وهب الحق تعالى ومنَّ على العبد الفقير من كرمه في هذا المسطور، وما تيسر من جمعه، فافهم وتفكر وأقبل.

**سر المراتب والأعداد:**

اعلم أن في الأعداد والمراتب سر وحكمة على أربعة أوجه:

**الأول**: أن المذنب إذا اعتذر إلى وليّ له وتوجه إليه بالسؤال، فيجمع له الشفعاء، والإنسان في الاعتذار في كل وقت وحين وآن إلى خالقه.

**والثاني**: ليكون الأركان والأصول شاهدًا بعضهم بعضًا.

**والثالث**: أن عمل الواحد شيء قليل الاعتبار له، وإنما القيمة والاعتبار في الكثرة.

**والرابع**: أن أكثر الأركان والأصول وضع في التربيع من الأعداد وغيرها كما أن كلمة **الشهادة** في أربع كلمات: لا إله إلا الله، والعناصر الأربعة الظاهرة والباطنة، أعني بها حواس الأربعة في الأربعة، والخلفاء الأربعة[١].

**والدلالة على مراتب التربيع والوصول أحوال شتى في هذا العالم ومنها:**

– أن لفظ «أربع» جامع لكمال الأعداد ومحيط أعداده. والكمال في

(١) كلمة الشهادة: لا إله إلا الله، العناصر الأربعة: (حواس الأربعة في الأربعة)، أي اليبوسة من التراب، والرطوبة من الماء، والحرارة من النار، والبرودة من الروح، (الهواء).. والخلفاء الأربعة: (أبو بكر، عمر، عثمان، عليّ).

لفظ عشرة، وعشرة كاملة، ونجد ألقاب الأعداد **الأربع هى** العشرة (الأحد - الاثنين - الثلاثة - الأربع) فتحصل لك عشرة كاملة.

وغير هذا كثير فى التربيع منها:

- مراتب العناصر الأصلية العلوية والسفلية الإنسانية، والأركان الأصلية الأربعة كلها تقوى وتنمو بالأفعال المؤثرة، ويحصل لها الفطنة فى الإدراكات الظاهرية والباطنية.. أعنى الكلام والبصر والسمع والقوة على الإطلاق.

**ومنازل السلوك بين الناس**: تدل على مراتب الأصول، وهى أربعة معروفة عند أهل السلوك معوّل عليها عند العلماء:

**الأول**: معرفة النفس. **الثانى**: معرفة الأخلاق.

**الثالث**: معرفة الدنيا. **الرابع**: معرفة الآخرة.

وكذلك **أوتاد العالم**: أربعة رجال، منازلهم على منازل الأربعة الأصلية (الظاهرة والباطنة) شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالاً.

وكذلك **الأبدال من الرجال**: على أكمل الأعداد من التربيع وهم أربعون، المتحققون بحقائق أطوار العالم من الأربعينيات عملاً وحكمًا.

**سر التربيع فى الأربعين:**

وسر التربيع سار فى الأربعين اعتبارًا فى اللفظ والمعنى، والظاهر والباطن، علويًا كان أو سفليًا.. قال النبى ﷺ: «ما من ميت يصلي عليه أمة من الناس إلا شفّعوا فيه[1]». والأمة من الناس أربعون رجلا، يغفر ويجاب لهم، كذا ورد فى الحديث.

وهذه الاعتبارات ليست للذات، ولكن فى الأسماء والصفات،

(١) فى النسائى (كتاب الجنائز) عن عائشة، رضى الله عنها. رقم الحديث ١٩٦٤.

اعتبارات شتى، ومدارج الاعتبارات على اقتضاء المراتب، بعضها يظهر فى أول المرتبة حكمها، وبعضها فى الثانى والثالث، وبعضها فى الرابع إلى تعين أكمل الأعداد فى الأربعين، وغيرها كما يعتبر ويقال: الواحد نصف الاثنين، وثلث الثلاثة، وربع الأربعة، وهلم جرا على هذا الاعتبار، فالذات بهذا الاعتبار يسمى واحدًا، ولا يصح إضافة هذه الاعتبارات المذكورة إلى الاسم (الواحد الأحد)، لا حقيقة ولا وهمًا لغويًا ملحدًا زندقيًا؛ لأن المرتبة عندنا عبارة عن حقيقة كل شيء، لا من حيث تجرده، بل من حيث معقولية نسبتها الجامعة بينها وبين الوجود المظهر لها، والحقائق التابعة لها.

ومن ظهر له سر ملك المناسبات التربيعية اجتمع باطنه عليه، ولم يوجد ذلك إلا لمن سبقت له عناية من الحق جلّ شأنه فى الخلقة الأزلية، كما قيل: «كل ميسر لما خلق له[1]».

هذه وصيتى لك يا أخى، تقبلها بقبول حسن. وإنى والله يا أخى فى الله قد بذلت جهدى فى تحرير هذه الرسالة بوجه لم يكن فيه إدخار ميل شيء فى قلبى، فانظر ما يقرع سمعك، ويتجلى فى قلبك، واعرف قدّرك، لتصل إلى السعادة العظمى والمكانة الزلفى، والله ولى الهداية والرشاد فى الدنيا والميعاد.

فلنقتصر بهذا القدر اليسير من المقدمة فى الإشارة إلى ذكر الأصول فى المراتب التربيعية وغيرها، ليستدل بالقليل على الكثير؛ لأن الفطرة تنبئ عن القدير، وفيما ذكرناه كفاية لك ومقنع إن شاء الله تعالى الذى أمدنا بهذه المقدمة الموعودة من قبل عونه، اللهم ربنا تقبل منى واعف عنى.

---

(١) رواه سيدنا على، رضى الله عنه، صحيح البخارى، كتاب تفسير القرآن، حديث رقم ٤٥٦٨.



# الجزء الأول
# تربيع البسملة والفاتحة
# وما فهم من سائر الآيات القرآنية

## سر تربيع البسملة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾:

إذا رجعنا وبحثنا فى سر التربيع الواقع فى البسملة نقول:

**الأول**: انبعث التوجه الإلهى الأحدى، فانسحب حكم التوجه الإلهى الأحدى لإيجاد العالم من التدوين والتسطير على الأعيان الثابتة بعد ظهور الأرواح المهيّمِة.

فالوجه وجهان: الوجه الذى يلى ربّه، جلّ ذاته عن الحدوث والحدود، ويقبل به ما يهيئه ويمده، والوجه الذى يلى الكون فيؤثر فيه ويمده.

ومن حيث أنه حامل للكثرة الغيبية الإجمالية المودعة فى ذاته، ليفصلها فيما يظهر منه يتوسط مرتبته ويدونها، ويظهر سر التربيع والتركيب وخفى الغيب المطلق.

**الثانى**: من التوجه الإلهى والتعين الصمدانى العماوى والبرزخ الأول.

**الثالث**: تعين المرتبة الهيولانية المشار إليها بالإمكان الذى هو مرتبة العالم.

**الرابع**: ظهور سر التركيب المعنوى المتوهم الحصول من ارتباط الممكنات بالحق المشار إليها بالجسم الكلى وباللوح الحامل سر التربيع.

## من أسرار حروف «بسم الله»:

اعلم أن التعين الأول الذى سبقت الإشارة إليه أول ممتاز من الغيب

المطلق، وهو مفتاح العوالم الكلى الأسمائى، وفى النفس الإنسانى نظيره الهمزة والألف(١)، وصورة العماء الذى هو النفس الرحمانى الوحدانى وسائر الحروف والكلمات الإنسانية بنفس الإنسان، به بدت كنوز الموجودات الأسمائية، فكان أقرب الحروف إلى الألف هو الباء، كما أن أقرب المراتب نسبة إلى الوحدة هى الاثنينية (الأولى من المراتب).

• ثم ظهر السين بعد الباء بوسط بين الظاهر والباطن، مصورًا بالتثليث الأول المذكور.

ثم نرجع إلى بيان سر الميم الكاملة الشاملة بمراتب التربيع، فظهر بعد الميم اسم الله بألفين ولامين وهاء، فالألف الأولى إشارة إلى الاسم الباطن، وهى الظاهرة بالنطق لا فى الخط.. والألف الآخر الظاهر وهو الأول للاسم الظاهر.. وأحد اللامين بسبب ارتباط الحق بالعالم مظهرًا للحقائق، والأخرى لارتباط ظهور العالم بالحق من حيث ظهور بعضه للبعض فى غيب الغيوب.. والهاء إشارة لهوية الغيبية، الجامعة بين الأول والآخر والظاهر والباطن.

ومن هذه **المراتب الخمس** تشاهد وتذكر الحضرات الخمس، والمراتب الأصلية الأربع الأسمائية، والسر الجامع بينها، وكذلك النكاحات الخمسة.

**وعند الشيخ الأكبر**: إذا جمعت حروف لفظ الله ظاهرة وباطنة كانت ستة.. وإذا اعتبرت تعلق الحق بالأسماء المتعلقة بالكون كانت سبعة.. وباعتبارات الأحوال والاقتضاء الكونى تكثرت المراتب.

**سر اسم «الرحمن»**: اسم الرحمن له سر الشمول والإحاطة والاستواء على العرش المحيط بكل شىء.

**سر اسم «الرحيم»**: ظهر اسم الرحيم المختص بمقام الكرسى جار

(١) لأن أصل الكلمة «باسم» فكانت باء وألف، ولكنها تكتب «بسم».

حكمه فى سلك السعداء، أعنى بها أرباب النعيم الدائم، فإنه مقام أهل اليقين من اليمين.

**تحقيق** ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ :

قال صاحب كتاب «نجم الداية»، رحمه الله، فى تفسيره: اعلم أن فى بسم الله الرحمن الرحيم أربع مراتب:

**الأول**: الاسم، **والثاني**: الذات، **والثالث**: صفة الجلال، **والرابع**: صفة الجمال.

وهذه هي مراتب الموجودات، فإنها أيضًا أربعة أقسام:

**الأول**: الألوهية، **والثاني**: الروحانيات، **والثالث**: الجسمانيات، **والرابع**: الحيوانات (وهى كل ذى روح).

ففى الباء: فى أول هذه المراتب الأربع إشارة إلى أن وجود هذه العوالم بى، وليس بغيرى وجود حقيقى إلا باسم، فالعالم (أعنى ما سوى الله تعالى) بالاسم والمجاز له وجود، لا بالمعنى والحقيقة الأولى.

لهذا أشار بعضهم بقوله: «ما نظرت فى شىء إلا رأيت الله قبله».

وصرح النبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وبارك وسلم بقوله: «لا تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله[1]». حديث صحيح متفق على صحته.

**فتحقيق** ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ : أن وجودى بذاتى وهى الله تعالى.. وصفاتى كلها التى هى من قبيل الكمال أو الجلال فبذاتى قائمة.. وما سواى وسر العالم وسم موجود بإيجادى، قائم بقيوميتى.. ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣].

---

(١) رواه أبو هريرة، رضى الله عنه، صحيح مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، رقم الحديث ٤١٦٩.

وقال بعض الفضلاء: إن الباء التى فى البسملة لتوصل الخير من جميع العوالم إلى الملك الحق، وترفع النداء باللسان اللطفى.. فبسم الله صعودًا والإجابة له، والرحمن الرحيم هبوطًا إلى الملك.. كما أن بسم الله صعودًا إلى المبدأ والمنتهى، وفيها مراتب أيضًا، فالملائكة قبالة الرحمن، وأولو العلم قبالة الرحيم.

وكذلك نسبة العالم التربيعى وهو قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩].

فالنبيين نسبة من بسم (أى الله).. والصديقين نسبة من الله أى بسم التى من مراتب النبيين.. والشهداء من الرحمانية إلى الرحيمية.. والصالحين من الرحيمية إلى الرحمانية.. فذلك الدرج فى الصعود إلى سر ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فأول دائرة بسم الله الرحمن الرحيم كآخرها، وباطنها كظاهرها، وبها أقام الله شجرة الأكوان، وأظهر بها سر الثقلين.. وهكذا اتفرعت العوالم كلها عن بسم الله الرحمن الرحيم.

## سر التربيع فى سورة الفاتحة:

• فى قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال صدر الدين، قدس الله روحه، فى تفسير هذه الآية، وهى تتضمن مسائل أربعة: أولها سر الحمد - ثم سر اسم الله - ثم سر الاسم الرب - ثم العالمين.. قال:

• **سر الحمد**: اعلم أن الحمد من مقام التفصيل والجمع لا الأحدية، ولا يصح بين المتماثلين، بل لابد من علو المحمود على الحامد.. فنقول الحمد من حيث هو مطلق ولكى، لا لسان له، ولا حكم يظهر عنه أو يضاف إليه.. وهكذا شأن جميع الصفات والأسماء والحقائق المجردة الكلية المنسوبة إلى الحق وإلى الخلق على سبيل الاختصاص أو الاشتراك النسبى.. وقد ذكر فى كتب الصوفية فى بيان ذلك تنبيهات شتى.. ثم

ليعلم أن الحمد والثناء وكل ثناء من كل مُثنى على كل مثنى عليه، فهو تعريف كما بين فى كتب القوم.. والحمد قد يكون من جانب الحق، وقد يكون بلسان الإنسان، كما أن الصلاة تعتبر من جانب الحق رحمة، ومن جانب الخلق عبادة مخصوصة.. وحقيقة الإنسان عينه الثابتة التى هى عبارة عن نسبة معلومية للحق وتميزه فى حضرته أولاً حسب مرتبته وعلمه بربه.

ولما كان جميع ما يظهر بالإنسان والعالم من حيث هى (كلمة الحمد) لذا ظهرت بالألسن الأربعة المذكورة: لسان الذات، ثم لسان الحال، ثم لسان المرتبة، ثم لسان الحكم، وهذه الألسنة من حيث النسبة إلى الجناب الإلهى بالمدارج التربيعى ذاتًا واسمًا وصفةً وفعلاً، وإلى المقام الكونى كذلك بالمراتب الأصلية الأربع كما سيذكر إن شاء الله تعالى.

• **سر اسم «الله»**: فهى إضافة الحمد للحق من حيث هذا الاسم وإحيائه.. وهذا الاسم اسم جامع كلى، لا يتعين له من حيث هو حمد ولا حكم، ولا يصح له إسناد أمر أصلاً، وكلى توجه وسؤال والتجاء ينضاف إلى هذا الاسم.

• ومعنى هذا الاسم كثير عند أهل العربية، وعند أهل اللسانين ذوقى وعقلى، فلنقتصر على بعض قواعده:

قال بعض أهل العربية فى الاسم «الله» أنه قد خص بسبع خواص لا يوجد فى غيره، منها: أن جميع أسماء الحق نسبت إلى هذا الاسم، ولا ينسب هو إلى شىء منها، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فنسب بذلك جميع أسمائه إليه، ولم يفعل ذلك بغيره تنبيها على جلالته.

– ومنها: كونه لم يُسَّم به أحد من الخلق، بخلاف باقى الأسماء، ويستدل بقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

ومنها: أنهم حذفوا باء من أوله، وزادوا ميمًا مشددة في آخره، فقالوا: اللهم[1].

ومنها: أنهم ألزموه الألف واللام عوضًا عن همزته[2].

وغير ذلك من الخواص كثير.

● **سر اسم «رب»**: قال صدر الدين القونوي، رحمة الله عليه: وهذا سر الجمعي.. ففي هذا الاسم مندرج خمسة أحكام، يستلزم بالمراتب خمس صفات.

فأما الأحكام فهي: الثبات.. والسيادة.. والإصلاح.. والملك.. والتربية.

وأما الصفات الملازمة للأحكام فهي: التلوين المقابل للثبات.. والعبودية المقابلة للسيادة.. والإعدام والإهلاك في مقابلة الإصلاح.. والإبقاء والإيجاد والملوكية المقابلة لبينة المالكية، وعدم قبول التربية.

● **سر اسم «العالمين»**: جمع عالم.. والعالم مأخوذ من العلامة، وهو عبارة عن كل ما سوى الله تعالى.. والعوالم كثيرة جدًا، وأمهاتها هي الحضرات الوجودية التي اعرفتك ما هي مرارًا.

وأول العوالم المتعينة من العماء: عالم المثال المطلق.. ثم عالم التهييم.. ثم عالم القلم واللوح.. ثم عالم الطبيعة من حيث ظهور حكمها في الأجسام بحقيقتي الهيولي والجسم الكلي.. ثم العرش.. هكذا على الترتيب، إلى أن ينتهي الأمر إلى الإنسان بعالم الدنيا.. ثم عالم البرزخ.. ثم الحشر.. ثم عالم جهنم.. ثم عالم الجنان.. ثم عالم الكثيب.. ثم عالم أحدية الجمع والوجود.. وهو ينبوع جميع العوالم.. والله الهادي وعليه اعتمادي.

---

(١) أي بدلا من «يا الله» يمكن القول «اللهم».

(٢) أي بدلا من «إله» قالوا «الله».

• ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ :

يوم الدين: إن معنى الدين فى اللسان أربعة:

**الأول**: الجزاء، **والثانى**: العبادة، **والثالث**: الطاعة، **والرابع**: الشأن.

ومعنى الجزاء: أنها سر عبارة عن نتيجة ظاهرة بين فعل وفاعل.. والباعث على الفعل هو الحركة الغيبية الإرادية التابعة للعلم المنبعث على الفعل، وفهم من هذا التقرير: قول العلماء العلم تابع للمعلوم.

ثم نرجع ونقول: إن الأفعال على أربعة أقسام: ذاتية، وإرادية، وطبيعية وأمرية، والإنسان جامع الأقسام باعتبار المراتب الكلية.

• **قوله تعالى**: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ :

اعلم أن مراتب النعم أربعة: **الأولى**: حسية، **والثانية**: مرتبة خيالية، **والثالثة**: مرتبة روحانية، **والرابعة**: مرتبة السر الجامع بينها، وهو الابتهاج الإلهى بالكمال الذاتى، فيسرى حكمه فى الظاهر والباطن.

وأتم مطلق النعم رؤية الحقِ على الوجه الذى نبهّتك عليه وهو أن يكون الرائى خلقًا والمرئى حقًا.. وفى هذه لذة، لا لذة فوقها.. وإلى هذا أشار النبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وبارك وسلم فى دعائه: «اللهم ارزقنى لذة النظر إلى وجهك الكريم أبدًا دائمًا سرمدًا».

كما قيل فى الشعر:

رب امرئ نحو الحقيقة ناظر    برزت له فيرى ويجهل ما يرى

## سر التربيع فى بعض آيات القرآن الكريم

• قوله تعالى: ﴿۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، يعنى: يوم البداية، يوم النهاية، ويوم الطلب، ويوم الوصال وتقسم أيام التشريق فى الأربعة تطبيقًا بالمشاعر إلى الأركان.

وقيل: فى الآية إشارة إلى مداومة الذكر والملازمة فى المعبودية فى أيام

معدودات (العمر المختصر من البداية إلى النهاية لجميع أجزاء الوجود).

وقيل: من الأزل إلى الأبد، لقوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

● قوله تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠].

قال بعض العارفين: إن فى هذه الآية أربع مراتب:

- فى المعنى **الأول**: أن الله تعالى أنطقهم بهذا القول، فيتحقق لنا أن هذه الصفات الذميمة مودعة فى طيننا، فلا نأمن مكر أنفسنا الأمارة بالسوء.

- **والثانى**: أن كل عمل صالح نعمله، بتوفيق الله تعالى إيانا وفضله.. وكل فساد هو من شؤم طبيعتنا، وخاصية طينتنا، كما قال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩].

- **والثالث**: أن الله من فضله قبلنا بالعبودية والخلافة، وكذا قال فى حقنا مع الملائكة - عناية منه -: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، لكيلا نقنط من رحمته وننقطع عن خدمته.

- **والرابع**: أن فساد الاستعداد أمر عظيم وبناء جسيم، ليس للملائكة به علم، وهو سر الخلافة، وإنما قالوا بهذه الأقوال لأنهم نظروا جسد آدم قبل نفخ الروح، فشاهدوا ما ركب فيه من العناصر الأربعة المتضادة: بشرية.. بهيمية.. سبعية.. إنسانية.. ولهذا لم يعلموا ظهور السر العرفانى الأحمدى الأزلى الذاتى منه.. فافهم بهذا محل فهم قوله فى هذه الصورة.

● قوله تعالى: ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ [البقرة: ٢٢٦].

قيل: فى هذه الآية إشارة عجيبة وهى أنها مدة تعلق الروح بالجنين.

وقيل: سر التربيع الإنسانى الذاتى، والعارض الظاهرى، والباطنى

الشهودى الحسى، والمعنوى.. وهى الطبائع الأربعة وسائر الحواس التربيعية مع لوازمها يتعلق بالبدن فى هذه المدة المعينة؛ لأن لكل أصل من الأصول التربيعية فى الطبائع الأربعة وغيرها حكم فى عوالمه.. وهذه المسألة متسعة الحكم فى الفهم.

• قوله تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

لأنه ليس يعظم عليه المغفرة، فقد أغرق فى بحر حكمته وكرمه وجوده وعدله ذنوب عباده.. وأيضًا قال: ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾ فإن بين أيديكم أربعة أشياء: الشهادة، الشفاعة، الرحمة، المغفرة؛ لأن الخلق سبعة:

– ثلاثة منهم لا نصيب لهم فى الآخرة من الرحمة، وهم: الكفار والمنافقون وأهل البدع.

– وثلاثة لا حاجة لهم فى الرحمة وهم: الملائكة والمطيعون والتائبون.

– ويبقى العصاة.. فهل الرحمة إلا لهم.

• قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، سر التربيع فيها ظاهر بأربع شروط، ثم رُدَّ إلى اثنين بقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠]، ثم رد إلى اللسان، فقال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠]، ثم رد اللسان إلى الرجاء بقوله تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

• قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ [البقرة: ٢٢]، قيل: فى هذه الآية إشارة على القدرة الكاملة، وإلى عزة عباده عند ربهم، وفضلهم على جميع المخلوقات.. ويفهم من هذه الإشارات أربع من المراتب:

- فقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ﴾ يعنى حقق لكم الشرف لا لغيركم، وكل ما خلق لأجلكم.

وقوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ خاصة لكم، بأن جعل لهم بنفسه فراشًا كالأرض، وبناء كالسماء، وبأنه جلّ شأنه خلق السماوات والأرض تبعًا لوجودهم؛ لأن وجودهم للسماوات والأرض مثل الروح للجسد.

ولذلك قال الشيخ الأكبر والمسك الأزفر: الإنسان الكامل روح العالم الظاهر، والعالم له كالجسد للروح، وما تبع وجودهم إلا وجوده تعالى، ولهذا أمر ملائكته بالسجود لآدم، وحرَّم عليه وعلى أولاده سجودهم لغيره تعالى، ليعلموا أنه أفضل الخلق.

• قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [البقرة: ٥١].

قيل: السر فى الانحصار فى أربعين، وهى أكمل الأعداد فى التربيع، نظرًا واعتبارًا إلى الأصل.

وقيل: الإشارة فى الآية والإيراد بلفظ الأربعين فى الميعاد، لاختصاصه فى الأكملية، وذلك لأن مراتب الأعداد أربع: الآحاد.. والعشرات.. والمئات.. والألوف.. والعشرة عدد فى نفسها كاملة، كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦].. وإذا ضعَّفت العشرة أربع مرات يكون أربعين، وهو كمال الكمال، وهو عدد أيام تخمير طينة آدم.. على نبينا وعليه أفضل الصلوات وأكمل التسليمات.

وعند العلماء المحققين: للأربعين خاصية وتأثير لم يوجد فى غيره من الأعداد، كما ذكر فى المقدمة مفصلاً، وجاء فى الحديث: «إن خلق

أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يومًا[(١)]».

وكما أن انعقاد الظلم الجسمانى على وجه الكنز الروحانى كان مخصوصًا بالأربعين، كذلك الخلافة تكون بالاختصاص فى الأربعين.. والبعثة وقعت عند الأربعين ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ [الفتح: ٢٣].

ولهذا المعنى قال رسول الله ﷺ: «من أخلص لله تعالى أربعين صباحًا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه[(٢)]».

● قوله تعالى: ﴿فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

هى للصفات الأربعة التى تولدت من العناصر الأربعة.. فتولدت من ازدواج كل عنصر مع قرينه صفتان.. فمن التراب والماء تولد الحرص والبخل، وهما قرينان، حيث إن وجد أحدهما وجد الآخر.. ومن النار والهواء تولد الغضب والشهوة، وهما قرينان يوجدان معًا.. ولكل واحدة من هذه الصفات زوج خلق منها ليسكن إليها حواء وآدم، ويتولد منهما صفة أخرى: فالحرص زوجة الحسد، والبخل زوجة الحقد، والغضب زوجة الكبر.

فأمر الله تعالى خليله بذبح هذه الصفات، وهى الطيور الأربعة:

**الأول**: طاووس البخل، **والثانى**: غراب الحرص، **والثالث**: ديك الشهوة. **والرابع**: نسر الغضب.

كما فيها إشارة إلى الجبال الأربعة (وهى النفوس) التى جبل الإنسان عليها:

---

(١) عن عبد الله بن مسعود، رضى الله عنه، صحيح البخارى، كتاب بدء الخلق، حديث رقم ٢٩٦٩.

(٢) ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات، والأصح أنه ضعيف، انظر: الأسرار المرفوعة فى الأحاديث الموضوعة ص٢١٨.

**أولها:** النفس النامية، وتسمى النفس النباتية.

**وثانيها:** النفس الأمارة، وتسمى الروح الحيوانى.

**وثالثها:** القوة الشيطانية، وتسمى الروح الطبيعى.

**ورابعها:** القوة الملائكية، وتسمى الروح الإنسانى.

ومن أراد تفصيل هذه المسألة فعليه بمطالعة تفسير «نجم وآية» يجد هناك مستوفى ما مسَّ وجود العالم مثله، بعد كتاب الله تعالى، وكتاب الرسول عليه الصلاة والسلام.

قال الفاضل القاشانى فى معنى هذه الآية: هذا إبناء للقوى الأربعة التى تمنعه عن مقام العيان وشهود الحياة الحقيقة.

وقيل: الطيور الأربعة كانت: طاووسًا، وديكًا، وغرابًا، وحمامةً.. ومن أمعن النظر يجد فى كل طير صفة من صفات القوى الأربع:

فالطاووس: هو العجب، والديك: هو الشهوة، والغراب: هو الحرص، والحمامة: حب الدنيا، ولهذا السر حصر فى الأربعة.

وقيل: نظرًا إلى بدن إبراهيم، عليه السلام[1].

• فى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

قال أبو الليث، رضى الله عنه ونفعنا بعلومه، فى تفسيره: نزلت هذه الآية فى شأن على بن أبى طالب، رضى الله عنه وكرم الله وجهه، حيث كان عنده أربعة دراهم، ولا يملك غيرها.. فلما نزل التحريض بالصدقة، تصدَّق بدرهم بالليل، وبدرهم بالنهار، وبدرهم فى السر، وبدرهم فى العلانية.. فنزلت هذه الآية، وفيها سر التربيع ظاهر بوجهين.

(١) أى ما فيه من الطبائع الأربعة الجامعة للحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة المتولدة من الأركان الأربعة (النار، والهواء، والماء، والتراب).

وقيل: نزلت فى أبى بكر، رضى الله عنه، حين تصدق بأربعين ألف دينار: عشرة بالليل، وعشرة بالنهار، وعشرة فى السر، وعشرة فى العلانية.. وفى هذا التفسير سر التربيع على وجهين غير خفى على الفطن الذكى البالغ قوته.

• فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [البقرة: ٥١].

قال الفاضل العالم العامل القاشانى، رحمة الله عليه، ونفعنا بعلومه: يعنى ترفع درجات موسى، عليه السلام، ليتصفى قلبه من غشاوة الطبيعة التى حجبت قلبه عن معدن عالم الأرواح فى هذه الأربعين، التى خلق فيها بدنه عند تكونه جنينًا، واحتجابه بالنشأة عن الفطرة، كما ورد فى الحديث: «خمرَّ الله طينة آدم عليه السلام، بيده أربعين صباحًا عن وجه قلبه.. أو ليظهر الحكمة النورية من قلبه على لسانه[1]».

ولهذا ورد فى الحديث: «من أخلص لله أربعين صباحًا.. إلى آخر الحديث»، وقيل فى معناه: وواعدنا موسى القلب فى عالم النور، عند تعلقه بالبدن، واحتجابه عن قومه، القوى الروحانية فى الأربعين، التى فيها خلقت فى شأنه الأولى الوجودى الدنيوى.. فظهور كمال موسى، عليه السلام، بالبلوغ الحقيقى، وانقضاء الأربعين.

وكذا بانقضاء الأربعين من عمركم.. فظهور نور القلب بتجردكم لكى تشكروا نعمة توفيقى إياكم لذلك التجرد، ونهيئ أسباب كمالكم بسلوك سبيل صفاتى.. ولهذا السر الذاتى الأصلى كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ وغير ذلك من المحامد كما سيذكر فى موضعه إن شاء الله تعالى.

• قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

---

(١) الحديث موضوع قاله الشوكانى فى الفوائد ص٤٥١، وقال صاحب المختصر: ضعيف، وقال العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء جـ٤، ص٢٦٩: هو باطل.

قال الفاضل القاشاني: «إن صلاتي»: أي حضوري وشهودي بالروح.. «ونسكي»: أي تقربي أو كل ما أتقرب به بالقلب.. «ومحياي» بالحق.. «ومماتي»: بالنفس.. أي كل هذا لله، لا نصيب لي ولا لأحد غيري فيه؛ لأني قمت به له بالفناء، فلا وجود لي ولا لغيري.. «رب العالمين»، أي له باعتبار الجمع في صورة تفاصيل الربوبية، والحصر فيها إلى الأربعة ظاهر غير خفي للتأمل.

● قوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

قال أهل التفسير: إن في هذه الآية الكريمة دلالة على أن الحفظة أربعة: اثنان بالليل، واثنان بالنهار، وعلى ما ذكره المفسرون حيث قالوا: سمى الله صلاة الصبح «مشهودًا»؛ لأنها تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار.

ويدل على ذلك قوله ﷺ: «إن لله ملائكة يتعاقبون فيكم، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار[1]». فهم أربعة على عدد الأركان، مطابقًا لأصول الإنسان على ما مرّ مرارًا.

وكذلك أصول الإنسان أربعة أقسام: اثنان ليلي، واثنان نهاري.. القلب والروح ليليان، والنفس والجسد نهاريان.

● قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٢٩].

قال الفاضل القاشاني، رحمه الله: أي كل مكان سجود، أو وقت سجود. وقال: السجود أربعة أقسام، نظرًا إلى الأركان الأصلية الخلقية:

---

(١) عن ابى هريرة، رضى الله عنه، صحيح البخارى، كتاب مواقيت الصلاة، حديث رقم ٥٢٢.

**الأول**: سجود الانقياد والطاعة، وإقامة الوجه فيه بالإخلاص والاجتناب عن الرياء، والالتفات فى العمل لله، وعدم الاستعانة بالغير فيه، ومراعاة موافقة الأمر مع صدق النية، والامتناع عن المخالفة فى جميع الأمور «وهى العدالة».

**والثانى**: سجود الفناء فى الأفعال، وإقامة الوجه فيه بالقيام بحقه، بحيث لا يرى مؤثرًا غير الله، ولا يرى أثرًا فى نفسه ولا فى غيره.

**والثالث**: سجود الفناء فى الصفات، وإقامة الوجه عنده بالمحافظة على شرائطه، بحيث لا يرى اثنينية ذاته بها[1]، ولا يريد ولا يكره شيئًا، من غير أن يميل إلى الإفراط، بترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ولا إلى التفريط بالسخط على المخالفة.

**والرابع**: سجود الفناء فى الذات، وإقامة الوجه عنده بالغيبة، والانطماس بالكلية، والامتناع عن إثبات الاثنينية، فلا يطغى بحجبات الأنانية.

ولا يتزندق بالإحاطة وترك الطاعة.

قال صاحب الإتقان فى علوم القرآن (ورواية عن عبد الله بن عباس، رضى الله عنه): التفسير أربعة أوجه: وجه يعرفه العرب من كلماتهم، وتفسير لا يقدر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله.

• قوله تعالى: ﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

يعنى فى المقامات والمراتب، فكما أن السجود منحصر فى الأربعة، كذلك الخلوص فيها منحصر فى أربع مراتب يكنى عنها بالمقام:

الأول: يعنى الساجد والعابد بخلوص القلب فى المقام الأول،

---

(١) لا يرى اثنينية ذاته؛ لأنه فى مقام الجمع.

بتخصيص العمل لله. وفى الثانى: برؤية الدين، وفى الثالث: بالطاعة فى الله تعالى. وفى الرابع: برؤيته بالله تعالى وتقدس، فيكون الله تعالى هو المتفضل بدينه ليس لغيره فيه نصيب.

وقيل: فى مقابلة مراتب الهدى، مراتب شياطين القوى الإنسانية النفسانية وهمته متحصلة، والسر فى الحصر ظاهر على البالغ الفطن.

• قوله تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

الزينة: على أربعة أقسام، وهذه الأقسام قد شبهت بالاعتبار على مراتب السجود:

فزينة الأول فى السجود: هى الإخلاص فى العمل لله.

وزينة الثانى: التوكل ومراعاة شرائطه.

وزينة الثالث: هو القيام بحق الرضا.

وزينة الرابع: هو التمكين فى التحقيق بالحقيقة، ومراعاة حقوق الاستقامة وشرائطها.

• قوله تعالى: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ﴾ [التوبة: ٢].

قيل: هذا خطاب إلى الأركان أو إلى الحواس ظاهرها وباطنها، وقواه الجسمانيين والروحانيين جميعًا.. وتعنى: فسيحوا فى أرض أجسادكم الذى هو محل زرع الأعمال الصالحة فى أكمل الأوقات من الزمان، وهى أربعون يومًا أو شهرًا أو سنةً حيث اقتضى حال السالك فى سلوكه؛ لأن السالك مثل المريض، والنبى صلى الله عليه وعلى آله وبارك وسلم كالطبيب، والخليفة من المشايخ مثله، يداوى بنوع من أنواع المعالجين، وجزء من أجزاء العقاقير مثل الخلوة والعزلة والصوم والصلاة، والسكوت والتسبيح والتهليل وبسائر اللوازم من لوازم الآداب فى السلوك.

وبعض المرضى يداوى ويصح فى أربعة أيام، وبعضهم فى أربعة أشهر.. ومن لم يداوى أمراضه فى هذه الأوقات، أو فى عمره (فى أربعين سنة) وهو فى قيد الوارد النفسى، فعليه أن يسيح فى أرض جسده على مقتضاه، لا يجعل له التداوى عند أحد من الناس.

قال الفاضل القاشانى، رحمة الله عليه، فى تفسير تلك الآية: قال الله تعالى ذلك تنبيها لهم، فإنهم وقفوا فى الدنيا بالغير بالشرك، فحجبوا عن الدين والأفعال والصفات والذات فى برزخ الناسوت، فلزمهم أن يقفوا فى الآخرة على الله تعالى، ثم على الجبروت، ثم على الملكوت، ثم على النار، كما قيل: والمشركون موقوفون فى المواقف الأربعة من هذه المواقف كما مر بيانها.

● وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٢].

يعنى بعد الاجتهاد عند الطبيب الكامل فى الأوقات المذكورة.

– قال تعالى فى هذه السورة: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥].

يعنى: بعد تصفية القلب بالخلوة فى الأشهر الحرم بمعاجين العزلة والصحبة والعبادة(١)، فاقتلوا جميع الموانع من المخالفين فى طريق الحق.

– وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [التوبة: ٥].

أى بعد حصول التزكية والصلاح بسبب المعالجة بهمة الشيخ، فتاب وأقام المأمورات الظاهرة والباطنة؛ لأن الصلاة جامعة للكل من أنواع العبادات الإنسانية والملكية والمعدنية والنباتية والجمادية من الحقائق والخلائق الأربعة المحصورة بهذه العوالم الدنيوية الفانية الزائلة الباقى أثرها.

---

(١) كلمة معاجين، تعنى شدة الاندماج فى العزلة والعبادة حتى كأنه عجن فيها.

• قوله تعالى: ﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

يعنى: بعد حصول التزكية، وبعد الخروج من قيد الأوهام والخيالات الفاسدة والوساوس الكاسدة، حصل له مقام التمكين فى اعتقاده وحسن ظنه بربه جلّ شأنه، لقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].. وفى هذه الآية سر التربيع ظاهر كما مر بيانه، وكما سيجئ من بعد إن شاء الله تعالى.

• قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُۥ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٨].

الآية يعنى: اطلبوا هذا الأجر بأربعة أشياء:

اطلبوه بالتجرد عن متاع الدنيا من الأولاد والأموال بمراعاة حق الله فيها.

واتقوا الله بالاجتناب. **أولاً**: عن نقض العهد، **والثانى**: عن وهن العزيمة، **والثالث**: عن إخفاء الأمانة ظاهرًا وباطنًا، **والرابع**: عن محبة الأموال والأولاد.

• قوله تعالى: ﴿۞إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم﴾ [التوبة: ١١١].

قال الفاضل القاشانى، رحمه الله: يعنى لما هداهم إلى الإيمان العلمى، وهم مفتونون بمحبة الأموال والأولاد والأنفس، وهذا الاشتراء لفرط عنايته تعالى بهم.. وعلى العباد الذين رجعوا عن محبة النفس والمال: أن يعبدوا الله حق عبادته، لا لرغبة ولا لرهبة، بل تشبيها بملكوته فى أن القيام بحقه تعالى بالخضوع، وحق حمده بإظهار الكمالات العملية الخلقية والعلمية المكنونة فى استعداداتهم بالقوة حمدًا فعليًا، وأن يسيحوا ويتوجهوا إليه بالهجرة فى مقام الفطرة ورؤية الكمالات، وأن يركعوا فى مقام محو الصفات، وأن يسجدوا بفناء الذات وأن يقوموا بالأمر

بالمعروف والنهى عن المنكر، والمحافظة على حدود الله فى مقام البقاء بعد الفناء.

وهذه المقامات أربعة اعتبارًا ونظرًا إلى الطور الذاتى الطبيعى، مركوزًا فى ذات الإنسان الكامل ظاهرًا وباطنًا، ووجه الحصر فى الأربعة قاصر على المستمع.

• قوله تعالى: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

يعنى: اجتنبوا رذيلة الكذب، فإن الكذب أسوأ الرزائل وأقبحها، لكونه ينافى المروءة، كما جاء فى الأثر الشريف «لا مروءة لكذوب»، إذ أن المراد من الكلام الذى يتميز به الإنسان عن سائر الحيوانات: إخبار الغير عما لا يعلم.. فإذا كان الخبر غير مطابق، لم تحصل فائدة النطق، ويحصل منه اعتقاد غير مطابق.. وذلك من خواص الشيطنة، فالكاذب شيطان.

وكما أن الكذب أقبح الرزائل، فالصدق أحسن الفضائل، كما قال تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، وقال تعالى فى حق إسماعيل النبى، عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾ [مريم: ٥٤].

وإذا روعى الصدق فى المواطن كلها، حتى الخاطر والفكر والنية والعمل، صدقت المنامات والواردات والأحوال والمقامات.. ويقال: المواهب فى المشاهدات كأنه أصل شجرة الكمال وبذر ثمرة الأحوال.

والفاضل العلامة بيَّن وجه الحصر فى الكذب والصدق فى أربع خصال وأدرج فيها مجالاتهما وهى: المنامات.. والواردات.. والأحوال.. والمقامات.. ليعلم أن سر التربيع سار وجار فى أكثر المراتب والمدارج، خصوصًا فى نشأة الإنسانية الأصلية، كما فهم فى المقدمة من قبل.. وسيجئ بيان سر التربيع فى مواضع من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

• قولــه تعــالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

قـال صـاحب كتـاب نجم الدايـة، رحمـة الله عليـه ونفعنـا بعلومـه: والإشارة فى تحقيق هذه الآية: أن الفلاح الحقيقى لأهل الإيمـان موقـوف على هذه الخصال الأربع.. فقولـه تعـالى: ﴿ٱصْبِرُواْ﴾ أى علـى مجـاهدة النفس بنهيها عن هواها وأمرها بطاعة سيدها، ﴿وَصَابِرُواْ﴾ على مراقبة القلوب مع الله بالتسليم والرضا بالأحكام الأزلية عند البلاء والابتلاء، ﴿وَرَابِطُواْ﴾ بمرابطة الأرواح إلى الوصول بالله، والانقطاع عمـا سـوى الله، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بحفظ الأسرار عن الالتفات إلى الأغيار، والفناء فى الله، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ يعنـى عـن حجـب الوجـود بالفنـاء فـى الله، وتفوزون بالبقاء بالله، بتوفيق الله وجذبات عنايته.

• قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

وفى هذه الآية أيضًا سر التربيع مبيَّن، وفى كل لفظ من هذه الألفـاظ الأربعة سر التسديس ليس ظـاهرًا، ولـولا خـوف التطويـل لزيلـت فيـها أنواع التربيع والتسديس، وكشفت ما كان مستورًا من أسـرار التـأويل، مطابقًا لكلام الله رب العالمين وسنة رسوله الأمين ﷺ.

قيـل: لفـظ ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ مقـابل الأرواح، ﴿وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ مقـابل القلوب، ولفظ ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ مقابل لنفحات رحمانيـة وفتوحـات إلهيـة، ﴿وَٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ مقابل الأعمال الصالحة، كمـا قـال تعـالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

• قوله تعالى: ﴿إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [المائدة: ١٢].

قيل: فى الآية إشارة إلى مراتب الصلاة ودرجاتها وهى أربعـة: القيـام

والركوع والسجود والتشهد، على حسب درجات نزلت من أعلى عليين.. وجوار الرتب إلى أسفل سافلين القالب، وهو العناصر الأربعة التى خلق منها قالب الإنسان، فالمتولدة منها أيضًا على أربعة أقسام، ولكل قسم منها ظلمة خاصة تحجبك عن مشاهدة الحق وهى:

**الجمادية**: وخاصيتها التشهد، **ثم النباتية**: وخاصيتها السجود، **ثم الحيوانية**: وخاصيتها الركوع، **ثم الإنسانية**: وخاصيتها القيام.

**فالقيام**: يشير إليك بالتخلص عن حجب أوصاف الإنسانية وأعظمها الكبر، وهو من خاصية النار.

**والركوع**: يشير إليك بالتخلص عن حجب طبع الحيوانية وأعظمها الشهوة وهو خاصية الهواء.

**والسجود**: يشير إليك بالتخلص عن حجب طبع النباتية وأعظمها الحرص على الحرث المنثور والنمو وهو خاصية الماء.

**والتشهد**: يشير إليك بالتخلص عن حجب طبع الجمادية وأعظمها الجمودة، وهى خاصية التراب.. ومن هذه الصفات الأربع تنشأ بقية صفات البشرية.. فإذا تخلصت عن هذه الدركات والحجب، ورجعت بهذه المدارج الأربعة إلى جوار الحق وقربه، فقد أقمت الصلاة مناجيًا ربك مشاهدًا له.

- قوله تعالى: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: ١٢].

قال أرباب التأويل من المشايخ فى تفسيرها: جعل الله فى مقابلة نقباء بنى إسرائيل فى هذه الأمة من النجباء والبدلاء وأعز الأولياء: أربعين رجلاً فى كل حال وزمان على أكمل الأعداد، ولتكميل سر التربيع الذى هو السارى فى أكثر الحقائق، كما مر تحقيقه، وسيجئ بمناسبة ما ذكر عن رسول الله ﷺ: «يكون فى هذه الأمة أربعون رجلا على خلق

إبراهيم عليه السلام[1]».

• قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨].

قيل: فى الآية إشارة إلى أربع نتائج، وذلك لا يحصل إلا بمقدمتين:

أولهما: الجذبة الإلهية.. وثانيهما: التربية الشيخية.

**وأما النتائج:**

**فأولها**: الإعراض عن الدنيا وما يتعلق بها بالكلية.. **وثانيها**: التوجه إلى الحق بصدق الطلب (وهما من نتائج الجذبة).. **وثالثها**: تزكية النفس عن الأخلاق الذميمة.. **ورابعها**: تحلية القلب بالأخلاق الإلهية (وهما من نتائج التربية الشيخية بالاستعداد لحصول القوة النبوية) فافهم سر التربيع، وكن عارفًا بالحقائق كلها.

قال صاحب تفسير نجم الداية: قيل: أكرم الله أربعة أنبياء منذ صباهم.

**الأول**: عيسى عليه السلام، كما قال فى حقه: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ٤٨].

**والثانى**: يحيى، عليه السلام، كما قال فى حقه: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢]. ومما روى فى حكمه: قال عليه السلام: من يحيا بالموافقة، فإنه لا يموت بالمخالفة.. فإن كنت اليوم حيًا بالمخالفة، تكن غدًا ميتًا بالعقوبة.

**والثالث**: سليمان، عليه السلام، أكرم فى صباه بالفهم، كما قال

---

(١) نص الحديث هو: «لن تخلو الأرض من أربعين رجلاً مثل خليل الرحمن» أخرجه الطبرانى فى الأوسط، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد: إسناده حسن. انظر الخبر الدال على الأبدال للسيوطى ص١٢.

تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

**والرابع**: يوسف، عليه السلام.. أوتى الحكمة فى صباه، فقوى سره لاحتمال البليات.

• قولــه تعــالى: ﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

تفسيرها: اعلم أن للغيب مراتب:

**الأول**: وهو علم الله تعالى المسمى «بالعناية الأولى».

**والثانى**: غيب عالم الأرواح، وهو انتقاش صورة كل ما وجد وسيوجد من الأزل إلى الأبد فى العالم الأولى العقلى الذى هو روح العالم المسمى بأم الكتاب على وجه كلى، وهو القضاء السابق.

**والثالث**: عالم القلوب وهو ذلك الانتقاش بعينه مفصلاً تفصيلاً علميًا كليًا وجزئيًا فى عالم النفس الكلية التى هى قلب العالم المسمى باللوح المحفوظ.

**الرابع**: عالم الخيال وهو انتقاش الكائنات بأسرها فى النفوس الجزئية الفلكية، منطبعة فى أجرامها معينة مشخصة، مقارنة أوقاتها على ما يقع بعينه.. وذلك العالم هو المعبر عنه فى الشرع بالسماء الدنيا، إذ هو أقرب مراتب الغيوب إلى عالم الشهادة.. وكل واحد من مراتب الغيوب مطابق فى المراتب الأصلية الإنسانية والأركان وفى السائر بين الحواس الظاهرة والباطنة.

قال الشيخ العربى الحاتمى (قدس الله روحه) فى كتاب مواقع النجوم:

التزم أربعة: الدعاء للمسلمين فى ظهر الغيب.. وسلامة الصدر.. وخدمة الفقراء.. وكن مع كل أحد كما تكون مع نفسك.

• قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ [يوسف: ٣٣].

يعنى: من ارتكاب شهوات النفس، وارتكاب الذنوب والعصيان.

وقيل: سمى الدنيا سجنًا للمؤمن لأربعة أوجه:

**الأول:** لأن المسجون ممنوع عن مراده وتصوره كما شاء، وكذا المؤمن ممنوع عما يشاء ويهواه من أمانيه الباطلة والأوقات العاطلة.. ويخاف المسجون كل ساعة أن يخرج ويقام عليه السب منه، كذلك المؤمن يجهد فى دنياه أن يرضى خصماءه، كيلا يخاصمونه بحضرة مولاه غدًا.

**الثانى:** أن المسجون يتضرع إلى البواب والحجاب، وكل نفس يتعلق بالملك، ليشفع به إليه فى أمره.. وكذا المؤمن يتوسل بكل أحد إلى الله تعالى، ويسأل الله بكل لسان فى أن ينقذه من مهاوى الهلكة.

**والثالث:** أن المسجون يديم رفع الصوت كل يوم، بل كل وقت، لعل الملك يرحمه فى أى وقت من الأوقات.. وكذا المؤمن ينبغى أن لا يفتر عن رفع الصوت بغصته فى أنواع التضرعات من الذكر والتسبيح والتهليل كل ساعة، فعسى الله أن يرحمه.

**والرابع:** أن المسجون إذا جوزى فى السجن، و لم يفضح بين أيدى الناس، فذلك أهون عليه.. وكذا المؤمن إذا ابتلى فى دار الدنيا، فإنه يحمد الله على أنه جوزى بذنوبه فى هذا العالم الدنى الفانى، و لم تؤخر عقوبته إلى دار البقاء.

فافهم هذه الأمثلة، فإنها لازمة الفهم.

● قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ [يوسف: ٤٦].

قيل: إن الله تعالى سمى فى القرآن أربعة بالصديق غير اسم المؤمنين:

– سمى إبراهيم عليه السلام، صديقًا فى قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٤١].

– سمى إدريس صديقًا، فقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٦].

– وأخبر عن تسمية يوسف صديقًا فى قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ [يوسف: ٤٦].

– وسمى «أبو بكر» صديقًا، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٣].

هذا وقد خص المولى جلّ شأنه هؤلاء الصديقين بأربع كرامات:

– أعطى إبراهيم عليه السلام «الخلة» قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

– وأعطى إدريس «الرفعة»، قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧].

– وأعطى يوسف «التمكين»، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٢١].

– وأعطى الصديق «الخلافة»، قال تعالى: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥].

• قوله تعالى: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ [يوسف: ٦٧].

قيل فى تفسير هذه الآية الكريمة: أربعة أبواب فتحت لأربعة نفر، فتحت لأربعة أشياء:

– **الأول**: فتحت أبواب النعمة للغافلين للاستدراج والإمهال، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤].

– **والثانى**: فتحت أبواب السماء على قوم نوح للخزى والنكال،

كما قال تعالى: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ [القمر: ١١].

– **والثالث**: فتحت أبواب النار على الكفار للعقوبة والنكال والسلاسل والأغلال كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١].

– **والرابع**: فتحت أبواب الجنان على المؤمنين للفضل والإحسان كما قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣].

وقيل أيضًا فى تفسير هذه الآية: أربعة نفر أمروا بدخول أربعة أبواب لأربعة أشياء:

– أمر الحُجاج بإتيان البيوت من أبوابها، كما قال تعالى: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]، وذلك لموافقة الشرع ومخالفة الهوى.

– وأمر أخوة يوسف، عليه السلام، بدخول أبواب مصر، لكمال الشفقة وحسن المقال، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ [يوسف: ٦٧].

– وأمر الكفرة بدخول أبواب النيران لإظهار العقوبة والنكال، كما قال تعالى: ﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [النحل: ٢٩].

– وأمر المؤمنين بدخول الجنان لكمال الكرامة وإظهار النوال، كما قال تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٤٩].

● وقوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

– قال أرباب التأويل من المفسرين: اعلم أن القلوب أربعة:

- **الأول**: قلب قاس.. وهو قلب الكفار والمنافقين، فاطمئنانه بالدنيا وشهواتها، كقوله تعالى: ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾ [يونس: ٧].

- **والثاني**: قلب ناس.. وهو قلب المسلم، لقوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]، فاطمئنانه بالتوبة ونعيم الجنة، كقوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢].

- **والثالث**: قلب مشتاق.. وهو قلب المؤمن المطيع، فاطمئنانه بذكر الله، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ٢٨].

- **والرابع**: قلب وجداني.. وهو قلب الأنبياء، عليهم السلام، وخواص الأولياء، فاطمئنانه بالله وبصفاته كقوله لخليله في جواب قوله: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

ولهذا إذا تجلى الله تبارك وتعالى في قلب العبد المؤمن يطمئن به، فينعكس نور الاطمئنان من مرآة قلبه على نفسه، فتصير النفس مطمئنة أيضًا، فيتحقق بجذبات العناية وهي خطاب: ارجعي إلى ربك. فافهم جدًا تفن سرًا تصل خيرًا.

• قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٤٩].

قال أهل التأويل من المفسرين في معنى هذه الآية: واعلم أن الله تبارك وتعالى أعطى لكل شيء من أصناف المخلوقات سمعًا وبصرًا ولسانًا وفهمًا، يسمع كلام الحق، ويبصر شواهد الحق، ويتكلم بالحق، ويفهم إشارة الحق.. فتسبيح بعضهم بلسان الحال، كما كانت الحصى

تسبح بين يدى النبى ﷺ.. وتسبيح بعضهم بلسان المقال على مـا صرح فى كتب القـوم، وكمـا قـال تعـالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقيل: لسان الحال أنطق مـن لسـان المقـال.. لقولـه تعـالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠].

قال نجم الداية فى تأويل معناها: فى هذه الآية إشارة إلى أربعـة معـان وحكم أودعها الله فيها:

**الأول:** ما يتعلق بالله عزَّ وجلّ.. وهو أنه تعالى أراد أن يظهر به صفة لطفه وقهره وكمال قدرته وحكمته.. فأظهر صفة لطفـه بـآدم إذ خلقـه وشرفه على سائر المخلوقات، وأمر الملائكة بالسجود له، وسائر خصالـه لا تحصى.

**والثاني:** ما يتعلق بآدم، عليه السلام، وهـو أنـه لمـا أراد الله تعـالى أن يجعله خليفة فى الأرض، أودع طينته عند تخميرها بيـده أربعين صباحًا، وأدرج فى هذه الأربعين خصاله؛ لأن لفـظ «الأربعـين» أكمـل الأعـداد، وتجمع مراتب الأعداد، وأسرارها كما مـر ذكـره وسيذكر فيمـا بعـد.. وأودع فيه سر الخلافة وهو اسـتعداد قبـول الفيـض الإلهـى بـلا واسـطة، وعلى أكثر الأنبياء، عليـهم السـلام، بواسـطة.. وقـد اختصـه الله وزينـه بهذه الكرامة بقوله تعـالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسـراء: ٧٠]، أى من بين سائر المخلوقات.

كما أخبر النبى ﷺ، وكشف القناع عن وجه هـذا السـر الـذى جـاء فى تكريم آدم ، عليه السلام، وقال: «إن الله خلـق آدم فتجلـى فيـه[1]». ولهذه الكرامة صار مسجودًا للملائكة المقربين.

---

(١) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد، وأحمد فى المسند عن أبى هريرة مرفوعًا.

**والثالث**: ما يتعلق بالملائكة.. وهو أنهم لما خلقوا من النور الربانى العلوى، كان من طبعهم الانقياد لأوامر الله تعالى، والطاعة والعبودية له.. فلما أمروا بالسجود لآدم، عليه السلام، وامتحنوا به، وذلك غاية الامتحان؛ لأن السجود أعلى مراتب العبودية الأربع، فإذا أمر أحد أن يسجد لغير الله، فذلك غاية الامتحان للامتثال، فسجدوا لآدم بالطوع والرغبة من غير كره، امتثالاً وانقيادًا لأوامر الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وكذلك وجب على كل مؤمن موحد أن يمتثل ما أمر به الشرع على كل حال.

**والرابع**: ما يتعلق بإبليس عليه اللعنة.. وهو أنه لما خلق للضلالة والغواية والإضلال والإغواء، خلق من نار، وطبعها الاستعلاء والاستكبار، وأن نظمه الله تعالى فى سلك الملائكة، كما نظم بعض المنافقين فى زمرة الإسلام، وكساه كسوة الملائكة، كما تشبه بعض الصوفية من أرباب الضلال والإضلال فى زى الصوفية، تقليدًا لا تحقيقًا، عصمنا الله من التقليد، وأوصلنا إلى نهاية التحقيق.

فلما امتحن إبليس بسجوده لآدم، عليه السلام، فى جملة الملائكة، خلع عنه كسوة الرغبة والرهبة، ليميز الله الخبيث من الطيب، فظهر عنه تلك المخادعات، وعاد المشئوم إلى طبعه، فسجد الملائكة، وأبى إبليس واستكبر فى غيه، وظهر أنه من الجن، وأنه طبع كافرًا.. حفظنا الله تعالى من شره ووسواسه، بحرمة محمد وآله وصحبه ﷺ وعلى آله وصحبه.

وقيل السر فى هذه المراتب: لأن كل مرتبة تقابل ركن من أركان الإنسان الأصلى: بعضها روحانى، وبعضها نفسانى وبعضها جسمانى، وبعضها قلبى باطنى صنوبرى ذاتى.. لأجل ذلك جىء بالمراتب، كما لا يخفى على العارف المتأمل الصادق.

● قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩﴾ [مريم: ٥٨].

قال بعض العلماء: فى هذه الآية سر التربيع ظاهر.. وقال تعالى بعد هذه الآية الكريمة الجامعة: ﴿۞فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: ٥٩]، وقال تعالى فى هذه السورة فى وصف الجنة وأهلها ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ﴾ [مريم: ٦٢]، والسلام على أربعة أقسام:

- يقال أهل الجنة أهل السلامة.
- وسميت الجنة دار السلام.
- والسلام من بنى آدم.
- والسلام من الملائكة لأن تحيتهم فيها سلام.

وهذه الأقسام الأربعة من السلام معتبر ومطابق للأصول.. لذلك يكون سلام المؤمن بلسانه وبقلبه وبروحه وبنطقه (يعنى بنفسه).. فافهم التوفيق الإلهى فى كل شىء.

● قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ﴾ [مريم: ٦٥].

الآية تشير إلى أنه خالق ورب لسماوات الأرواح وأرض الأجساد وما بينهما من النفس والقلب.. فاعبده بهذه الأربع:

قيل **عبادة الروح:** ببذل الوجود لنيل المعبود.

**وعبادة جسدك إياه:** بأركان الطريقة وهى الائتمار بما أمرك الله تعالى، والانتهاء عما نهاك الله عنه.

**وعبادة نفسك:** بآداب الطريقة وهي ترك موافقة هوانا، ولزوم ملازمة هواه.

**وعبادة قلبك:** بالإعراض عن الدنيا وما فيها، والإقبال على الآخرة ومكارمها.

ووجه الحصر في الأربع غير خفي على الفطن البالغ الفهم الذكي.

• وقوله تعالى في سورة طه مخاطبًا موسى، عليه السلام: ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠].

يعني: نجيناك من أنواع ألم الفتن وهي أربعة:

**الأولى:** فتنة صحبة موسى، عليه السلام، مع فرعون، وتربيته عند قومه المخالف لشرعه، والتحفظ في التدين بدين غيرهم.

**الثانية:** فتنة قتل نفس بغير حق، والفرار من فرعون بسبب قتل قبطي (فتى منهم).

**والثالثة:** بابتلاء ابنتي شعيب نبي الله، عليه السلام، واحتياجهما إليه في السعي.. فلولا حفظ الله تعالى له، لمال ميل البشر إليهما.

**والرابعة:** ابتلاء موسى، عليه السلام، في خدمة شعيب، عليه السلام، وصحبته واستجارته، فبتوفيق الله تعالى خرج عن عهدة حقوقه.

وتقسم الفتن إلى الأربعة ظاهر للمستبصر الفهم.

• قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ [المائدة: ٥٤]. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

فاعلم أن للمحبة أصولاً وآدابًا، وذلك لا ينكشف إلا بمعرفة حقيقة المحبة في نفسها، ثم معرفة شروطها وأسبابها.

وهذه الشروط والأسباب تنكشف بحفظ الأصول وهي أربعة:

**الأول**: أنه لا يتصور المحبة إلا بعد معرفة وإدراك، إذ لا يحب الإنسان ما لا يعرفه، ولذلك لم يتصور أن يتصف الجماد بالحب، بل الحب من خاصية الحي المدرك، فكل ما في إدراكه لذة وراحة، فهو محبوب عند المدرك، وما في إدراكه ألم فهو مبغوض عند المدرك.. فهذا أصل في حقيقة معنى الحب.

- **الثاني**: أن الحب لما كان تابعًا للإدراك والمعرفة، انقسم لا محالة بحسب انقسام المحبة والمدركات والحواس إلى أقسام شتى، فلكل حاسة إدراك نوع من المدركات، وذلك في الإنسان على أربع مراتب:

الأول: إدرك الجسد، والثاني: إدراك النفس، والثالث: إدراك القلب، والرابع: إدراك الروح.

بهذه الأمثلة استغن عن الشرح والبيان؛ لأنها قد سبقت أمثالها، ولكل واحد منها لذة في بعض المدركات، وفي الطبع ميل إليها بسبب تلك اللذة، فكانت محبوبًا عند الطبع السليم.. كلذة العين مثلاً عند رؤية المبصرات الجميلة.. ولذة الذوق في المطعوم.. وكذا قال الرسول الأكرم ﷺ: «حبب إليَّ من دنياكم ثلاث[1]».

- **الثالث**: أن الإنسان لا يخفى أثر نفسه، ولا يخفى أنه قد يحب غيره لأجل نفسه.

وهل يتصور أن يحب الإنسان غيره ليس من أجل نفسه.. هذا مما قد يشكل على الضعفاء حتى يظنون أنه لا يتصور أن يحب الإنسان غيره لذاته، ما لم يرجو منه حظ إلى المحب.. وللمحبة أسباب كالإحسان، فإن الإنسان عبيد الإحسان، وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها،

---

(١) قال السخاوي في المقاصد الحسنة: لم أقف على لفظ ثلاث.. وقال الزركشي في التذكرة: رواه النسائي والحاكم من حديث أنس بدون لفظ ثلاث.. وذكره القاري في الأسرار المرفوعة في الأحاديث الموضوعة ص١٠٧، وقال نفس الكلام.

وبغض من أساء إليها.. وهذا الحب لذاته لاحظ منه وراء ذاته، وهذا هو الحب الحقيقى البالغ الذى يوثق بدوامه، فإن كل جمال هو محبوب؛ لأن الجمال عين اللذة، واللذة محبوبة، والنظر إلى الجمال الحسن محبوب لذاته، كما أن النظر إلى الخضرة وإلى الماء الجارى لذاته، لا لشرب الماء وأكل الخضرة.

- **الرابع**: فى بيان معنى الحسن والجمال.. فاعلم أن بعض الناس زعم أن الحسن الأغلب فى الأشكال وامتداد القامة، فيفطن ما ليس مبصرًا ولا شكلاً ولا متلونًا متقدرًا، فلا يتصور حسنه، وهذا منه خطأ ظاهر.. يلزم من هذا عدم الالتفات إلى حسن الصوت وحسن الهيئة، فالعين تلتذ بحسن الهيئة، والأذن تلتذ باستماع النغمات الحسنة الطيبة.. وجميع المدركات منقسمة إلى حسن وقبيح، وغير ذلك من الأمثلة التى حررت فى الأصل، فاطلبها منه.. والأصل كتاب الإحياء للغزالى.

● قوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ [فصلت: ١٠].

يعنى: تقوى البشرية الأصلية الإنسانية فى أربعة أيام، أى مع يومى خلق الأرض (يعنى يومى روح الحيوانى وروح الطبيعى) وبذلك تكون الأيام ستة، يشير بها إلى قوى البشرية الأصلية الإنسانية وهى أربع كما قال تعالى فى سورة طه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ [طه: ١٣٢].

فالآية فيها إشارة إلى الأركان الأصلية الأربعة الإنسانية الوهبية وهى: الجسد، والقلب، والروح، والنفس.. وإلى العناصر الأربعة.

يعنى: يتوجه العبد إلى عبادة ربه بما يلى:

**أولاً**: بتطهير قلبه من الشرك.

**وثانيًا**: يتوجه بنفسه، يعنى يريد أن يعلم ويعرف نفسه وذاته، ليكون وسيلة إلى معرفة ربه.

**ثالثًا**: أن يتوجه ظاهرًا بجسده لتكميل حقوق الله، وهي العبودية الواجبة على العبد إقامتها كما جاء في الحديث القدسي.. خصوصًا في الآية المنصوص عليها بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

**رابعًا**: أن يتوجه باطنًا، (يعني بحق السر) بروحه ليحصل له الحقيقة ويتنور قلبه، ليكون سببًا لعروج الروح بالأعمال الصالحة إلى السماوات، وإلى قرب مولاه عزَّ وجلَّ كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

وقيل: يشير فيها إلى الأصول الأربعة: يعني يتوجه العبد إلى عبادة ربه بالجسد ظاهرًا، وبالقلب والنفس والروح باطنًا.

**فصلاة الجسد**: من الصلوات المفروضة والنوافل، ومن سائر المأمورات في أوقاتها.

**وصلاة النفس**: عروجها عن حضيض البشرية إلى ذروة الروحانية، وخروجها عن أوصافها، لدخول الجنة المشرفة بالإضافة إليه تعالى في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝٢٩ وَٱدْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٩، ٣٠].

**وصلاة القلب**: دوام المراقبة، ولزوم الحاضرة، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣].

**وصلاة الروح**: فناؤه في الله وبقاؤه بالله كما قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]؛ لأن الفاني عن نفسه هو الباقي بربه تعالى وتقدس اسمه.

- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ [الحج: ١١].

والانقلاب يتصور بأربعة أوجه:

**الوجه الأول:** بتبدل الأفراد بالإنكار والاعتراض.

**والثانى:** بتبدل التسليم بالأنبياء.

**والثالث:** بتبدل الإرادة بالارتداد.

**والرابع:** بتبدل الصحة بالهجران.

● وفى مقابل هذا الانقلاب هناك ذكر أربع خصال للمجدين فى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٥].

وكذا من تفسير الشيوخ: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦٠].

قيل: فى هذه الآية إشارة إلى العبادة بالأركان الأربعة الأصلية، وهى: الجسد، والقلب، والنفس، والروح.

وقيل: الإشفاق يتصور فى **النفس**.. والإيمان بالسر والعلانية بشواهد الحق يتصور **بالجسد** لأن العبادة لا تحصل إلا بالجسد أولاً.

● قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [البينة: ٥].

والتحرز من الشرك لا يتصور إلا بالتوجه إلى حضرته تعالى بصدق الطلب فى العبودية، وخلوص الروح له فلا يلتفتون إلى سواهم فى الدنيا ولا الآخرة.

وجلاء **القلب** لا يتصور إلا بالخوف والخشية فى العبادات ظاهرًا وباطنًا.. ولا يكن العروج من حضيض ذلك الجسد المترى إلا بالتدريج فى المراتب.. لذلك جاء الحق سبحانه فى الآية بالمراتب الأربع لتكميل

مراتب الإنسان.. وحفظ هذا لابد منه لكل طالب صادق في خلوصه في سلوكه.

● قوله تعالى في سورة النور: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور: ٣٣].

يعني: في كل ركن من الأركان الأصلية الإنسانية زكاة.

فزكاة **الجسد**: أداء الفرائض.

وزكاة **النفس**: أداء الأمانات في قوى الإنسان وحواسه، ظاهرة وباطنة.

وأداء زكاة **القلب**: التوجه إلى الله بحسن النية.

وأداء زكاة **الروح**: تزكية البدن في كلٍ حيث خفيها وجليها.

● قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥].

اعلم أن النور على أربعة أوجه:

أولها: نور يظهر الأشياء للأبصار وهو لا يراها، كنور الشمس وأمثالها، فهو يظهر الأشياء المخفية في الظلمة ولا يراها.

وثانيها: نور البصر، وهو لا يظهر الأشياء للإبصار، ولكنه يراها.. وهذا النور أشرف من الأول.

وثالثها: نور العقل، وهو يظهر الأشياء المعقولة المخفية في ظلمة الجهل للبصائر، وهو يدركها ويراها.

ورابعها: نور الحق تعالى، وهو يظهر الأشياء المعدومة المخفية في العدم للإبصار في الملك والملكوت، ويراها في الوجود كما كان يراها في العدم؛ لأنها موجودة في علم الله تعالى، وإن كانت معدومة في ذاتها، مما لا يغير علم الله تعالى، ورؤيته بإظهارها في الوجود، بل كان

التغير راجعًا إلى ذوات الأشياء وصفاتها عند الإيجاد والتكوين.

فتحقيق قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أى: مظهرها ومبديها وموجدها من العدم بكمال القدرة الأزلية.

• قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٤١].

إشارة إلى تسبيح الإنسان والملك، وإلى سائر الحيوانات والجمادات. وفيها إشارة إلى أنواع التسبيحات فى أطوار الإنسان ومراتبها الأصلية، كما مرَّ توجيهه مرارًا.

• قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

يشير إلى: متقى **الجسد**: الذى يتقى بالأوامر والنواهى.. والمتقى **بالنفس**: بالأوصاف الحميدة من الأوصاف الذميمة.. ومتقى القلب: بمحبة الله تعالى من محبة الأغيار.. ومتقى الروح بالله عما سواه.

عن عبد الله بن عمر، رضى الله عنهما: «خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله، وسالم، ومعاذ، وأبى بن كعب[1]»، وسالم هو مولى أبى حنيفة.

• قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

يشير إلى أن للغيب أربع مراتب:

**الأول**: هو أهل الأرض فى الأرض والسماء.. وهى كناية عن أرض الجسد، وليس للإنسان إمكان الوصول إليه إلا بالإرادة، يعنى إرادة الحق جلَّ شأنه، كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

(١) رواه عبد الله بن عمرو بن العاص، صحيح البخارى، كتاب المناقب حديث رقم ٣٥٢٤.

**والثانى**: هو غيب أهل السماء فى السماء والأرض.. وليس لهم إمكان الوصول إليه إلا بتعليم الحق، مثل الأسماء كما قال تعالى: ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٣١ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة: ٣١، ٣٢]، ومن هنا يتبين لك أن الله تعالى قد كرَّم آدم بكرامة لم يكرم بها الملائكة، وهى اطلاعه على مغيبات لم تطلع عليها الملائكة وذلك بتعليم الله تعالى له علم الأسماء كلها.

**والثالث**: هو غيب الخصوص بالحضرة، ولا سبيل لأهل السماوات والأرض إلى علمه إلا من ارتضى من رسول له، كما قال تعالى: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦].. وبهذا يُستدل على فضيلة الرسول على الملائكة؛ لأن الله تعالى استخصهم بإظهاره على غيبه دون الملائكة، ولهذا سجدوا لآدم؛ لأنه كان مخصوصًا بإظهار الله إياه على غيبه، وذلك كما قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق آدم فتجلى فيه[1]».

والرابع: غيب استأثر الله تعالى بعلمه، وهو علم قيام الساعة، فلا يعلمه إلا الله تعالى. كما قال جلَّ شأنه: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥].

● قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ [لقمان: ٦].

تشير الآية إلى أن كل حديث يشغل صاحبها عن ذكر الله فهو لهو الحديث.. والمراد من لهو الحديث الفناء.. والفناء على أربع مراتب:

– منها ما هى محرمة، وهى ما صرح الشرع بحرمتها مثل المزامير وغيرها.

ومنها لم يتعرض الشرع أنها حلال أم حرام.

---

(١) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد، وأحمد فى المسند عن أبى هريرة مرفوعًا.

• قولـه تعـالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١].

الآية تشير فى الصبر إلى أربع مراتب:

قيل: الصبر قد يكون بالجسد، وقد يكون بالنفس، وقد يكون بالقلب، وقد يكون بالروح، ومع هذا يشير إلى معانى مختلفة منها:

أن فى شرط عبودية خواص العباد من الأنبياء والأولياء الصبر عند نزول البلاء والرضا بجريان أحكام القضاء.

– **ومنها:** ليعلم أن الله تعالى لو سلَّط الشيطان على بعض أنبيائه أو أوليائه لا يكون لإهانتهم، بل يكون لعزتهم وإعانتهم على البلوغ إلى مرتبة نعم العبدية، ودرجة الصابر الشاكر.

– **ومنها:** أن العباد من الأنبياء والأولياء لو لم يكونوا فى كنف عصمة الله وحفظه، لمستهم الشياطين بنصب وعذاب.

– **ومنها:** أن من آداب العبودية إجلال الربوبية وإعفائها من إحالة الضر والبلاء والمحن عليها، بل على الشيطان، كما قال يوسف، عليه السلام: ﴿نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ [يوسف: ١٠٠].. وقال يوشع: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الكهف: ٦٣].. وقال موسى، عليه السلام: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [القصص: ١٥]، ولتعلم: أنه ما بلغ من الرجال البالغين إلا البلوى، وتفويض الأمور إلى المولى، والرضا بما يجرى عليهم من القضاء.

• قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨].

قيل: هذه الآية تشير إلى أربعة معانى:

**الأول:** أن أهل البشارة فيها يكون مخصوصًا بخاصية «العبدية» التى هى مضافة إلى الله تعالى.. أى يكون حرًا عما سوى الله، عبدًا لله.

**والثاني:** أنتم مبشرون بالوصال والوصول، كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ١٨] أى إلى الحضرة.

**والثالث:** أن الألف واللام فى «القول»، للعموم، فيقتضى أن لهم حسن الاستماع فى كل قول من القرآن وغيره.

**والرابع:** أن القول يسمع من أربعة أوجه: وجه من الإنسان.. والثانى: من الشيطان.. والثالث: من الملك.. والرابع: من الله عزَّ وجلَّ.

فيسمع من الإنسان: الخير أو الشر.. ويسمع من الشيطان: الشر.. ومن الملائكة: دعوة الطاعات.. ومن الله جلَّ ذكره: الخطاب فى حقائق التوحيد، والدعوة إلى الحضرة كما قال تعالى: ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [الفجر: ٢٨]، فافهم سر التربيع فى كل شىء.

● قوله تعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ [الزمر: ٧٠].

أى من الخير والشر والطاعة والمعصية.. وهذه الأربعة تقابل مراتب الأصول، يعنى: الأعمال على أربعة أقسام:

قسم صدر من الجسد وهى الطاعة إلى ربه.

وقسم صدر من النفس الأمارة بالسوء وهى المعصية.

وقسم صدر من الروح وهو الخير.

وقسم صدر من القلب من الخير والشر، وهذا محل الخطر، لأجل ذلك قال النبى ﷺ: «اللهم ثبت قلبى على دينك[١]» «والقلب بين إصبعين من

---

(١) حديث وارد أخرجه البيهقى فى السنن، حديث رقم (٣٨٣٤).

أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء[1]»، أعاذنا الله وإياكم من تقلب القلوب والدين الحاصل في القلب القاسي العاصي إلى ربه.. فافهم ذلك تكن عارفًا أديبًا كاملاً.

• قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ [غافر: ٦١].

يشير إلى أن سكون الناس فى الليل على أربعة أقسام:

**الأول**: أهل الغفلة.. يسكنون إلى استراحة النفس والأبدان.

**والثاني**: أهل الشهوة.. يسكنون بطلب شهوة النفس من الرجال والنساء والمأكولات والمشروبات.

**والثالث**: أهل الطاعة.. يسكنون إلى حلاوة أعمالهم من الصلوات وسائر العبادات.

**والرابع**: أهل المحبة.. يسكنون إلى أنين النفوس، وحنين القلوب، واشتغال الأرواح بنار الأشواق.. أولئك أصحاب الاشتياق أبدًا، وفى سلوكهم الاحتراق.

فانظر مراتب أهل السلوك واعتبر بها.. قال تعالى: ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ [الحشر: ٢]. فالاعتبار لا يكون إلا بالعقل، والعقل عقلان: دنيوى وأخروى.. الأول يسمى: بعقل المعاش، والثانى: بعقل المعاد.. والله أعلم بحقائق الأمور.

• قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ١٩].

قال بعض أرباب التأويل من المفسرين: إن الله خاطب عباده بأربعة أوجه:

---

(١) حديث وارد ذكره الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين جـ٧، ص٣٠٢.

- خاطب **العابدين** بقوله: الله لطيف بعباده.. أى يعلم غوامض أحوالهم من دقيق الرياء والتصنع، لئلا يعجبوا بأحوالهم وأعمالهم.

- وخاطب **العصاة** بقوله لطيف: لئلا ييأسوا من إحسانه.

- وخاطب **الفقراء** بقوله لطيف: أى أنه محسن لكم، يرزق من يشاء، كما قال تعالى: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩].

- وخاطب **الأغنياء** بقوله لطيف: ليعلموا أنه يعلم دقائق معاملتهم فى جمع المال من غير وجهه.

ومن جملة لطفه تعالى: أنه جعلهم مظهر صفات لطفه، وأنه عرفهم أنه لطيف، لولا لطفه ما عرفوه، وأنه زين أسرارهم بأنوار العرفان، وكاشفهم بالعين والعيان، وغير ذلك من لطفه العميم على عباده لا يحصى.. وهذا منازل الأسرار فى مسالك الأبرار، خذوا زينتكم منى أيها الأخيار.

• قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

﴿وَلْتَكُن﴾ هذا أمر، وظاهر الأمر الإيجاب، ويدل على إيجاب الأمر والنهى آيات وأخبار وأحاديث.. فلنقتصر بآية واحدة فرارًا عن التفصيل، ومن أراد الوقوف على كمالهما، فعليه بالإحياء للغزالى، رحمه الله ونفعنا من مدده وعلمه.

وأركان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأنواعهما مشروح فى المفصلات، ولكن الآمر والناهى أربعة أقسام:

الأول: المحتسب.. والثانى: المحتسب فيه.. والثالث: المحتسب عليه.. والرابع: نفس الاحتساب.. فهذه أربعة أركان، ولكل ركن منها شروط

وآداب، على ما ذكر فى شرعة الإسلام وكتاب الإحياء وغيرهما:

**الركن الأول: المحتسب:**

وهو أن يكون مكلفًا مسلما قادرًا، ولابد للمحتسب أن يتأدب بآداب الشريعة والطريقة كيلا يأثم فيما أمر ونهى، كما قال تعالى: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٤].. وقال تعالى: ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٣]، وبما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«مررت ليلة أسرى بى بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: من أنتم؟ قالوا: كنا نأمر بالمعروف ولا نأتيه، وننهى عن الشر ونأتيه[1]».

وقال تعالى لعيسى، عليه السلام: «عظ نفسك، فإن اتعظت فعظ الناس، وإلا فاستحى منى».

وسائر الشروط مذكورة فى الأصل، ولكن فى زماننا كثيرًا من الناس يسعون إلى الحكام من الجبابرة للغرض من مطالب الدنيا والنفس، ويقع بذلك فى المكروه ذنبًا وعقبًا.

ومطالب الخلق ترجع إلى أمور أربعة.. الأول: فى العلم.. والثانى: فى البدن والصحة والسلامة.. والثالث: إما فى المال أو الثروة.. والرابع: قيام الجاه فى قلوب الناس.

ومع هذه الشروط أو عدمها، لا يكون الإنسان مرخصًا فى ترك الأمر بالمعروف أصلاً كما ذكر فى الشرعة للفاضل العلامة سيد على زاده.

**الركن الثانى للحسبة: المحتسب فيه:**

---

(١) أخرجه البيهقى فى كتاب دلائل النبوة، جـ٢، ص٣٩٨، باب المعراج.

أى ما فيه الحسبة، وهو كل منكر، موجود فى الحال، ظاهر للمحتسب بغير تجسس معلوم، كونه منكرًا بغير اجتهاد.. فهذه أربعة شروط:

**الأول**: أن يكون منكرًا، ونعنى به أن يكون محذور الوقوع فى الشرع، كما رأى أن المجنون يزنى، وهذا نفس المنكر ولابد من المنع عنه، وإن لم يخاطب المجنون بذلك.

**والثانى**: أن يكون موجودًا فى الحال؛ لأن كثيرًا من المنكرات متساقط بالتقادم كما أن من شرب الخمر ولكن تاب وفرغ، ومضت الأيام بعد الشرب، لم يؤاخذ بذلك حيث سقط الحد بالتقادم.. وكذلك بعض المنكر لم يوجد فى الحال، ولكن يخاف وجوده، كما أن الخلوة مع الأجنبى معصية يوجب الزنا.. وما يجرى مجرى هذه الأمثلة.

**الشرط الثالث**: أن يكون المنكر ظاهرًا للمحتسب بغير تجسس، فكل من أسر معصية فى داره وأغلق بابه لا يجوز أن يحتسب عليه.. وقد نهى الله عنه فى القرآن وقصته مشهورة وقعت زمان الخلافة فى العصر الأول.

**الشرط الرابع**: أن يكون منكرًا معلومًا بغير اجتهاد، ولا يحتسب كل ما هو فى محل الاجتهاد فلا حسبة فيه.. فليس للحنفى أن ينكر بعض أفعال الشافعى والمالكى. فليس من الحسبة، لا للشافعى ولا لغيره من الأئمة أن ينكر على الأخرى أو يحتسب فى ذلك.

**الركن الثالث: المحتسب عليه:**

وشرطه: أن يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه فى حقه منكرًا؛ لأن بعض المنكرات ليس بمنكر فى حق الفاعل والمرتكب، ولا يشترط أن يكون المحتسب عليه إنسانًا، كما أن البهيمة تتلف زرع الغير، وفيه الاحتساب بوجهين:

**الركن الرابع: نفس الاحتساب:**

وله درجات وآداب هى: التعرف.. ثم التعريف.. ثم النهى.. ثم الوعظ والنصح.. ثم السب والتعنيف.. ثم التغير بالبر.. ثم الضرب.

• قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

التوكل من لوازم الإسلام.. والحق جلَّ شأنه يعنى: إن كمل إيمانكم ويقينكم بحيث أثر فى نفوسكم، وجعلها خالصة لله فانية فيه، لزم التوكل عليه.. وذلك الفناء على أربعة أقسام، وسر ذلك ظاهر للعاقل:

**وأول** مرتبة الفناء وأقسامها: فناء الأفعال.. **والثانى:** فناء الصفات.. **والثالث:** فناء الوجود.. **والرابع:** فناء الذوات.

• قوله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [هود: ٨٦].

أى إن كنتم مصدقين ببقاء شىء.. والتصديق ببقاء الأحوال والذوات منحصر فى أربعة أقسام:

أولاً: بمعنى فيما يبقى لكم عند الله تعالى فى الكمالات الدنيوية.

وثانيًا: فى السعادات الأخروية.

وثالثًا: فى اليقينيات العقلية.

ورابعًا: فى المكاسب العملية والعلمية.

وهذا خير لكم من تلك المكاسب الفانية، التى تحملون على أنفسكم بالسعى فى كسبها وتحصيلها، ثم تتركونها بالموت، ولا يبقى منها معكم شىء إلا وبال العقبات والعذاب. وإبقاء المكاسب فى الأعمال والأحوال منحصرة فى الأربعة أقسام السابقة وهى الكمالات الدنيوية والسعادات

الأخروية واليقينيات العقلية والمكاسب العلمية والعملية.. ووجه الحصر فى الأربعة ظاهر ومطابق إلى الأصول المعهودة.

• قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف: ٢٢]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨].

يعنى: لا يعلم الناس سر أمر الله، وسر جريان حكمه بين العباد.. يعنى الحكمة والعلم تحصل بالاجتهاد، والسعى، والتربية، والإقدام.. ومعطى كل ذلك هو الله تعالى المربى كل شىء.. وكذلك الطلب والإرادة والرياضة والعبادة، وهذه الأربعة مقابلة لما قبلها من الاجتهاد والسعي والتربية والإقدام.. وذلك على أربعة أقسام، وكل قسم على عشرة منازل من منازل الوجودى والعارضى، حتى يكون أربعين قسمًا ومنزلاً، لتكميل سر التربيع ظاهرًا وباطنًا، لفظًا ومعنى. كذلك لا يحصل لأحد الشرف والكمال قبل الأربعين، وهذا فى الأكثر وقوعًا.

• قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [الرعد: ٣٩]، أى: عن الألواح الجزئية التى هى النفوس السماوية من النفوس الثابتة فيها: ﴿وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩]، أى: لوح القضاء السابق الذى هو: «العقل الكلى» المنتقش بكل ما كان وما يكون أزلاً وأبدًا على الوجه الكلى.

واعلم أن الألواح على أربعة أقسام:

الأول: لوح القضاء السابق العالى عن المحو والإثبات وهو لوح العقل الأول.

الثانى: لوح القدر، أى لوح النفس الناطقة الكلية التى يفصل فيها كليات ما فى اللوح الأول وهو المسمى باللوح المحفوظ.

الثالث: لوح النفس الجزئية السماوية.. وينتقش فيها كل ما فى هذا

العالم بشكله وهيئته ومقداره، وهو المسمى بالسماء الدنيا.. وهو بمثابة الجبال للعالم، كما أن الأول بمثابة روحه، والثانى بمثابة قلبه.

والرابع: لوح الهيولى القابلة للصور فى عالم الشهادة.

وهذا نعم التربيع مطابقًا إلى الأصول، يفهم كل من له أدنى ملابسة فى أصول التربيع.

• قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ [مريم: ٨].

لأنه كان يطلب ولدًا حقيقًا يلى أمره، وسلك طريقه فى القيام بأمر الدين، وإن لم يكن من نسله، لعدم أهلية مواليه لذلك، فيكرر البشارة، وهداه إلى سهولة ذلك فى قدرته، فالتمس علامة تدل عليه، فهداه إليها، وأنجز وعده باسمه الصادق، فرحمه بهبته يحيى له.. فاقتضى الأحوال الأربعة: فى حال الوعد والبشارة وإجابته بالرحمة عليه بالأسماء الخمسة التى أشار إليها فى أول السورة: الكاف والهاء والياء والعين والصاد. وكذلك السر الجلى: أتى بالأركان الأربعة مطابقًا لأركان الأصلى الذاتى الوضعى الأولى فى النشأة الإنسانية الأولى.

• قوله تعالى: ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ [طه: ٧٠].

أى: منصفين مذعنين مقرين بكون موسى، عليه السلام، على الحق فيما جاء به لما عرفوه من صدق النية، وظهور المعجزة، وقيام الحجة، وحلية البرهان، لما شاهدوا هذه الأركان الأربعة فى موسى، عليه السلام؛ لأن مبادئ خوارق العادات ثلاثة، وتكون مع التوجه التام إليها أربعة كما جاء فى الحديث.

واعلم أن الساحر أقرب الناس استعدادًا، كما أن أرباب البدع وأصحاب الإلحاد من الزنادقة أذكى الناس طبعًا، خصوصًا علماء الظاهر

من الشيعة؛ لأجل ذلك مالوا عن نهج الشرع.. والفرق بين السحر والمعجزة: أن السحر له خواص التركيب وخلط المواد العنصرية والصور، وجمع الأخلاط المختلفة المزاج والجوهر، وهو من باب النيرنجات[(١)]، وإما من باب جمع القوى السماوية واتصالها بقوى الأجرام.

● قوله تعالى: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ [النور: ١٣].

قيل: طلب الشهادة على الزنا أربعة.. وسر ذلك: أن السبب في الحقيقة «أربعة» علته للستر.. وأما الأسباب: لأن الرائين اثنان، ولزوم الإشهاد لكل واحد أيضًا اثنان فيكون المطلوب أربعًا.

● قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾ [الحج: ٧٧].

يعني بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: الإيمان اليقيني.. ﴿ٱرْكَعُوا۟﴾ بغضارف الصفات[(٢)].. ﴿وَٱسْجُدُوا۟﴾ بفناء الذات.. ﴿وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ في مقام الاستقامة بالوجود الموهوب، فإن من بقي منه بقية لم يمكنه أن يعبد الله حق عبادته، إذ العبادة إنما تكون بقدر المعرفة.. ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾ بالتكميل والإرشاد.. ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾ بالنجاة من وجود العبثية والتلوين.

فالله سبحانه وتعالى أمر في كتابه المبين حفظ أربع شرائط من شرائط الإسلام، وهذه الشرائط الأربع جامعة جميع شرائط الإيمان والإسلام وجميع العبادات ولفظ فعل الخير جامع لجميع العبادات والعادات.

● قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ

(١) النيرنجات: يقصد بها الأعمال السحرية.

(٢) يقصد بغضارف الصفات: أي الصفات الهينة اللينة.

غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣ - ٦٨].

إن الله سبحانه وتعالى جمع جميع أجناس الفضائل فى هذه الآيات:

فقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ يعنى المخصوصون بقبول فيض هذا الاسم بسعة الاستعداد. ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾، أى: الذين اطمأنت نفوسهم بنور السكينة، وامتنعت عن البطش بمقتضى الطبيعة.. فهم هينون فى الحركات البدنية، لتمرن أعضائهم بهيئة الطمأنينة.

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾، أى: إذا خاطبهم السفهاء يسلمون مقالهم ولا يعارضون، لانتشائهم بالرحمة، وبعد حالهم عن ظهور النفس، وكبر نفوسهم بالتقوى بنور القلب من أن تتأثر بالإمداد وتضطرب.

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ﴾، أى: الذين هم فى مقام النفس يبيتون بالإرادة، قائمين بصفات القلب.. ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ﴾، أى: بهذا الدعاء وصفهم بالتزكية التامة والفناء عن جميع صفات النفس من الرزائل الموبقة.

ثم وصفهم تعالى بجميع أجناس الفضائل الأربع، وذلك هو حياتهم بالقلب بعد موتهم عن النفس، كما قيل: «مت بالإرادة تحيا بالطبيعة»:

- فالقيام بين الإسراف والاقتار فى الإنفاق هو العدل والتوحيد المشار إليه بقوله تعالى: ﴿لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ هو أساس فضيلة الحكمة، ومن اتصف بهذه الفضائل فقد اتصف بجميع أنواع الفضائل.

- والامتناع عن قتل النفس المحرمة إشارة إلى فضيلة الشجاعة.. وكذلك الامتناع عن الزنا.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢]، أى: لا يحضرون أهل الزور والمشتغلين بمتاع الغرور، فإن أهل الدنيا أهل الزور، يحسبون الفانى باقيًا، والقبيح حسنًا، ويعدون المعدوم موجودًا، والشر خيرًا لهم.. فهم الكذابون المبطلون، لا يوصفون بإتيان الطاعات وإقامة الصلاة.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ [الفرقان: ٧٣]، أى: كوشفوا بالمعارف والحقائق.

هكذا فسَّر العلماء من المفسرين تلك الآيات النيِّرات من سورة الفرقان.

● قوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

[العنكبوت: ٤٠].

فى هذه الآية إشارة إلى الأركان الأربعة الكائنة فى أصول الإنسان:

- فى الأول: إشارة بإرسال الحصباء بالريح العاصف إلى تألم الروح الحيوانى، ليجازى بما يناسبه وهو الريح.

- الثانى: الأرض إشارة إلى أرض الجسد.

- بالصيحة: إشارة إلى النفس أو إلى القلب الذى عليه ران، بسبب كسب الأعمال الفاسدة.

- وبالغرق: إشارة إلى النفس الأمارة بالسوء، وإشارة إلى ظلمة القلب الذى عليه ران بظلمة الذنوب.. والله أعلم بمراده.

• قولـــه تعـــالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧٣].

أى: تشكرون النعمة الظاهرة والباطنة والجسمانية والروحانية فى دنياكم وأخراكم باستعمالها لوجه الله، فيما وجب عليكم من طاعته فى كل مقام به وفيه وله.. فالله سبحانه وتعالى جعل جميع أجناس النعم على أربعة أجناس.. وقسم فى هذه الآية الليل وهو للسكون، والنهار للسعى والابتغاء والانتقاء.

كما قال تعالى: هو الأول والآخر والظاهر والباطن.. وفيها أيضًا سر التربيع ظاهر من وجهين، كما مرَّ بيانه، وسيجىء من بعد فى محله.

• قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١].

أى: مادة لطيفة، ولطافتها مرتفعة فى القلب.. وقد جاء فى الحديث: «إن خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون نطفة، ثم يكون علقة، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث إليه ملكًا بأربع كلمات، فيكتب أجله ورزقه وشقى أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح ويعضده»(١).

وفى حديث آخر: «إن نفخ الجنين يكون بعد أربعة أشهر من وقت الحمل»(٢).

ووجه الحصر فى الأربعين: لتكميل أصول التربيع على ما فهم فى المقدمة، ليعلم أن أكثر الأشياء على أصول التربيع.

---

(١) عن عبد الله بن مسعود، صحيح البخارى، متفق عليه.

(٢) ورد فى حديث لعبد الله بن مسعود، أخرجه البخارى فى صحيحه (٣٢٠٨)، ٥٩ كتاب بدء الخلق، ٦ باب ذكر الملائكة.. ولفظ الحديث: «إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا يؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله ورزقه وشقى أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح».

• قوله تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ﴾ [فاطر: ١].

الآية تعبر عن الجهات الست الكائنة فى الملكوت السماوية والأرضية بالأجنحة، جعلها الله رسلاً مرسلة إلى الأنبياء والأولياء بالإلهام وإلقاء الخواطر، وإلى غيرهم من الأشخاص الإنسانية والحيوانية، وسائر الأشياء، بتصرف الأمور وتدبيرها، مما يصل بها تأثيرهم إلى ما يتأثر فيه، فهو جناح، فكل جهة تأثير جناح.. مثلاً: أن العاقلتين العملية والنظرية جناحان للنفس الإنسانية والمدركة والمتحركة والفاعلة.. وثلاثة أجنحة للنفس الحيوانية والعادية والنامية والمولدة والمصورة.. وأربعة أجنحة للنفس النباتية.

ولا ينحصر أجنحتها فى هذا العدد، بل بحسب تنوع التأثيرات أجنحة.. ولهذا قيل: مثنى وثلاث ورباع.. ولقد روى عن رسول الله ﷺ: «أنه رأى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح»[1].

وإلى كثرتها يشير بقوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ﴾. ولأجل ذلك أتى بلفظ الأربعة الدالة على مراتب الأصول من الذوات والعناصر، وعلى أن سر التربيع سارى فى أكثر العوالم، وله تأثير فى العالم العلوى والسفلى.. كذلك أشار إلى قوى الإنسان ومراتبها وأصولها وأقسامها؛ لأنها أقسام وأنواع، منها المدركة والمتحركة، وغير ذلك من الحواس الظاهرة والباطنة، ووجه الحصر فيها مبين.

• قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥].

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند جـ١، ص٣٦٥، والبيهقى فى دلائل النبوة جـ٢، ص٣٧٢.

يعنـي: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالمعـارف والحكـم، ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾، أي: الكتابـة ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾، أي: العـدل، ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾، أي: السيف.

يعني: جميع أمـور النـاس منحصـرة فـى هـذه الأربعـة، وهـى الأمـور الأربعة التى بها يتم الكمال النوعـى الإنسـانى، وينضبـط النظـام الكلـى الآدمى، المؤدى إلى صلاح المعاش والمعاد.. إذ الأصل المعتبر والمبدأ الأول هو العلم والحكمة، والأصل المعول عليه فى العمل للاستقامة فـى طريـق الكمال هو العدل.. ثم لا ينضبط النظام، ولا يتمثـل إصـلاح الكـل، إلا بالسيف والقلم اللذان يتم بهما أمور السياسة.

فهذه الأربعة هى أركان كمـال النـوع الإنسـانى وصـلاح الجمـهور، والحصر فيها وافق أمور الإنسان، والتربيع وسره ظاهر غير خفى.

• قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧].

قال بعـض المفسـرين فـى تقسـيم النجـوى إلى أربعـة: يعنـى اقتضـت الحكمة الإلهية ظهور الأشـياء بـالمراتب.. ولهـذا قيـل: «لـولا الاعتبـارات لارتفعت الحكمة».. يعنى: ولو اعتبرت الحقيقة لكان عينهم، يعنى إقامـة النجوى بعين وجوده، وإيجادهم بوجوبه، واتصاله بهم بهوياته المندرجـة فى علم الأحدية.. وبهذه الاعتبارات هو رابعهم معهـم.

• قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

هى الأنوار القاهرة أربـاب الأصنـاف العنصريـة فـى الصـور النوعيـة، يحمله باجتماع من الطرفين العلوى والسفلى الحامل والفاعل عند البعـث والنشور، فى كل طرف أربعة.. وكهذا قال النبى ﷺ: «هم اليوم أربعة،

فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة أخرى، فيكونون ثمانية»[١].

وسيجيء في الركن الثاني توجيه ذلك مستوفى عند بيان تربيع الكعبة المكرمة شرفها الله تعالى، ومثل كون تلك الأملاك مختلفة الحقائق بحسب اختلاف أصنافها العنصرية، فافهم سر التقسيم في الأربعة، وكن جامعًا بالمراتب، وعالمًا بالمذاهب، (يعني: بالمذاهب الصوفية الملامية السنية الحنفية).

قال الفاضل عبد الرزاق القاشاني: المسفر هو توجه القلب إلى الحق، والتوجه لا يمكن إلا بجميع الحواس الظاهرة والباطنة.. وتلك الحواس الظاهرة والباطنة، وتلك الحواس والمراتب والأحوال تدور إلى أربعة أصول، ولذلك قسم السفر إلى أربعة.. فقال الأستاذ القاشاني: في تأويلات الأسفار أربعة:

**الأول**: هو السير إلى الله تعالى في منازل النفوس.. ويراد الوصول إلى الأفق المبين، وهو نهاية مقام القلب، ومبدأ التجليات الأسمائية.

**والثاني**: هو السير في الله بالاتصاف بصفات الله تعالى، والتحقيق بأسمائه إلى الأفق الأعلى، وهو نهاية الحضرة الواحدية.

**الثالث**: هو الترقي إلى عين الجمع والحضرة الأحدية، وهو مقام «قاب قوسين» ما بقيت الاثنينية (أي ما دام الاثنينية باقية[٢]) فإذا ارتفعت فهو مقام «أو أدنى» وهو نهاية الولاية.

**الرابع**: السير بالله عن الله للتكميل، ومقام البقاء بعد الفناء، والفرق بعد الجمع.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره جـ١٤، ص٧٣، والقرطبي جـ١٨، ص٢٥٥، والسيوطي في الدر المنثور جـ٦، ص٢٦١.

(٢) الاثنينية: هي اعتقاد وجود العبد مع الرب.

• قوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

المفسرون من أرباب التأويل قسموا الخلة والمحبة على أربعة أقسام:

**الأول**: هو المحبة الروحانية الراتبة المستندة إلى تناسب الأرواح فى الأزل بقربها من الحضرة الأحدية، وتساويها فى الحضرة الواحدية، التى قيل فيها: «فما تعارف منها ائتلف»(١)، فهم إذا برزوا فى هذه النشأة اشتاقوا إلى أوطانهم فى القرب، وتوجهوا إلى الحق، وتجردوا من ملابس الحس ومواد الرجس، فلما تلاقوا تعارفوا، وإذا تعارفوا تحابوا لتجانسهم الأصلى، وتماثلهم الوصلى فى الطريقة، وتعاونوا فى أمور الدنيا والآخرة.. وهى الخلة التامة الحقيقية التى لا تزال أبدًا، كمحبة الأنبياء والأولياء والأصفياء والشهداء.

**الثانى**: هو المحبة القلبية المستندة إلى تناسب الأوصاف والأخلاق والسير الفاضلة، وتشابه الاعتقاد والأعمال الصالحة، كمحبة الصلحاء والأبرار فيما بينهم، ومحبة العرفان والأولياء إياهم، ومحبة الأنبياء، عليهم السلام لعامة أممهم.

**الثالث**: هو المحبة النفسانية المستندة إلى اللذات الحسية والأعراض الجزئية، كمحبة الأزواج لمجرد الشهوة، ومحبة الفجار والفساق التابعين فى اكتساب الشهوات، واجتلاب الأموال.

**الرابع**: هو المحبة العقلية المستندة إلى تسهيل أسباب المعيشة، وسير المصالح الدنيوية كمحبة التجارة والصناعة، ومحبة المحسن إليه للمحسن، وكل ما استند إلى غرض فان وسبب زائل، زال بزواله وانقلب عنه فقدانه عداوة، لتوقع كل من المتحابين ما اعتاد فى صاحبه من اللذة المعهودة والمنافع المألوفة، مع عدمه وامتناعه لزوال أسبابه.

---

(١) متفق عليه، فتح البارى جـ٦، ص٣٦٩، صحيح مسلم جـ٥، ص٤٩١.

ولما كان الغالب على أهل العالم أحد القسمين الآخرين، أطلق الكلام وقال تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ﴾ لانقطاع الوصلة بينهم، وانتفاء الآلات البدنية عنهم، وامتناع حصول اللذة الحسية والنفع الجسماني، وانقلابهما حسرات، وصاروا خسرانًا، قد زالت اللذات والشهوات، وبقيت العقوبات والتبعات، وكل يبغض صاحبه ويلعنه.

ولذلك قسمت المحبة إلى أربعة أقسام، اعتبارًا بالأركان؛ لأن الأعمال الظاهرة والباطنة لا تخلون من التربيع في الأكثر، في الحقائق الكونية وفي المراتب العلمية والمدارج العملية والمعارج بحكمته، كما سيذكر من بعد إن شاء الله تعالى.

• قوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠].

قيل: نظر إلى الكيفيات الأربع، والعناصر الأربعة، التي خلق منها المركبات بالتركيب والتعديل سواء للسائلين، مستوية بالامتزاج والاعتدال للطالبين للأقوات والمعاش.. أي قدَّرها لهم.

قال بعض العلماء: الناس أربعة.. فواحد حلو كله، فلا يشبع منه.. والآخر مر كله فلا يؤكل منه.. وثالث فيه حموضة، فخذ من هذا قبل أن يأخذ منك.. وآخر فيه ملوحة، فخذ منه وقت الحاجة فقط.

قال الغزالي في الإحياء: لابد للمريد الصادق والطالب الموفق أن يعتصم بأربعة أمور في سلوكه:

الأول: الجوع.. فإنه ينقص دم القلب فيبيضه، وفي بياضه نوره.. ويذيب شحم الفؤاد، وفي ذوبانه رقته، وفي رقته مفتاح المكاشفة، كما أن مثنويته[١] سبب الحجاب.. فلما نقص منه دم القلب، ضاق منه

(١) مثنويته: أي عدم ترقيه إلى عين الجمع والحضرة الأحدية.

مسلك العدو، فإن مجاريه العروق المملوءة بالشهوات.. قال عيسى، عليه السلام: «يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم».. وفائدة الجوع فى القلب ظاهرة، يشهد لها التجربة.

**الثانى**: السهر: فهو يجلو القلب ويصفيه وينوره، ويصير القلب كالكوكب الدرى والمرآة المجلوة، فيلوح فيه جمال الحق، ويشاهد فيه درجات الآخرة وحقارة الدنيا، فإن السهر نتيجة الجوع، وهو لا يمكن مع الشبع.. أما النوم فيقسى القلب ويميته إلا إذا كان بقدر الضرورة.. لذلك فالسهر سبب للمكاشفة لأسرار الغيب.. وقيل فى صفة الأبدال: إن أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة.. وقال سهل: ما صار الأبدال أبدالاً إلا بأربع خصال:

الأول: إخماص البطون.. والثانى: السهر.. والثالث: الصمت.. والرابع: الاعتزال عن الناس.

**الثالث**: الصمت.. فإنه يسهل العزلة، ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقدم له طعامًا وشرابًا أو تدبير أمر، لذلك ينبغى ألا يتكلم إلا بقدر الضرورة، فإن كثرة الكلام تميت القلب.

**الرابع**: الخلوة.. وفائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر، فإنهما وسيلة القلب، والقلب قد انصب فيه مياه كدرة قذرة من أنهار الحواس، وغير ذلك لوازم القلب من المشروبات والمأكولات.. والخلوة تحقق التخلص من كل هذه الكدورات.

• قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

– قال ابن عطاء، رضى الله عنه، فى هذه الآية: الاستجابة على أربعة أوجه:

أولها: إجابة التوحيد.. والثانى: إجابة التحقيق.. والثالث: إجابة التسليم.. والرابع: إجابة التعزيز.

والآية فيها تربيع آخر كما قال صاحب العوارف فى البيان: فالإجابة على قدر السماع، والسماع من حيث الفهم، والفهم على قدر المعرفة، والمعرفة بقدر الكلام.. (انتهى كلام صاحب العوارف).

وقيل: للصلاة أربع شعب: الأول: حضور القلب فى المحراب.. والثانى: شهود العقل عند الملك الوهاب.. والثالث: خشوع القلب بلا ارتياب.. والرابع: خضوع الأركان بلا ارتقاب.

– وفيها تربيع آخر: لأن عند حضور القلب رفع الحجاب.. والثانى: عند شهود العقل رفع العتاب.. والثالث: عند خشوع النفس فتح الأبواب.. والرابع: عند خضوع الأركان وجوب الثواب.

وفيها تربيع آخر: فمن أتى الصلاة بلا حضور القلب فهو مصلٍ لاهٍ.. والثانى: من أتاها بلا شهود العقل فهو مصلٍ ساهٍ.. والثالث: منْ أتاها بلا خشوع الأركان فهو مصلٍ جافٍ، الرابع: من أتاها بخشوع فهو مصلٍ وافٍ.

ولذلك قيل: القلوب أربعة.. الأول: قلب أجرد فيه سراج أزهر، فذلك قلب المؤمن.. والثانى: قلب أسود منكوس، فذلك قلب الكافر.. والثالث: مربوط على علاقة، فذلك قلب المنافق.. والرابع: قلب مصفح فيه إيمان ونفاق، فمثل الإيمان فيه مثل البقلة يمدها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد، فأيهما غلبت عليه، حكم له بها.

● قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ إلى آخر سورة العصر.

قال بعض العارفين من المحبين: فيها إشارة لأهل السلوك فى طريق الحق، ليعلم أن الوصول إلى المقاصد لا يمكن إلا بالمراتب.. وفيها إشارة إلى سر التربيع ظاهرًا و باطنًا.. ومن أمعن النظر: يجد فيها شرائط الإسلام وأركانه مندرجة، فى قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

الأول: الإيمان وهو مقابل الروح الإنسانى.. والثانى: العمل الصالح مقابل للقلب.. والثالث: المواصاة بالحق مقابل للجسد.. والرابع: المواصاة بالصبر مقابل للنفس.

وقيل: فيها إشارة إلى سلوك الإنسان، وهو أن يكون السالك فى جميع الأحوال على رأى الأستاذ بخلوص القلب، ويباشر ويعتاد بالأعمال الصالحة، وبكل ما أمره الأستاذ من الأوامر والنواهى، وأن يأتمر وينتهى، وأن ينصح لكل من يقبل كلامه، وأن يتكل على مولاه، وأن يصبر على كل ما جاء من الحق من الخير والشر، بسبب النصح والوعظ؛ لأن الآمر والناهى من شأنه أن يؤذى كما أوذى الأنبياء، عليهم السلام، وأن يعلم أن المواصاة بالحق والصبر يجب تنفيذه أولاً على نفسه وتأديبه إياها، ثم للناس، كما قيل: «عظ نفسك ثم الخلائق» وقيل: «أعدى أعدائك نفسك التى بين جنبيك». وهذا هو المراد ببيان أسرار التربيع، فافهم وتأمل.

● وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

قيل: لها أربعة أسماء:

الأول: ليلة البركة.. والثانى: ليلة القدر.. والثالث: ليلة السلامة.. والرابع: ليلة الحائرة.

وسميت «ليلة القدر» لقدر أمة محمد ﷺ فى هذه الليلة، وهى خير من ألف شهر.. وسميت على أربعة أسماء بسبب سر عظيم، لو بسطنا الكلام فى بيانها لطال الكلام وما حصل المرام.

قال بعض العارفين فى تحقيق سر التربيع: قيل لذلك السر وقع ملك سليمان، عليه السلام، على أكمل الأعداد فى التربيع «أربعين سنة».. وبقى يحيى بن زكريا، عليهما السلام، فى الدنيا أربعين سنة، ويبقى عيسى، عليه السلام، بعد نزوله أربعين سنة.. وثواب أمة محمد ﷺ خير من ثوابهم جميعًا.. كذا ورد فى كتب العلماء.

وهكذا انتهى الجزء الأول فى بيان سر تربيع البسملة وسورة الفاتحة، ومافهم من أسرار تربيع بعض الآيات القرآنية وننتقل إلى الجزء الثانى بعون من الله وفضله تعالى.

**تعليق على الجزء الأول**(١):

لقد عشنا أروع الأوقات مع تلك النفحات المباركات من بعض أسرار آيات القرآن العظيم الحق المبين.. ولا يسعنى إلا أن أسجد لله شكرًا أن أنعم علينا بذلك الدين القيم الذى يتناول بشريتنا بتلك الرعاية الفائقة، والعناية البالغة، حتى أصبحت أوقن حق اليقين أننا لم نخلق عبثًا وأننا سنرجع إلى رب كريم حكيم.. فحكمته بالغة، وكل كلمة من كتابه الكريم تحوى من الأسرار والمعانى ما سوف يظل يغترف منه الأولياء الصالحون العاملون المخلصون، الذين اصطفاهم الله بمحبته، وأفاض عليهم من حكمته ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وهذا الركن الأول من المخطوط يعتبر تفسيرًا جزئيًا للقرآن الكريم، يعطى إشارات عامة لفهم كنوز محتواه.

ورغم أن هذا الجزء الذى مرَّ بنا يحوى كثيرًا من الفوائد والأسرار

---

(١) نقدم هذا التعليق مع نهاية كل جزء لتحقيق الترابط بين القارئ والكتاب من جهة، لتحقيق الترابط بين أجزاء الكتاب نفسه من جهة أخرى.

التى تكشف الستار عن عظمة القرآن، إلا أن الفائدة العظمى التى أدعو الله أن ينتفع بها كل قارئ، هى أن تكون تلك الإشارات بمثابة شرارات تفجر الطاقات الكامنة فى النفس المؤمنة، لتسارع إلى فهم كتاب ربها، بتدبر معانيه، واستلهام نفحاته ومغازيه.

فالهدف الأسمى من العلوم اللدنية، وهو القرب من حضرة الذات العلية، وتفهم الإشارات النورانية، التى جاءت بها الرسالة المحمدية لتتحقق الخلافة الإنسانية فى أسمى صورها وأجل معانيها.

فاللهم وفقنا إلى مزيد من فهم كتابك الكريم، ونفع به المسلمين ليحققوا مدارجهم فى أعلى عليين.

والصلاة والسلام على النبى الأمين المبعوث رحمة للعالمين بكتاب تجدد أسراره ومعانيه إلى يوم الدين.

* * *

# الجزء الثانى
# أسرار التربيع فى مراتب التوحيد، وفى الحرم المكى وفى شمائل النبى ﷺ
## أولاً: أسرار التربيع فى مراتب التوحيد

قال تعالى فى كتابه الكريم: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].
وقاله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

فنقول: للتوحيد أربع مراتب، على ما فهم من كلام الصدر، وهو منقسم إلى لب، ولب اللب، وإلى قشر، وقشر القشر.. ولنمثل ذلك تقريبًا وتفهيمًا إلى الأفهام الضعيفة:

فالمرتبة **الأولى** فى التوحيد: أن يقول الإنسان بلسانه «لا إله إلا الله» وقلبه غافل عنه، أو منكر له.. كتوحيد المنافق والملاحدة فى مذهب الخلاف.

**والثانية**: أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه، كما صدق به عموم المسلمين، وهو اعتقاد العوام.

**والثالثة**: أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق، وهو مقام المقربين.

**والرابعة**: أن لا يرى فى الوجود إلا واحدًا، وهو مشاهدة الصديقين.. ويسميه الصوفية «الفناء فى التوحيد»؛ لأنه لا يرى إلا واحدًا.. بمعنى أنه فنى عن رؤية نفسه.

**فالأول**: موحد بمجرد اللسان، وذلك يعصم صاحبه فى الدنيا عن السيف وإعطاء الجزية والسبى، **والثانى**: موحد بمعنى أنه معتقد بقلبه

مفهوم لفظه، وقلبه خال عن التكذيب، **والثالث:** موحد بمعنى أنه لم يشاهد إلا فاعلاً واحدًا، **والرابع:** مؤمن موحد، بمعنى أنه لم يحضر فى شهوده غير الواحد، فلا يرى الكل من حيث أنه كثير، بل من حيث أنه واحد، وهذه هى الغاية القصوى فى التوحيد.

**فالأول:** كالقشرة العليا فى الجوز.. **والثانى:** كالقشرة السفلى.. **والثالث:** كاللب.. والرابع: كالدهن المستخرج من اللب.

**مراتب أرباب السلوك والعارفين:**

**اعلم أن أرباب السلوك فى التوحيد على أربعة أقسام:**

**الأول:** سالك مجذوب، **والثانى:** سالك متدارك بالجذبة، **والثالث:** مجذوب متدارك بالسلوك، **والرابع:** سالك متدارك بالسلوك.

وقيل: **للعارف أربع علامات:**

**الأولى:** ذكر المنة.. **والثانية:** صدق الهمة.. **والثالثة:** عرفان المحبة.. **والرابعة:** خوف الحرقة.

وقيل: فرغ الله من أربعة أشياء: الخَلْق والخُلْق والرزق والأجل.

**مراتب العبادة:**

قال الأنطاكى فى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

إنما نعبد الله على أربع: على الرغبة والرهبة والحياء والمحبة.

وأفضلها المحبة.. ويليها الحياء.. ثم الرهبة.. ثم الرغبة.. والكل منها على وفق المراتب الأصلية كما ترى عيانا، غير مستور للمتقين.

**قيل: قبلة أرباب التوحيد أربعة:**

**الأولى:** قبلة أهل السنة والجماعة، ومن يشأ الله تعالى من أهل الشرائع الماضية.

**والثانية:** قبلة العارفين.

**والثالثة:** قبلة الموحدين.

**والرابعة:** قبلة الروحانى الإنسانى الحقيقى، الذى هو أكمل المراتب، وجامع المقامات.

**سر التربيع فى كلمة «لا إله إلا الله»:**

كلمة «لا إله إلا الله» على أربع كلمات؛ لأنه يتم بها أركان الإسلام، ويجمع فى قائلها جميع لوازم الإيمان؛ لأنها ركن له لا يحصل إلا بها، وركن جميع العوالم ظاهرها وباطنها، ليكون على أصول قائلها مطابقًا؛ لأن كل كلمة منها تكفر سيئة ركن من الأركان الأربعة الأصلية من الأصول والعناصر، وغيرها من الحواس الظاهرة والباطنة.

**اسم سيدنا محمد ﷺ:**

اسم محمد ﷺ أربعة أحرف، مطابقًا على سر التربيع السارى فى أكثر الحقائق.. وقيل: إشارة إلى موافقته اسم **الله** الجامع لجميع الأسرار الإلهية الذاتية والصفاتية.. ولفظة **الله** كذلك أربعة أحرف فى اللفظ. والخلفاء الراشدون أربعة.. وقس باقى الحقائق فى الأكثر على هذا الأصل والأصول.

وقد جرى وسرى فى الاسم «الله» وهو اسم لذاته تعالى، وفى اسم «محمد» وهو اسم لذات النبى ﷺ سر التربيع.. ولذلك فالأولى أن يسرى ويوجد فى أكثر المعارف والحقائق والأنفس والآفاق، على ما تفهم فى هذا المسطور المعتبر.

ومن أراد مزيد من المعرفة فعليه بالرجوع إلى كتاب النفحات لمولانا الفاضل «جامى» قدس الله سره العزيز[١].

---

(١) كتب الشيخ إبراهيم البثنوى من كتاب (نفحات الأنس) صفحتين باللغة الفارسية عن معرفة الله فى مخطوطه هذا لم نتمكن من ترجمتهما.

## الفرق بين المعجزة والكرامة والاستدراج:

قال مولانا الفاضل جامى نقلاً ورواية عن التفسير الكبير للإمام الرازى رحمه الله: إذا ظهر فعل خارق للعادة على إنسان، فذلك إما أن يكون مقرونًا بالدعوى، أو لا يكون مقرونًا مع الدعوى.

والقسم الذى نتناوله: وهو أن يكون مقرونًا بالدعوى.. وتلك الدعوى إما أن تكون دعوى الألوهية.. أو دعوى النبوة.. أو دعوى الولاية.. أو دعوى السحر وطاعة الشيطان.

فهذه أربعة أقسام، وهذه الأربعة على كون نظم الأصول فى مراتب الإنسان وعلى أركانه الأصلية التى هى الروح والنفس والقلب والبدن.. فافهم سر التربيع كيف يجرى ويسرى فى الحقائق.

وأما القسم **الأول** من الأقسام الأربعة وهو: دعوى الألوهية.. جوَّز أصحابنا ظهور خوارق العادات على يده من غير معارضة، كما نقل من أن فرعون كان يدعى الألوهية، وكان يظهر على يده خوارق العادات، كما نقل ذلك أيضًا فى حق كثير من الرجال.

قال أصحابنا: وإنما جاز ذلك لأن مشكلة خلقته تدل على كذبه، فظهور الخوارق على يده لا يقضى إلا التلبيس والنفاق.

والقسم **الثانى** هو: ادعاء النبوة.. وهذا إما أن يكون ذلك المدعى صادقًا أو كاذبًا.. فإن كان صادقًا وجب ظهور الخوارق على يده، وأما من كان كاذبًا لم يجر ظهور الخوارق على يده.

القسم **الثالث**: وهو ادعاء الولاية.. فالقائلون بكرامات الأولياء اختلفوا فى أنه: هل يجوز ادعاء الكرامة، ثم أنها تحصل على وفق دعواه أولاً.

القسم **الرابع**: وهو ادعاء السحر وطاعة الشياطين.. فعند أصحابنا

يجوز خوارق العادات على يده، وعند المعتزلة لا يجوز، والبعض يسمى هذا بالاستدراج، وهذا مردود عن طاعة الله تعالى.

ولذلك الأصول الأربعة فى الإنسان: بعضها روحانى، وبعضها نفسانى، وبعضها جسمانى، وبعضها قلبى صنوبرى مخفى معنوى، وهى لها مشابهة بهذه الأقسام الأربعة المذكورة.. ووجه الحصر إلى الأربعة فى وجوه، كما لا يخفى للمتقين الفطناء.. انتهى كلام الفاضل المذكور.

## ثانيًا: أسرار التربيع فى الحرم المكى

**بالنسبة لبيت الله الحرام:**

- قال علماؤنا وأنا من المشاريخ (رحمهم الله): إن الله تعالى جعل هذا البيت الذى هو محل ذكرالله تعالى على أربعة أركان، كما جعل الله قلب الإنسان على أربعة طبائع يحملها، وعليها قامت نشأته، كقيام البيت على أربعة أركان، ومثل قيام العرش اليوم على أربعة حملة... كذا ورد فى الحديث «أنهم اليوم أربعة، وغدًا يكونون ثمانية».

فإن الآخرة فيها حكم الدنيا والآخرة .. فلذلك يكونون غدًا ثمانية، فيظهر فى الآخرة حكم سلطان الأربعة الآخرة، وكذلك يكون القلب فى الآخرة تحمله ثمانية (الأربعة التى ذكرناها والأربعة الغيبية وهى العلم والقدرة والإرادة والكلام) فلا يعجز سعيد فى الآخرة على تكوين شيء، فإرادته نافذة غير قاصرة، فما يهتم بشيء يظهر إلا حضر، وكلامه نافذ، فلا يقول لشيء كن إلا ويتكون، فالعلم له عين فى الآخرة، وليس له حكم هذه الصفات فى النشأة الدنيا مطلقًا، فاعلم ذلك.

فالإنسان فى الآخرة نافذ الاقتدار... فالله سبحانه وتعالى بيته قلب عبده المؤمن، والبيت بيت اسمه تعالى، والعرش مستوى الرحمن: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠].

وهناك كثير من أسرار التربيع فى الحرم المكى نذكر منها باختصار ما يلى:

– **بالنسبة لمقام سيدنا إبراهيم:**

قال تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

قيل: المقام أربعة.. **الأول**: مقام المحبة.. **والثانى**: مقام المعرفة.. **والثالث**: مقام المشاهدة... **والرابع**: مقام الجمع والتمكين.

– وكذلك كنى عن **الحرم المكى** عن مقام أربعة:

**الأول**: عن مقام القلب.. **والثانى**: عن مقام الروح.. **والثالث**: عن مقام السر.. **والرابع**: عن شهود الجمال المطلق.

– **والأشهر الحرم** أيضًا: كناية عن المقام الأربع: **الأول**: مقام الحضور.. **والثانى**: مقام المراقبة.. **والثالث**: مقام الأمن... **والرابع**: مقام التوكل.

– وكذلك **المسجد الحرام** كناية عن المقام الأربع:

مقام الفناء عما سوى الله تعالى.. ومقام التوحيد.. ومقام التنزيه.. ومقام الاستغراق.

– **والمشعر الحرام** أيضًا كناية عن المقام الأربع:

مقام الذكر.. مقام التفرد به.. مقام الملازمة فى حضرة قدسه... مقام الوصول إلى قربه.

– **والمنى أيضًا**: كناية عن الأركان الأصلية، وعن سر التربيع، وعن المقامات الأربع:

مقام الطلب والتمنى.. مقام إفناء النفس عن الشهوات وذبحها بسكين الرياضات.. ومقام عدم الاتحاد على الطاعات.. ومقام تمنى التقريب ببذل الموجودات والمعروفات.

- **ورمى الجمار أيضًا**: كناية عن أربع مقامات:

عن طرد الوسواس.. وعن ترك الاعتماد على المجاهدات.. وعن مقام التسليم إلى الحق فى التصرف.. وعن مقام الاعتراض فى أفعاله.

- **الصفا** كناية عن أربع مقامات:

مقام القلب.. ومقام الروح.. ومقام النفس.. ومقام السر.

وهكذا فأكثر المناسك المكية، والمشاعر البكية[1]، لا تخلو من سر التربيع، بعضها جلى، وبعضها خفى عن الأغيار.

**من أسرار الكعبة المكرمة:**

قال الوالد المرحوم فى بعض تصانيفه، نقلاً عن الفتوحات المكية:

إن الله تعالى جعل لبيته أربعة أركان، لسر إلهى اقتضى ذلك، وهى فى الحقيقة ثلاثة أركان لأنه شكل مكعب:

الركن **الأول**: الذى يلى الحجر فى الصورة مكعب الشكل، ولأجل ذلك يسمى كعبة تنبيها بالكعب، فإذا اعتبرت الأركان الثلاثة جعلتها محل الخاطر الإلهى.

**والثانى**: ركن الخاطر الملكى.

**والثالث**: ركن الخاطر النفسى.

**والرابع**: ركن الخاطر الإلهى.

فالخاطر الإلهى: ركن الحجر الأسود.. والملكى: الركن اليمانى.. والنفسى: المكعب الذى فى الحجر لا غير.. وليس للخاطر الشيطانى منه محل.

---

(١) البكية: نسبة إلى بكة، وهو اسم من أسماء مكة، حيث يكثر فيها البكاء، وتعج بالناس، وتبك بهم بكًا (أى تزدحم ازدحامًا شديدًا).

وعلى هذا الشكل المثلث المكعب: تكون قلوب الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وعلى آلهم وصحبهم.

قال المحرر الفقير إليه سبحانه وتعالى: مال قلبى إلى تحرير حقائق التثليث على ما فهم من كتب القوم من الصوفية.

وقال الوالد المرحوم (قدس الله سره العزيز): فى أثناء تحرير أسرار الحج ومراتبه، لما أراد الله تعالى ما أراد من إظهار الركن الرابع، جعل للخاطر الشيطانى الركن العراقى.. والركن الشامى للخاطر النفسى.

وإنما جعلت الخاطر الشيطانى للركن العراقى؛ لأن الشارع شرع أن يقال عنده: أعوذ بالله من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق... وبالذكر المشروع فى كل ركن تعرف مراتب الأركان... .

وعلى هذا الشكل المربع قلوب المؤمنين، ماعدا الرسل والأنبياء المعصومين، ليميز الله رسله وأنبياءه عن سائر المؤمنين، بالعصمة التى أعطاهم وألبسهم إياها، فليس لنبى إلا ثلاثة خواطر: خاطر إلهى... وخاطر ملكى .. وخاطر نفسى..

ولغيرهم هذه الخواطر وزيادة، وهو الخاطر الشيطانى العراقى .. فمنهم من ظهر حكمه عليه فى الظاهر، وهم عامة الخلق، ومنهم من يخطر له ولا يؤثر فى ظاهره، وهم المحفوظون من أوليائه.

ولما اعتبرا الله الشكل الأول الذى للبيت، جعل له الحجر على صورته، وسماه حجرًا لما حجر عليه (أى منع عليه أن ينال تلك المرتبة أحد من غير الأنبياء والمرسلين) حكمة منه، فلنا الحفظ الإلهى، ولهم العصمة.

وقال الوالد المرحوم، قدس الله روحه: أخبر من بعض الأولياء فى مكة، أن بعض العارفين رأى إبليس، فقال له: كيف حالك مع الشيخ

أبى مدين[١] (عبد صالح إمام فى التوحيد والتوكل) فقال إبليس: ما شبهت نفسى فيما يلقى إليه فى قلبه، إلا كشخص وقف على شاطئ البحر المحيط، فبال فيه، فقيل له: لم تبول فيه؟ فقال: حتى أنجسه فلا تقع به الطهارة .. فهل رأيتم أسفه من هذا الشخص؟! كذلك أنا وقلب أبى مدين، كلما ألقى إليه شىء قلب عينه[٢].

فأخبر إبليس بذلك أنه يلقى فى قلوب الأولياء، وهو الذى ذكرناه .. وليس له على الأنبياء سبيل.

**مراتب أرباب الإحرام:**

أعنى بأرباب الإحرام المحرمين .. وهم على أربعة أقسام:

**الأول:** المفرد بالحج... **والثانى:** المفرد بالعمرة... **والثالث:** القارن بهما... **والرابع:** المتمتع.

والقسم الأول: مقابل للقلب.. والقسم الثانى: مقابل للنفس.. والقسم الثالث: مقابل الروح الحيوانى.. والقسم الرابع وهو المتمتع: مقابل للجسم؛ لأن التمتع إنما يحصل بمقارنة لوازم الجسد، وكان فى التمتع حظ أكثر من غيره.

وقس على هذا سائر المراتب والأصول.

**مراتب المناسك الشرعية والمشاعر البكية:**

اعلم أن المناسك الشرعية والمشاعر البكية قديمة عند وضع البيت الحرام، وهى أربعة أنواع:

**الأول:** ملكية.. **والثانى:** آدمية.. **والثالث:** إبراهيمية.. **والرابع:** محمدية صلوات الله عليه وسلامه.

---

(١) أبو مدين، رضى الله عنه: هو شيخ الإمام حسن الشاذلى، رضى الله عنه.

(٢) معنى قلب عينه: أى قلب ظاهره وباطنه... أى يعرف عين الشىء.

وظهر ما ظهر بسبب كل واحد منهم تفرع فى المناسك والمشاعر.

قال بعض الأفاضل: فى وضع القبة الإبراهيمية على قاعدة التربيع سر ظاهر، وكتب فى كل ركن بيت من أبيات العربية الجامعة مراتب التربيع وأسراره:

**البيت الأول** (فى جانب البيت الحرام):

يـا كعبـة اللـه يـا حياتـى     يا منهـج النـور بإرشـادى

**البيت الثانى** (فى جانب المقبل قاصدًا البيت قبالة الباب الكريم):

يـا قبلـة أقبلـت البهـاء     فى كل ربـع وفـى كـل وادى

**البيت الثالث** (فى جانب المنبر):

فيـك المقـام الكريـم يزهـو     فيـك السعـادات لعبـادى

**البيت الرابع** (فى جانب بئر زمزم):

يا بيت ربـى يـا نـور قلبـى     يا قـرة العيـن يـا فـؤادى

قيل: لذلـك السر التربيعى الذاتى الأصلى، كانت فرائض العمرة أربعة: الإحرام.. والطواف.. والسعى.. والحلق.

## ثالثا: أسرار التربيع فى شمائل النبى ﷺ

من جملة أسرار التربيع: أسرار شمائل النبـى وخصالـه ﷺ التـى وقعت على أصول التربيع.. قال علماء أهل السنة والجماعـة فـى وصف مناقبه وشرح شمائله:

إن أخلاق النبى وأوصافه على حد عجزت عن عدها وتحديدها ألسنة الفضلاء وعن فهمها أفهام العلماء.

ومن جملة أحواله وأخلاقه وآدابه ومعجزاته ﷺ، ما ظـهر فـى الحضر والسفر علـى مـا أورده الفـاضل «القـاضى عيـاض» فـى الشـفـاء.. ونحن نقتصر فى الشمائل والشواهد والمناقب اللطيفـة، ونكتفـى بـالقليل خوفـا

من التطويل؛ لأن القطرة تنبئ عن الغدير، والقليل يدل على الكثير، ولا ينبئك مثل خبير، وهو المطلوب الموعود فى هذا المسطور من أصول المراتب «الحصر والتقصير» حذرًا عن التغيير فى التعبير.

## أقوال عن شمائل النبى ﷺ:

– قال صاحب الشفاء، رحمه الله تعالى: أربعة من خصال النبى ﷺ مخصوصة بقلبه الشريف:

الأول: الجود.. والثانى: الكرم.. والثالث: السخاء.. والرابع: السماحة.

وقد فرَّق بعض العلماء بينهم بفروق كثيرة.. فجعلوا الكرم: الإنفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه.. وسموه أيضًا حرّية وَهو ضد النذالة (بمعنى الخسيس).

**والسماحة**: هى العفو عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد التشاكس والعناد.

**والسخاء**: سهولة الإنفاق، وتجنب اكتساب مال يكنز ويجمد.

**والجود**: ضد التقتير، وهو تضييق المعاش على العيال وغيرهم.

– وقال فى وصف أجداد النبى وتعريفهم: قال النبى ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل.. واصطفى قريشًا من كنانة.. واصطفى من قريش بنى هاشم.. واصطفانى من بنى هاشم» (صحيح مسلم عن واثلة بن الأسقع) وهو يشير إلى سر التربيع المكى، السارى فى العالم ظاهرًا وباطنًا.

– وقال رضى الله عنه: كان **سكوته** ﷺ على أربع:

الأول: الحلم.. والثانى: الحذر.. والثالث: التقدير.. والرابع: التفكر.

وأما **تقديره** ﷺ: ففى تسوية النظر والاستماع بين الناس.

**وتفكره:** فيما يفنى ويبقى.. **والحلم:** هو صبره، فكان لا يغضبه شىء يستفذه.

وجمع له **الحذر** فى أربع: **الأول:** أخذه بالحسن ليقتدى به.. **والثانى:** تركه القبيح لينتهى عنه.. **والثالث:** اجتهاد الرأى بما يصلح أمته.. **والرابع:** القيام لهم بما يجمع لهم أمر الدنيا والآخرة.

وأنا الفقير المحرر[١]: كتبت فى هذا المسطور بعضًا من الشمائل والآداب على أربعة أقسام:

**الأول:** فى تعظيم الغنى الأعلى لقدر هذا النبى قولاً وفعلاً.. وتوجه الكلام فيه أيضًا على أربعة أبواب.

**الثانى:** فيما يجب على الأنام من حقوقه ﷺ.. وهذا القسم أيضًا منقسم إلى أربعة أبواب.

**الثالث:** فيما يجب للنبى وما يستحيل أن يجوز عليه، وما يمنع أو يصح من الأحوال البشرية.

**الرابع:** فى تصرف وجوه الكلام من الأحكام فيما يُنقصه، أو يسند إليه من العيب والسب (حاشاه ﷺ من أن يضاف إليه ويسند عيب أو نقص).

وهذا القسم الرابع مناسب الركن العراقى من أركان الكعبة.. والركن الرابع من أركان الأصلى خلق وركب منها هذا الشخص المسمى بالإنسان، وهى النفس الأمارة، وهى مقابل الركن العراقى فى التربيع؛ لأن أركان الكعبة فى الأصل والحقيقة ثلاثة.

وفى أكثر العوالم كذلك المصير والتثليث، ولكن على اقتضاء الذات

---

(١) المقصود هو: الشيخ إبراهيم البثنوى صاحب هذا المخطوط، رضى الله عنه وأرضاه.

والمرتبة والحال تكون أربعًا وخمسًا وستًا وسبعًا على ما فهم فى المقدمة، وفى كتب المشايخ مذكور مستوفى ومنها: كتاب أصول الحكم والأجوبة للوالد المرحوم.

## شمائل النبى تماثل أصول الكعبة:

وهذا النبى المكرم العربى، المكى مولدًا، والإبراهيمى الحنفى مشربًا، أكثر أخلاقه وأوصافه وشمائله الشريفة على نمط الكعبة المكرمة وأركانها وأصولها ظاهرًا وباطنًا، على ما فهم من كلمات أهل المعارف، خصوصًا فى كتابنا «أسرار الحج» من طلبه يجده، ذكرت هناك مستوفى.. وكتابنا أسرار الحج كتاب موجز مختصر لطيف، ومن أراد التوفيق فيما نحن فيه من تطبيق أصول التربيع فى أخلاق النبى وشمائله الشريفة المماثلة لأصول الكعبة، فعلية بمطالعة كتاب الوالد فى أسرار الحج، وكتابنا المذكور هنا، وأن يعلم أن الركن الرابع العراقى خارج عن أصول الكعبة نقلاً، كذلك القسم الرابع من هذه الأقسام الأربعة خارج من جملة أحوال النبى وخصاله وآدابه عقلاً.

ولكن هذا القسم الرابع أورده النص، لتدل المشاق والآلام على كماله فى الصبر والتحمل على ما جاء فى مقابلة الدعوة والنصيحة والأمر والنهى؛ لأن العادة أن يؤذى الآمر والناهى دائمًا، خصوصًا فى بدء الإسلام، ولكن حاشاه ﷺ، وهو مقدس ومنزه من العيب والنقص.

وقيل: هذا الركن الرابع داخل فى سائر الأركان من وجه وخارج من وجه بالاعتبار الخارجى، كما أن أكثر المراتب فى الأشياء بعضها داخلية وبعضها خارجية وصفت بالتدريج على وجه الاقتضاء.. والفاعل الحقيقى عالم فى صنعة الأزلى العلمى، على ما أشار إليه صدر المائة الخامس أو السابع على اختلاف الرواية «صدر الدين القونوى» رحمة الله عليه فى كتاب النصوص «فى باب الاقتضاء» وهو باب واسع نظر إلى

سائر الحقائق، فاطلبه يطلعك على أسرار المراتب التى أولها الفردية الأحدية والواحدية والتثليث والحضرات الخمس، وسائر مراتب التعددات من الأربعينية وغيرها إلى انتهاء الأعداد.

وننتقل إلى عرض ما كتبه الشيخ إبراهيم البنوى، رضى الله عنه، عن شمائل النبى ﷺ وذلك فى أربعة أقسام:

## القسم الأول
## فى تعظيم الغنى الأعلى
## لقدر هذا النبى قولا وفعلا

وهذا القسم يشمل أربعة أبواب:

**الباب الأول:** ألتزم فيه أربعًا من الآيات والأحاديث الواردة فى ثنائه تعالى عليه ﷺ.

• **الأولى:** قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] وقرأ من أنفسكم بفتح الفاء.

• **الثانية:** فى صلاته تعالى عليه ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

• **الثالثة:** فى قسمه تعالى عليه.. قال تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ١، ٢] ... إلى آخرها.

• **الرابعة:** فى ثنائه تعالى.. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥].

**الباب الثانى:** فى تكميله المحاسن خُلقًا وخَلقًا، الدينية والدنيوية.. وهذه الألفاظ أربعة أيضًا لتطابق أخلاقه الجميلة وخصاله الحميدة

لأصول الأركان الذاتية، ظاهرة وباطنة، بالأولية والآخرية والظاهرية والباطنية.

والتزم فى هذا الباب الثانى أربعة من الآيات والأحاديث:

● **الأول:** فى شمائله ﷺ.. كان أزهر اللون[١]، أدعج[٢]، أنجل[٣]، أشكل[٤]، أهدب الأشفار[٥]، أبلج[٦]، أزج[٧]، أفتى[٨]، أفلج[٩]، مدور الوجه، واسع الجبين، كث اللحية، علاّء صدره، سواء الصدر والبطن، واسع الصدر، عظيم المنكبين، ضخم العظام، عريض العضدين والذراعين والأسافل، رحب الكفين والقدمين، سائل الأطراف[١٠]، أنور المتجرد[١١]، دقيق المرتبة، ربعة القد، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير المتردد، ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طاله ﷺ، رجل الشعر[١٢]، إذا ابتسم فتر ثغره عن مثل سنا البرق، وعن مثل حب الغمام.. إذا تكلم رُؤى كالنور يخرج من بين ثناياه.. أحسن الناس عنقًا،

---

(١) أزهر اللون: أى كاللؤلؤ فى الصفاء والبياض.

(٢) أدعج: أى شديد سواد العين، وشديد بياضها.

(٣) أنجل: أى اتسعت عيناه وحسنت.

(٤) أشكل: أى خالط بياض العين حمرة.

(٥) أهدب الأشفار: أى رموشه كثيفة.

(٦) أبلج: أسفر وأنار.

(٧) أزج: طويل الحاجبين ودقيقهما.

(٨) أفتى: فتى القوام.

(٩) أفلج: فيه ثغرة بين أسنانه.

(١٠) سائل الأطراف: أى فيها ليونة الحركة.

(١١) أنور المتجرد: المتجرد، هو الجسم الخالى من الشعر أو الملابس، والمقصود أنه منير الجسم.

(١٢) رجل الشعر: سواه وزينه.

وهو مطهم[1] وليس مكلثم[2]، متماسك البدن، ضرب اللحم، إذا ضحك يتلألأ فى الجدر، سهل الخدين، ضخم الكراديس.. وكان فخمًا مفخمًا يتلألأ وجهه تلؤلؤ القمر ليلة البدر[3].

هذه الشمائل على أربعين عددًا، وقعت بيسر وحكمة على أصول التربيعية فى الأربعين.

● **الثاني**: فى فصاحته وبلاغته ﷺ.. قال الراوى رواية ونقلاً عن الصحابة، رضى الله عنهم، قالوا: ما رأينا الذى هو أفصح منك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: وما يمنعنى وإنما أنزل القرآن بلسانى، ﴿لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

وبلاغته ﷺ تعرف فى الكتب المرسلة إلى بعض الملوك، ولم تذكر فى هذا الوجيز المؤخر خوفًا من الإكثار والإطناب طلبًا للاختصار.. وذكر بلاغته وفصاحته وسائر أوصافه وشمائله فى كتاب الشفاء، فليطلب هناك.

● **الثالث**: فى نسبه ﷺ.. قال الراوى: أنه من قبيلة بنى هاشم سلالة قريش وصميمها، وأفضل العرب وأعزهم نفرًا من قبل أبيه وأمه ومن أهل مكة أكرم بلاد الله على الله وعلى عباده.

● **الرابع**: فى بيان أخلاقه الحميدة.. فجميع الخلق قد كانت على الانتهاء فى كمالها، والاعتدال فى غايتها، حتى أثنى الله تعالى عليه بذلك فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

---

(١) مطهَّم: تام من كل شيء ومتناهى الحسن.

(٢) ليس مكلثم: أى ليس ممتلئ لحم الخدين والوجه.

هذه الأوصاف كلها تبين تناسق جسمه ﷺ، فهو وسط فى جسمه من حيث الطول، ومن حيث النحافة والسمنة، فهى تؤكد ملاحته وامتلاء الجسم وحيويته دون أن يصل إلى درجة السمنة.

(٣) شرحنا فيما نص مفردات وصف شمائل النبى ﷺ.

**الباب الثالث:** فى عظم قدره وكرامته عند ربه تعالى.. وهذا الباب أيضًا اختص بأربعة من الأحاديث:

● **الأول:** فيما ورد بذكر مكانته ﷺ عند ربه.. قال ابن عباس، رضى الله عنه، عن النبى ﷺ: «أنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر»(١).

● **الثانى:** فى فضائله ﷺ.. ومن جملة شرفه وفضائله قصة الإسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة، ممانبَّه عليه الكتاب العزيز.. قال الله تبارك وتعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، والإسراء قد يكون بالروح، وقد يكون بالجسد، وقد يكون بالسر النفسى الغيبى.

وهذه المراتب الأربع معتبرة عند المحققين.. ولكل واحد من الإسراءات رجال مخصوصون بواحد منها.. فللأنبياء إسراء.. وللأولياء إسراء.. وللخواص إسراء.. ولأخص الخواص إسراء ظاهرًا وباطنًا فروى أن بعضهم أسرى بروحه، وبعضهم بجسمه وروحه معًا، وبعضهم بروحه فقط، وبعضهم بقلبه، وبعضهم بنفسه، يعنى بسره خاصة، كمن هو متوجه فى الصلاة إلى جانب الحق تعالى وأخلص نيته وأحسن فيها، لما جاء فى الحديث: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»(٢)، وكان لنبينا ﷺ إسراءات مع جميع الحواس الظاهرة والباطنة، ولأمته من الأولياء إسراءات فى مراتبهم.

● **الثالث:** فيما ورد من مناجاته مع ربه، وكلامه معه.. قال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠].

● **الرابع:** فى تفضيله ﷺ بالمحبة والخلة.. قال رسول الله ﷺ: «أنا

---

(١) عن عبد الله بن عباس، رضى الله عنهما، سنن الترمذى.

(٢) بقية الحديث هو: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تراه فإنه يراك»، رواه أبو هريرة، رضى الله عنه، صحيح البخارى، متفق عليه.

حبيب الله وأول شافع يشفع ولا فخر»[١].

وقال رسول الله ﷺ: قال تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وغير ذلك من الآيات والأخبار الواردة فى كرامته وفضيلته عند الله تعالى، على ما أوردها قاضى عياض فى كتابه الشفاء.. فاطلبه.

**الباب الرابع**: فيما أظهر الله على يديه من المعجزات، وتشريفه بالكرامات.. وفى هذا الباب أيضًا أربعة من الآيات القرآنية، ومن الأحاديث الصحيحة، كما ذكرنا بعضها من قبل فى الأبواب المتقدمة.

ولابد أن يعلم **أولاً**: أن معنى تسميتنا ما جاءت به الأنبياء، عليهم السلام، معجزة، هو أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها.. وهى على ضربين: **ضرب** هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه، فعجزهم عن فعل الله تعالى دلّ على صدق نبيهم، كصرفهم عن تمنى الموت، وتعجيزهم عن الإتيان بمثل القرآن.. **وضرب** هو خارج عن قدرتهم، فلم يقدروا على الإتيان بمثله كإحياء الموتى، وقلب العصى حية، وإخراج ناقة من صخرة، وانشقاق القمر.. وغير ذلك من المعجزات مما فى القرآن والحديث، وهى على أربعة أوجه:

● **الوجه الأول**: فى حسن تأليفه والتئام كلامه وفصاحته مع إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب، وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشان وفرسان الكلام، قد خُصوا من البلاغة والحكم بما لم يخص به أحد من الأمم.. ومن جملة الإعجاز والإيجاز نزول سورة الكوثر.

---

(١) نص الحديث هو: «أنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة، فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر». عن عبد الله بن عباس، رضى الله عنهما، سنن الترمذى.

• **الوجه الثاني:** في إعجاز صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذى جاء عليه.

• **الوجه الثالث من الإعجاز:** ما ينطوى عليه من الإخبار بالمغيبات، وما لم يكن، ولم يقع، فوجد كما ورد على الوجه الذى أخبر، كما فى قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ [الروم: ٣، ٤].. وقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١]، وقوله تعالى: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧].

فكان جميع هذا كما قال، فغلبت الروم فارس فى بضع سنين، ودخل الناس فى الإسلام.. ومات النبى ﷺ بعد الفتح.

• **الوجه الرابع:** ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة، والأمم النابذة، والشرائع الداثرة، مما كان لا يعلم من القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذى قطع عمره فى تعلم ذلك، فيورده النبى ﷺ على وجهه، ويأتى به على نصه، وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك يخبرهم بصدق ما وقع فى السلف.

وهذا آخر الوجوه الأربعة التى أوردناها فى تعريف وجوه الإعجاز وأنواعه التى وقعت فى تصديق بلاغته، وإخباره على ما فى كلام الله تعالى من البلاغة والإعجاز.. ولولا خوف التطويل لبسطت الكلام فى أنواع البلاغة على التفصيل فذكر الأنبياء وذكر الصالحين كفارة.. وذكر الموت صدقة.. وذكر القبر يقربكم من الجنة.

والآن ننتقل إلى ذكر الأحاديث والآيات التى تدل على تشريفه بالكرامات:

- نقل عن معاذ بن جبل فى الجامع الصغير الحديث **الأول** من

الأحاديث الموعودة فى الباب الرابع، وقد ذكرنا فى الأبواب المتقدمة الآية فى محل الحديث.. والآن قد يراد من الحديث إخبار النبى ﷺ، وإثباته بآية وردت فى تصديق كلامه أو فى صدق دعواه، وذلك الإخبار بها يكون حديثًا عنه ﷺ.. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، يعنى من وجوه الإعجاز القرآنية المعدودة كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا، مع تكفل الله تعالى بحفظه.

– **الحديث الثانى:** ورد فى انشقاق القمر.. قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

– **الحديث الثالث:** عن أنس، رضى الله عنه، قال: «رأيت النبى ﷺ، وقد حانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوضوء فلا يجدوه، فأتى رسول الله ﷺ بوضوء، فوضع فى ذلك الإناء يده، فأمر الناس أن يتوضأوا منه.. قال الراوى: فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ الناس كلهم»[١].

– **الحديث الرابع:** ومن معجزاته ﷺ أنه يكثر الطعام ببركة دعائه، ومن ذلك حديث مشهور عن جابر، رضى الله عنه: «شبع يوم الخندق من طعامه ألف رجل من صاع شعير وعناق»[٢].

ومعجزاته لا تحصى ولا تعد، ولكن سجلت تبركًا بعضًا من مناقبه وشمائله الشريفة فى هذا المختصر الوجيز، كما قيل: «القليل فى الباب يدل على الكثير مما فى الكتاب».. ومن أراد تفاصيلها فعليه بمطالعة كتاب الشفاء فى بيان أخلاق المصطفى عليه أفضل الصلاة والتسليم.. قال صاحب الشفاء: اعلم أن علوم العرب ومعارفه أربعة: الأول: البلاغة.. والثانى: الشعر.. والثالث: الخبر.. والرابع: الكهانة.

والقرآن الحاذق أنزل لإعجاز هذه الأربعة.

---

(١) صحيح البخارى.

(٢) رواه جابر بن عبد الله، سنن الدارمى.

# القسم الثانى
# فيما يجب على الأنام من حقوقه ﷺ

وهذا القسم أيضًا يحتوى على أربعة أبواب:

**الباب الأول**: فى فرض الإيمان على النبى ووجوب طاعته واتباع سنته ﷺ. وقد لخصنا ما فى هذا الباب على أربعة أحاديث:

- الحديث **الأول**: فى وجوب طاعته ﷺ.. قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤].

وعن النبى ﷺ: «من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله»(١).

- الحديث **الثانى**: فيما ورد عن السلف الصالحين فى اتباع سنته ﷺ، روى عن الشافعى، رضى الله عنه، قال: ليس فى سنة رسول الله ﷺ إلا إتيانها. واتفق على هذا القول سائر الأئمة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، نفعنا الله من علومهم دينًا وعقبى، عزًا وشرفًا.

- الحديث **الثالث**: فى وجوب اتباعه وتصديقه وفى اقتداء سنته، كما قال تعالى جلَّ سلطانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

وعن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين»(٢).

الحديث **الرابع**: فيمن يخالف سنته وأمره.. قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾ [النساء: ١١٥].

---

(١) عن أبى هريرة، رضى الله عنه، صحيح البخارى.

(٢) عن عرباض بت سارية، رضى الله عنه، سنن الترمذى.

وعن أنس، رضى الله عنه، عن رسول الله ﷺ: «من رغب عن سنتى فليس منى، ومن أدخل فى أمرنا ما ليس منه فهو رد»[١]، أى مردود.

**الباب الثانى**: فى لزوم محبته ﷺ: وهذا الباب أيضًا على أربعة من الأحاديث المشهورة المؤكدة بالآيات والأخبار.

- **الحديث الأول**: قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤].

قال القاضى رحمه الله: فكفى بهذا دلالة وحجة على إلزام محبته ﷺ، كما قال فى الحديث: «لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه»[٢].

وعن أنس، رضى الله عنه: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.. وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله.. وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يعذب فى النار»[٣].

- **الحديث الثانى**: ثواب محبته ﷺ.. قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

وعن أنس، رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحبنى كان معى فى الجنة»[٤].

---

(١) عن أنس بن مالك، رضى الله عنه، صحيح البخارى.

(٢) عن عبد الله بن هشام، رضى الله عنه، مسند أحمد.

(٣) عن أنس بن مالك، رضى الله عنه، صحيح البخارى.

(٤) عن أنس بن مالك، رضى الله عنه، سنن الترمذى.

- الحديث **الثالث**: فى محبتهم النبى ﷺ خاصة.

عن عمرو بن العاص، رضى الله عنه، قال: «ما كان أحد أحب إلىَّ من رسول الله ﷺ».

- الحديث **الرابع**: فى حقيقة المحبة وآثارها إلى حضرة النبى ﷺ: قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ** ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال علماؤنا، رحمهم الله تعالى: آثار المحبة إلى حضرة الرسول ﷺ هى الاجتماع إلى سنته فى عباداته وآدابه جميعًا.

**الباب الثالث**: فى تعظيم أمره وتوقيره: وهذا الباب أيضًا على أربعة من الآيات والأحاديث:

- **الحديث الأول**: قال تعالى فى كتابه الكريم: ﴿ **إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ** ﴾ [الفتح: ٨، ٩].

- **الحديث الثاني**: كانت عادة الصحابة، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، إذا جلسوا عند الرسول ﷺ أطرقوا رؤوسهم سكونًا، كأن على رؤوسهم الطير.. وإذا دقوا بابه، دقوا بأظافيرهم سرًا.. ويوقرونه أكمل توقير.

**الحديث الثالث**: فى حرمته بعد موته، وفى توقيره بعد الموت تعظيمًا له، واتباع سنته فى جميع الأحوال، فى حركاته وسكناته والصلاة عليه، والرواية عنه، كذلك بالطهارة.. وعلماء الأمة من قبل، كانوا على هذا فى حياتهم، رضوان الله عليهم.

**الحديث الرابع**: فى توقيره ﷺ وتوقير آله وأصحابه وأمهات المؤمنين من أزواجه رضوان الله عليهم أجمعين.. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

قال القاضى عياض فى كتاب الشفاء: الآل أربعة على وفق الأصول الأربعة، وأجداده ﷺ من الأنبياء، عليهم السلام، أربعًا على ما مر ذكرهم، والآل: جعفر.. وآل عقيل.. وآل عباس.. وآل على، رضوان الله عليهم أجمعين.

وعنه ﷺ: «من أحب أصحابى فقد أحبنى ومن أبغض أصحابى فقد أبغضنى»[١].. وعن جابر، رضى الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله اختار أصحابى على جميع العالمين، واختار منهم أبا بكر وعمر وعثمان وعليًا»[٢].

**الباب الرابع:** فى حكم الصلاة على النبى ﷺ، وفرض ذلك على الأمة والفضيلة فى الصلاة عليه ﷺ: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وفى هذا الباب أيضًا أربعة من الأحاديث المعتبرة عند العلماء.

**الحديث الأول:** قال رسول الله ﷺ: «من صلىَّ علىَّ من أمتى كنت معه فى الجنة»[٣].. وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة الواردة فى الصلاة عليه.

قال علماؤنا أهل السنة والجماعة، رحمهم الله تعالى: الصلاة واجبة

(١) أخرجه الترمذى (٣٨٦٢)، ٥٠ كتاب المناقب، ٥٩ باب حدثنا محمود بن غيلان.. وهو من حديث عبد الله بن مُغَفّل بلفظ: «الله الله فى أصحابى.. الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضًا بعدى، فمن أحبهم فبحبى أحبهم، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه».

وقال الترمذى: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه».

(٢) أخرجه ابن حبان فى كتاب المجروحين (٤١/٢)، من حديث جابر بلفظ مقارب.

(٣) لم نجده فى كتب الأحاديث.

على نبينا ﷺ فى الجملة، والإكثار منها عبادة موجبة للقربى عند الله تعالى، وعند النبى ﷺ يوم القيامة، كما ذكر فى كتب الأحاديث.

**الحديث الثاني:** فى مواطن الصلاة:

قال صاحب الشفاء وغيره من العلماء، مواطن الصلاة كثيرة منها: بعد التشهد، وعند الهم والغم، وفى سائر الشدائد.. قال رسول الله ﷺ: «من صلىَّ علىَّ فى كتاب، لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمى فى ذلك الكتاب»[١].

**الحديث الثالث:** فى كيفية الصلاة عليه ﷺ: فى حديث عقبة بن عامر، رضى الله عنه، قال: «اللهم صل على محمد النبى الأمى وعلى آل محمد»[٢].

**الحديث الرابع:** فى فضيلة الصلاة على النبى ﷺ: عن ابن مسعود، رضى الله عنه: «إن أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم علىّ صلاة»[٣].

## القسم الثالث
## فيما يجب للنبى ﷺ وما يستحيل من أحوال البشرية أن يضاف إليه

وهذا القسم أيضًا على أربعة أبواب:

**الباب الأول: فيما يختص بالأمور الدينية:**

والكلام فى هذا الباب أيضًا على أربعة من الأحاديث المقبولة.

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الأوسط (١٨٣٥)، من حديث أبى هريرة، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (١/١٣٧)، وعزاه للطبرانى فى الأوسط.

(٢) فى حديث عقبة بن عمرو (فى الأصل: عامر) أخرجه بهذا اللفظ أبو داود فى سننه (٩٨١): كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبى بعد التشهد.

(٣) عن عبد الله بن مسعود، سنن الترمذى.

**الحديث الأول:** عن عائشة، رضى الله عنها: «أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة»[١]، وقال النبى ﷺ: «ما أشك ولا أسأل»[٢]، رواه قتادة، وعبادته ﷺ: «كان يعبد ربه حتى تورمت قدماه»[٣].

**الحديث الثانى:** فى استغفاره ﷺ: قيل: «كان استغفاره للأمة» قاله ابن عطاء.

وقال غيره: استغفاره للحذر وشكر الله تعالى وملازمة العبودية.

**الحديث الثالث:** فى عصمته ﷺ: والناس خلاف ذلك، فالأنبياء معصومون.. وقد تعاهدت الأخبار والآثار عن الأنبياء، عليهم السلام، بتنزيههم عن النقيصة.

**الحديث الرابع:** فى تنزيهه ﷺ عن النقائص والضلالة: عن ابن عباس، رضى الله عنه: «لم يكن له ضلالة ولا معصية».

وقال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧].. يعنى وجدك بين مكة ومدينة، بين أهل الضلال، فأخرج من بينهم وأسلك مع أمته إلى طريق الهداية فهدى.. وغير ذلك من الآيات والأخبار على ما ذكر فى التفاسير.. فاطلبه.

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه (٦٩٨٢)، ٩١ كتاب التعبير، باب التعبير وأول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة. صحيح البخارى ٩/٣٧، طبعة الشعب، القاهرة.

(٢) رواه عبد الرزاق عن قتادة بلاغًا، المصنف: هل يسأل أهل الكتاب عن شىء؟ ٦/١٢٥، ١٢٦، طبعة المجلس العلمى لسنة ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م. بتحقيق/الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى، وكذا رواه الطبرى عنه بلاغًا فى تفسيره ١١/١٦٨.

(٣) عن المغيرةبن شعبة رضى الله عنه، قال: «كان النبى ﷺ، ليقوم ليصلى حتى ترم قدماه أو ساقاه فيقال له، فيقول: أفلا أكون عبدًا شكورًا»، صحيح البخارى.

**الباب الثاني: في عصمة سائر الأنبياء، عليهم السلام:**

وفي هذا الباب أيضًا أربعة من الأحاديث المشهورة:

**الحديث الأول:** قصة يوسف، عليه السلام.. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف ٢٤]، وفي معنى هذه الآية اختلاف بين العلماء.. وأنا الفقير راقم الحروف سمعت ممن وثق بكلامه من كبار المفسرين في الروم، قدس الله سره: أن همة يوسف، عليه السلام، ردها ومنعها بتأديبه إياها؛ لأنها كانت زوجة لمالكه.. وإن وقع ذلك الهم وصدر منه فليس عن قصد، وكان ذلك الهم قبل النبوة، ولا يؤخذ بذلك الهم في مذهب الإسلام كما جاء في الحديث القدسي: «إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها ما لم يتكلم أو يعمل بها».. وهم الأنبياء، عليهم السلام، ليس مثل همنا، وكذلك أرواحهم وسائر قواهم الجسمانية والروحانية، على خلاف قوى سائر الناس، خلافًا لأهل الاعتزال.. وسيجئ تأويل هذه الآية الكريمة فيما بعد إن شاء الله تعالى.

**الحديث الثاني:** في قصة سليمان، عليه السلام، كما حكى عن بعض المفسرين لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾، أي: ابتليناه.. وتفصيل هذه القضية كتب في الشفاء، فاطلبه.

**الحديث الثالث:** قصة آدم عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١].. اتفق المفسرون على أن اعتراف الأنبياء بذنوبهم، وأن توبتهم واستغفارهم وبكاءهم فهو على ما سلف منهم من أحوال البشرية.

فإن قيل: هل يشفق ويستغفر من لا شيء عليه من الذنوب، فاعلم أن درجة الأنبياء عليهم السلام، في الرفعة والعلو والمعرفة بالله تعالى، وخشيتهم مما يحملهم على الخوف منه تعالى جل شأنه، والإشفاق في المؤاخذة بما لا يؤخذ به غيرهم.. وغير هذا من المحامل مذكور في كتب

المشايخ، فاطلبها تجدها كما قيل: «من جدَّ وجد».

**الحديث الرابع:** قيل: إن الأنبياء، عليهم السلام، يؤاخذون بذلة صدرت منهم في الدنيا، ليكون ذلك زيادة في درجاتهم ورتبتهم.. قال تعالى: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢]، وقال تعالى لداود، عليه السلام: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ﴾ [ص: ٢٥].

وقال بعض العلماء: زلات الأنبياء، عليهم السلام، كرامات عند الله تعالى.

**الباب الثالث: فيما يخصهم من الأمور الدنيوية ومن العوارض البشرية:** وهذا الباب أيضًا مشتمل على أربعة أصول من الأحاديث النبوية الشريفة.

**الحديث الأول:** قال علماؤنا، رحمهم الله تعالى: إن هذه الطوارئ البشرية، والتغيرات المذكورة إنما تختص بأجسامهم البشرية، المقصود بها مقاومة البشر لمشاكلة الجنس.. أما بواطنهم فمبتعدة غالبًا عن ذلك، معصومة منه، متعلقة بالملأ الأعلى.

**الحديث الثاني:** في منامه ﷺ، قال الرسول ﷺ: «إن عيني تنامان ولا ينام قلبي»[1].. وهذا الحديث سبق ذكره، كما قيل: «كم من الإعادة لا تخلو من الإفادة».

**الحديث الثالث:** فيمن سحر رسول الله ﷺ، قيل: هذا ومثله لا يجوز

---

(١) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن: أنه سأل عائشة، رضي الله عنها: كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان؟ فقالت: ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة.. يصلي أربعًا، فلا تسل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعًا، فلا تسل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثًا.. قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله أتنام قبل أن توتر؟ فقال: «يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي» صحيح البخاري.

فى حق النبى المكرم ﷺ.. ولكن فى حقه وفى حق الغير من الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، فإن الابتلاء بالأمراض جائز عقلاً ونقلاً.. وإنما السحر مرض من الأمراض، وعارض من العلل، يجوز عليه كأنواع المرض.

**الحديث الرابع**: فى إجراء الأمراض وشدتها عليه، وعلى غيره من الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، كما قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

قال صاحب الشفاء، رحمة الله عليه: فامتحانه تعالى إياهم بضروب من المحن، زيادة فى مكانتهم، ورفعة فى درجاتهم.

**الباب الرابع: فيما يتعلق بالجوارح من الأعمال**: وهذا الباب أيضًا جامع لأصول أربعة من الأحاديث الأحمدية ﷺ.

**الحديث الأول**: قال القاضى، رحمة الله عليه: أجمع المسلمون فى الرواية عن النبى ﷺ على عصمة الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، من الفواحش والكبائر الموبقات.

**الحديث الثانى**: فى المباحات.. هل يجوز وقوعها منهم؟.

قال صاحب الشفاء: جائز وقوعها منهم، ولكنهم لا يأخذون من المباحات إلا الضرورة، كما كان النبى ﷺ، يلاطف فى السفر مع رفقائه، وأباح اللعب بالأولاد والأزواج كما جاء فى الحديث: «اللعب فى ثلاثة .... إلى آخر الحديث»[(١)].

**الحديث الثالث**: فى السهو فى أفعالهم: كان النبى ﷺ إذا سهى فى

(١) أخرجه الإمام أحمد عن عقبة مرفوعًا بلفظ: «وليس اللهو إلا ثلاث: ملاعبة الرجل امرأته، وتأديبه فرسه، ورميه بقوسه»، مسند أحمد ٤/١٤٦، طبعة مؤسسة قرطبة، القاهرة.

الصلاة وغيرها يقول: «إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون»[١].. وأكثر النسيان فى حقه ﷺ إفادة علم وتقرير شرع، كتأخير أداء الفجر حين نام مع أصحابه فى السفر.

أكثر الأئمة نبهوا إلى أن مثل هذا السهو تعليم منه، وتأديب له.. وله أيضًا سر غير ذلك مما يطول ذكره فى هذا المسطور الوجيز.

**الحديث الرابع:** فى الرد على من أجاز عليهم الصغائر، واحتجوا فى ذلك بآيات كثيرة وأحاديث صحيحة، منها قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ، قيل: المراد ما تقدم لأبيك آدم وما تأخر من ذنوب منك.. حكاه السمرقندى عن ابن عطاء.. وقيل: المراد ما وقع من ذنبك وما لم يقع.

## القسم الرابع
## فى تصريف وجوه الأحكام
## فيمن ينقصه من أوصافه الشريفة

حاشاه ﷺ من أن ينسب إليه نقص وعيب.. كيف وهو منزه مقدس من النقائص البشرية من كل الوجوه.. إلهى وسيدى وخالقى ومعينى فى كل زمان وآن، فى الدنيا والعقبى، لا تحرمنا من شفاعته ﷺ فى كل حال من الأحوال: فى حياتى ومماتى، عند النزع والفزع، والصبر والحشر، والصراط، والميزان، وفى سائر المنازل من منازل الآخرة.

وليعلم أنى الفقير المحرر: قد تركت القسم الرابع من الأقسام الأربعة، تأدبًا من أن أذكر فى هذا الكتاب ما لا يليق بحضرة النبى ﷺ وعلى آله وبارك وسلم، من كلمات أرباب النفاق من الملاحدة والزنادقة.. وهذا آخر ما كتب فى كتاب الشفاء «للقاضى عياض»، رحمه الله تعالى ونفعنا من علومه ومدده.

---

(١) عن عبد الله بن مسعود، رضى الله عنه، صحيح البخارى.

واعلم أنه قد اختلف العلماء فى عصمة الأنبياء، عليهم السلام.. وينحصر ذلك فى أربعة أقسام:

**أحدها:** ما يكون وما يقع فى باب الاعتقاد كالكفر والضلال.. وهذا غير جائز بإجماع الأمة، إلا على مذهب الخوارج، وهذا أشر المذاهب.

**وثانيها:** ما يتعلق بالتبليغ كالكذب والتحريف والتبديل.. وهذا لا يجوز صدورها منهم.

**وثالثها:** ما يتعلق بالاجتهاد والفتوى.. وأجمعوا على أنه لا يجوز جفاؤهم فيه على سبيل العمد، وأما على سبيل السهو، جوزه قوم، وأباح آخرون.

**ورابعها:** ما يتعلق بسيرهم وأفعالهم.. قال صاحب الكنز: إن أصناف أهل الإيمان والإسلام، غير الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، على أربعة أصناف:

المرتبة **الأولى:** العلماء الصديقون العاملون، وهم أشرف الناس وأجلهم بعد الأنبياء كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢]، وهم ورثة الأنبياء، عليهم السلام، كما أخبر الصادق عليه الصلاة والسلام.

المرتبة **الثانية:** الشهداء.. وقد أثنى الله تعالى عليهم فى كتابه.

المرتبة **الثالثة:** الحجاج.. وقد شرحت أحوالهم فى كتابنا «أسرار الحج».

المرتبة **الرابعة:** عامة المؤمنين الموحدين والصالحين العابدين.

**تعليق على الجزء الثاني:**

لقد حاول الشيخ إبراهيم البثنوى، رضى الله عنه وأرضاه، أن يشرح

لنا جاهدًا فى هذا الجزء (بما سمع به المقام فى مخاطبة العقول والأفكار) بعضًا من أسرار التربيع فى مراتب التوحيد، وفى الحرم المكى، وفى شمائل النبى ﷺ.. وهو جهد مشكور، وخطوة على طريق اكتشاف الكنز المكنون، وهى الحقيقة العليا التى لا نستطيع معرفة أى شىء عنها إلا عن طريق من خاض بحارها، وارتشف من رحيقها، ثم عاد لنا منبهرًا بأضوائها، يحاول أن ينبهنا من غفلاتنا.

والحق يقال: فإن كل من تكلم عن تلك الحقيقة العليا، فما زادنا إلا تشوقًا إليها، وزادنا يقينًا بجهلنا.. فتلك بحار عميقة، تحتاج منا سنينًا عديدة للخوض فى أعماقها، واكتشاف بعضًا من أسرارها.

وحتى لا نصل إلى مرحلة اليأس عملاً بقول الحق جلّ شأنه: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

فإننا نستعين بالقاعدة الفقهية «ما لايدرك كله لا يترك كله»، ونعتبر أن ما سجله لنا هذا الشيخ التقى الورع، هو إشارات نورانية تبدد كدورات البشرية، وتفجر أشواقنا إلى الحضرة الإلهية المحمدية، وتجدد تطلعاتنا إلى مزيد من الأسرار الإيمانية.

فرغم أن هذا الجزء يشتمل على مختصر مما كنا نود أن يتوسع فيه الشيخ، رحمه الله وأرضاه، إلا أنه يحمل أسرارًا عميقة، تفجر آفاقًا واسعة فى نفوس كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ومع قراءتنا لهذه النفحات المباركات، فإننا ندعو الله أن يجعلها فاتحة خير لمزيد من الأنوار، حتى نتعرف وقع خطواتنا التعبدية فى حياتنا الروحية لنصل إلى أسمى المعانى الإيمانية، آمين .... آمين .... آمين .... آمين، والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

* * *

# الجزء الثالث
# سر تربيع العلوم اللدنية فى كتب الصوفية

**تقديم:**

يتناول هذا الجزء سر تربيع العلوم اللدنية المخصوصة، تعلمها أرباب القلوب من الصوفية المعروفة المعتبرة عند العلماء، من علماء الشريعة والحقيقة، قدَّس الله أسرارهم، ونفعنا من علومهم ومددهم.. آمين.. ثم آمين.. ثم آمين.. ثم آمين.

ويذكر فى هذا الجزء الثالث:

- مراتب الإنسان.
- بعض أحوال العالم الواقعة على أول التربيع، وأسرار التربيع فى بعض العبادات.

## القسم الأول: مراتب الإنسان

لابد أولاً أن نعلم مدارج الأصول، وأن نشير صوب سهم مستفاد على عدة الفصول، وذلك على أربعة أصول معدودة بين الطائفة السنية الخلوتية الملامية:

**الأول**: فى مرتبة الذات والصفات، وذكر معانى الأسماء دقيقها وجليها.

**الثانى**: فى ذكر مرتبة الأرواح وعالم الملكوت وتحقيق ظاهرها وباطنها.

**الثالث**: فى ذكر تعين عالم المثال ومرتبة الأجسام إلى أن تكونت صورة آدم عليه الصلاة والسلام.

**الرابع:** في ذكر نشأة الإنسان وأطواره الأولى من تلك الأصول الأربعة المذكورة آنفًا وهى: رتب الذات والصفات والأسماء.

**مدارج الأصول:**

**الأصل الأول: مرتبة الذات والصفات:**

اعلم أن الله تعالى وتقدس، قال في حديث قدسي: «كنت كنزًا مخفيًا فأحببت أن أعرف.. فخلقت الخلق لأعرف، فبى عرفونى»[(١)].

وهو قد كنى في هذا الحديث عن كنه الغيب، وإطلاق الذات الأقدس، وباطن الهوية والأزلية، بالكنز المخفى.. وذلك لأن الكنز عبارة عن عين مغيب مكنون، وسر مخزون، وكذلك كنه الجناب الأقدس. تعالى وتقدس، وله المثل الأعلى في السماوات والأرض، وهو العزيز الحكيم، بلا نسبة تشبيه وتشكيك إليه وتمثيل، تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا.

وقوله: «كنت» يخبر عن معين مسبوق بالإطلاق، كما يوزن به بتكلمه تعينًا وظهورًا.

أما قوله: «كنزًا مخفيًا»، يبين عن غيبه وإطلاقه، بحيث لا يدخل تحت حكم متعين يحكم عليه من حيث هذا الغيب والإطلاق، ولا تحت إحاطة به علمًا من حيث تعيناته أصلاً، لا زمانيًا ولا مكانيًا؛ لأنه ليس عند ربنا صباح ولا مساء.

وقوله: «فأحببت» يخبر عن ميل أصلى، هو وصلة بين الخفاء والظهور المذكور، وما ثم إلا التعين الذى هو عين الوحدة، فكان الميل عن التعين عينه.

---

(١) أورده السخاوى في المقاصد الحسنة، حديث رقم ٨٣٧، طبعة مكتبة الخانجى بتحقيق الشيخين، عبد الله بن الصديق، وعبدالوهاب عبد اللطيف، بلفظ: «كنت كنزًا لا أعرف، فأحببت أن أعرف، فخلقت خلقًا فعرفتهم بى، فعرفونى».

وقوله: «أن اعرف فخلقت الخلق لأعرف» يشير إلى ذلك الخفى، ويعرف أن تقدير المقدرات علمًا ووجوبًا يعقب ذلك الميل، ويترتب على متعلقه الذى هو الظهور الحاصل بذلك التعين.. ثم توجه إلى التعين الثانى النفسى المذكور، فسمى بأسماء كثيرة، حسب اعتبارات ثابتة فيه مع توجه عينه، وذلك لا يعرف إلا بمطالعة شروح الأسماء الحسنى.. ومن أراد ذلك فعليه أن يطالع شرح القصيدة التائية للشيخ الفرغانى.

**الأصل الثانى: مرتبة الأرواح وعالم الملكوت:**

نتكلم هنا عن مرتبة الأرواح، وعالم الملكوت، والسابق فى هذا العالم الكنزى، المكنى عنه بالخفاء، وانتهاء الرجوع إلى الأصول السبعة المتفق عليها الحكم والأمر الإيجادى فى السماوات والأرضين، الروحانيين والجسمانيين وما فيهما من الأجسام والأرواح.

وهذه ثانى دورة معنوية للمحبة الأصلية، ووقع الانفعال والقبول، فانتهض الاسم الحى، وتقدم الاسم العليم، وتوجه الاسم المريد.. وكل اسم أخذ حكمه من الأسماء الإلهية المنسوب إليها التأثير والفعل.

فأول ما أقبل أمر التكوين بلا واسطة.. حقيقة القلم الأعلى.. ثم بواسطة العلم: حقيقة اللوح المحفوظ الذى انساب مظهريته إلى التعين والبرزخ والتجلى الثانى.. وما أجمل فى القلم كان مفصلاً فى اللوح، وتمام أحكام ما فى اللوح تتم فى الأصول السبعة.

ولما كان التعين التالى (المسمى بمرتبة الألوهية) له أربعة أركان فى الحقائق الإلهية، ومع لوازمه يكون سبعة.. والأركان هى: الحياة.. والعلم.. والإرادة.. والقدرة.. فلا جرم أن عين الاسم البارى فى اللوح لكل واحد من هذه الأركان مظهرًا خاصًا، وصورة روحانية.. فهذه أربعة أملاك فى الروحانيين:

- فكان **إسرافيل** مظهرًا لركن الحياة الكلية الأصلية المشتملة على

جميع الكمالات، ولذا كانت نفخته الثانية سببًا للحياة الأبدية، فافهم.

– وأما **جبريل** فكان فى اللوح المحفوظ مظهرًا لركن العلم، ولهذا كان حاملاً للوحى المشتمل على أنواع العلوم.

– وأما **ميكائيل**: فكان مظهرًا لركن الإرادة، فإنه مرتب لما فيه بقاء الخلق، من الرزق المعنوى والصورى، علمًا وفهمًا وغذاءً.

– وأما **عزرائيل**: فكان مظهرًا لركن القدرة، فإنه يقهر الجبابرة، ويذلهم بالموت والفناء.

وكما أن جميع الحقائق الإلهية والكونية فى توابع هذه الأربع، فكذلك جميع الأرواح والملائكة فى توابع هذه الملائك الأربعة وقواها، بعد القلم والمهيمين الذين هم العالون فى المرتبة.

**الأصل الثالث**: فى ذكر تعين عالم المثال ومرتبة الأجسام إلى أن تكونت صورة آدم عليه السلام.

اعلم أن النفس الرحمانى الذى هو عين الرحمة السابغة الشاملة كل شىء ظاهرًا وباطنًا، مظهرًا أيضًا هذا النفس الرحمانى المذكور بصورة تفصيل حقيقى علمى وهو برزخ الثانى.. ثم أن أثر هذا النفس الرحمانى المفاض بحكم ذلك الاقتضاء الحبى، وتوجهات مظاهرها الكلية الروحانية، ظهر وجهه الرابع (الذى هو وجه تنزله وتصوره) بصورة الهباء الذى هو مادة قابلة لجميع الصور الطبيعية والعنصرية، البسيطة والمركبة.. فكان الهباء أصلاً مجملاً، ومعدنًا مشتملاً على كل جوهر فرد، تركب منها جميع الأجسام اللطيفة والكثيفة والصور الطبيعية والعنصرية، وله أركان أربعة هى: الحرارة.. والبرودة.. والرطوبة.. واليبوسة.

وسميت تلك المادة المرموقة عند جماعة **بعنصر العناصر**، فكان لهذا

العنصر الأعظم أربعة أركان، هى أركان الطبيعة.. فتحرك هذا العنصر بأركانه، بحكم الاقتضاء والحركة الحبية الأصلية السارية فيه، فارتفعت من الحرارة الدخان، فكان ذلك ردق السماوات.. ثم تميزت الأركان بعضها فى بعض: فقسم منها ما كان كثيفًا، وقسم ما كان ألطف.. واسم الله والرحمن لما كانا متوجهين إلى تحقيق الكمال على الحكم والأمر الإيجادى، الذى ينبى قاعدة على الأركان والأصول الأسمائية وتوجهاتها ومظهريتها فى أربعة:

**الأول:** من حيث مظاهرها المعنوية التى عيَّنها الاسم المريد.

**والثانى:** من حيث مظاهرها الروحانية التى عينها الاسم البارى.

**والثالث:** من حيث مظاهرها المثالية التى هى الأركان الطبيعية والأحكام بحكم اسم البارى.

**والرابع:** من حيث مظاهرها الجسمانية الحسية.. وكان هذا الرابع لإظهار الكمال الأسمائية.

وتفاصيل هذه الأركان مذكورة مبسوطة فى شرح العقيدة التائية الفارضية للإمام الفراغانى.. فاطلبه هنالك.

**الأصل الرابع: فى مراتب الإنسان وأطواره:**

والإنسان من حيث هو إنسان: هو كل عارف عالم.. فهو بهذه الاعتبارات جامع جميع مراتب العالم الظاهر والباطن، بكمال الجلاء والاستجلاء، كنى بالجلاء لظهور تجلى الثانى الغالب عليه حكم الواحدية، ثم أنشأت السبع حقائق الإنسانية، وبالاستجلاء كنى بكمال الجلاء المنسوب إلى الكمال الأسمائى، وظهور صور الاعتبارات الواحدية بصور آثار الأسماء الإلهية، والقوابل الكونية، وهى جامعة أيضًا فى السير والسلوك أنواعًا من المقامات.. ومن جملة مقاماته التى هى بمنزلة الصلاة

فى ذلك أربعة أركان:

**الأول:** هو القصد الصحيح فى التوجه عن بصيرة بحكم التجرد.

**والثانى:** الانقطاع عن كل ما يعوقه.

**والثالث:** العزم بقوة الأدب، الذى يظهر الخوف بصورة القبض، والرجاء بصورة البسط.

**والرابع:** الأدب بحفظ التوسط بينهما.. فلهذا يكون مقامًا للعزم.

**مراتب قرب الإنسان إلى ربه تعالى:**

اعلم أن قرب الإنسان من ربه هى العلة الغائية.. وسير الإنسان وسلوكه منحصر فى رتب أربع:

**الأولى:** رتبة **المحبة** المترتبة على الجذبة، بقوله: «ما تقرب عبدى إلىَّ بشى أحب لىَّ من أداء ما افترضت.. وذلك التقرب إما المعنية كما ذكروا، وإما بالسلوك، المعنى بقوله: «ولا يزال العبد يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه».

**الثانية:** رتبة **التوحيد** المبنية على الرتبة الأولى، المشار إليها بقوله: «فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ولسانه».

**الثالثة:** رتبة **المعرفة** المبنية على الثانية، المعبر عنها بقوله: فبى يسمع وبى يبصر وبى يعقل.. وهى يعبر عنها فى لسان القوم بمقام البقاء والجمع.

**الرابعة:** رتبة **التحقيق** وهى رتبة الخلافة من وجه، والكمال من جميع الوجوه **المشتملة** فى هذه الرتبة الرابعة على الجميع، الجامعة بين البداية والنهاية وأحكامهما وأحكام مقام الجمع والتفرقة، والوحدة والكثرة، والحقيقة والقيد والإطلاق، وغير ذلك من الحقائق الإلهية والمراتب الكونية.. فافهم، فإن هذه المراتب من لوازم الإنسان الكامل الصادق.

## المرتبة الأولى: رتبة المحبة

قال عمر بن الفارض فى أول قصيدتـه (قـدس الله روحـه ونفعنـا مـن ذوقه وشوقه ومن محبته):

سبقتنى حجيا الحب راحة مقلتى وكأس محيـاى عن الحسن جلتـى

وقال الفاضل الفرغانى فى شرحه وإيضاح معناه:

يعنى محصول البيت أربعة: رؤية الحبيب.. وحبه.. ووجهه.. وحسنه.

وتلك أربعة أنواع بحسب المفهوم والعرف على العموم:

**الأول**، حسى: وهو بين الأجزاء والأعضاء من جهة هيئاتها وألوانـها وبهجتها ومضاداتها.

**والثانى**، عملى: وهو فـى المعـانى التـى يتعلـق إدراكـها بـالعقل، نحـو العدل والرحمة والوفاق ونحو ذلك.

**والثالث**، روحانى: وهو فى الأخلاق خاصة.

**والرابع**، شرعى: وذلـك فـى الأمـور الدينيـة، كرعايـة أمـر الشـارع ولزوم الجماعة.

وقال، رحمة الله عليه: اعلم أن التجليات الواردة علـى أهـل الله ثلاثـة أقسام: فعلية.. وأسمائية.. وذاتية.. وأقول: ولا يبعد، بل يليـق أن يقـال: ورابعها صفاتية على ما تراه.. ولكل واحد طرق وموارد ومراتـب شـتى تفاصيلها فى الشرح فانظر هناك.

وقال الشارح، رحمه الله: إن أقسام هذا التجلى الفعلى والتعلق بالحب

بسببه، على أربعة أنواع، بحسب تفاوت استعدادتهم[١]:

**الأول:** من أوقفه قصور استعداده على صورة معينة، بحيث لا يحصل له التجلى الفعلى إلا من حبه تلك الصورة.

**والثانى** منهم: من تعطيه قوة استعداده الجواز عن المعين المقيد إلى المطلق، لكن يقع فى معرض.

**والثالث** منهم: من يترقى إلى الإطلاق بسرعة عظيمة، مع أدنى توقف فى منازله كحال الخليل عليه السلام.

**والرابع** منهم: من يكون ترقيه وجوازه بكمال استعداده فى غاية سرعة عظيمة، وهى كالبرق الخاطف بلا توقف، كسير صاحب ذوق ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧]، فإنه لم ينزغ بصره إلى شهود مقيد متعين.

## المرتبة الثانية: رتبة التوحيد

قال الشارح (الفاضل الفراغانى، رحمة الله عليه): اعلم أن لقضاء عالم الإيجاد فنونًا وشعابًا متفرغة، بعضها كلية (وهى مقاماته) وبعضها جزئية (وهى منازله).

أما **مقاماته** فأربعة:

**أحدها**: التحقيق بظاهر الوجود العينى، وهو مقام «كنت سمعه وبصره»، وذلك السير من النفس وفناء ظاهرها وكثرتها إلى عين وحدة الوجود الظاهرى.

---

(١) كتب فى هامش المخطوط ما يلى:

- المحبة أربعة أقسام: الأول: هو التعظيم.. والثانى: إيثار الرضا.. والثالث: قلة الصبر.. والرابع: كثرة الاستئناس بذكر المحبوب دائمًا (كذا فى حدائق الحقائق).
- والصحبة فى أربعة أوجه: الصحبة مع الله بالموافقة.. ومع الخلق بالمناصحة.. ومع النفس بالمخالفة.. ومع الشيطان بالعداوة (كذا فى حدائق الحقائق).

**وثانيها:** التحقيق بباطن الوجود العلمى، وهو مقام أن الله تعالى قال على لسان عبده: «سمع الله لمن حمده» وذلك بالسير من الروح الروحانية وفنائها بوحدتها وبساطتها إلى كثرة صور الشئون النسبية.

**وثالثها:** السير فى التقيد بحكم أحد التجليين (الظاهرى والباطنى) وفناء هذا المقيد وهو مقام جمع (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) وهو المعبر عنه بالفناء فى الفناء.

**ورابعها:** المختص بالحضرة الأحمدية، وهو السير فى بقية شىء من التميز وحكم الضدية، فيما جمعته هذه الحضرة والمقام الثالث، حتى فناء هذه البقية إلى الحضرة الأحدية الجمعية السوائية، المنافية كل أثر تميز وحكم ضدية وغيرية بالكلية وهو مقام: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠].. ومقام: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

**وأما منازل الاتحاد فهى:** التحقيق بالأسماء الكلية كاسم الحى.. والمريد.. والعالم.. والقادر.

وقال الفرغانى فى شرح بيت شعر (باللغة الفارسية) إنه يتضمن أربع إشارات:

**الإشارة الأولى:** لا يمكن التحقيق بحقيقة ذوقه ومقامه ﷺ، ولكن حسب ما يفهم كل واحد من كلامه أو الإشارة فى كلام المولى تعالى إلى مقامه ﷺ.

**الإشارة الثانية:** أن الرؤيا الأحمدية كانت محفوظة عن الخطأ والخلل، بحيث أنه ما كان يرى ﷺ رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ومنها ما يحتاج إلى غير ذلك من المحامل فى المناسبات.

**الإشارة الثالثة:** وهى التنبيه من الأئمة على أن الرؤيا الأحمدية تتسم بكمال الصحة والمطابقة، وهى اختصاصه فقط.

**الإشارة الرابعة:** أن الرؤيا المحسوسة مضافة إلى مزاجه وصورته المحمدية، أما قلبه ﷺ فهو صورة الحقيقة الأحمدية.

ومن أراد تفاصيل هذا الشرف الأحمدى، فعليه أن يطالع شرح القصيدة التائية للإمام الفرغانى (رحمه الله).

**واعلم أن التلوين الحاصل لأرباب** الشهود والتجليات أربعة أقسام:

**الأول:** يتعلق بمرتبة التجلى الظاهرى، وذلك بتوارد الأحوال الحاصلة من أحكام الأسماء الداخلة فى حيطة الاسم الظاهر، فتحجب أحوال كل اسم عن إدراك أحكام اسم آخر.

**الثانى:** ما يتعلق باسم الباطن بتوارد أحكام الأسماء الداخلة فى حيطته، فتحجب أحكام كل اسم منه وأحواله عن إدراك أحكام الاسم الآخر إلى وصول السائر إلى مقام جمعه وتمكينه.

**الثالث:** ما يتعلق بمقام جمع الجمع، وهو يتعلق ببدء التجليات الغيبية الكنهية، الغير منصبغة بحكم الاسم الظاهر والاسم الباطن.. وصاحب هذا المقام جامع بين الظاهر والباطن، ولكن يحجب لظهور ما لا ينصبغ بحكم الظاهر ولا الباطن ولا الجمع بينهما فيما يتعلق بمقام التمكين فى التلوين.

**الرابع:** هو تلوين التجليات الواردة من غيب الغيب، الغير منصبغة بحكم شىء من المراتب والمدارج.. أعنى جمع الجمع والظاهر والباطن، الذى مقابله تضمن تلك التجليات الكنهية أحكامًا غيرية خاصة لا يطلع عليها إلا صاحب مقام التمكين فى هذا التلوين، وهو صاحب مقام أحدية الجمع، لجمعه بين شىء من حكم الأحدية التى تتعلق تلك

التجليات الواردة من غيب الغيب بها، وبين أحكام الواحدية المتعلقة حقائق أحكامها وأسرارها بهذا المقام الأحدى الجمعى وظواهرها ومظاهرها أعنى من أحكام الواحدية دون الأحدية المتعلقة بمقام جمع الجمع وما دونه من المقامات.

## المرتبة الثالثة: رتبة المعرفة

قال فى العوارف: إن بناء أصل الطريق إلى الله أربعة:

الأول: قلة الطعام.. والثانى: قلة المنام.. والثالث: قلة الكلام.. والرابع: الاعتزال عن الناس.

وقال الشارح الفاضل المذكور فى الشرح، فى بيان معانى الحديث: «كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين»[1]، قام هذا الرسول من حيث صورته الروحية العلمية بدعوة هؤلاء الأرواح الأربعة: الملكية.. والجنية.. والإنسية.. والروحانيات جميعها، من قبل أن تتعين العناصر الأربعة التى هى: النار.. والهواء.. والتراب.. والماء.

وكذا قال الفاضل المذكور فى شرحه فى بيان المحو والفناء:

اعلم أن **كليات مراتب المحو** بالنسبة إلى سائر السائرين ثلاث، ورابعها مختص بالسير الأحمدى.. فالجملة تكون أربعة، موافقة فى المراتب، مطابقة على الأصل المفروض:

**الأولى:** محو كثرة النفس وصفاتها الأصلية والعارضية، وفنائها نتيجة الجذبة والبقاء.

---

(١) أورده السخاوى فى المقاصد الحسنة، طبعة مكتبة الخانجى، الحديث رقم ٨٣٧، حيث قال: وأما الذى على الألسنة بلفظ: «متى كنت نبيًا؟ قال وآدم بين الماء والطين».

وقال العلقمى فى شرح الجامع الصغير: حديث صحيح.. ورواه الترمذى بلفظ آخر عن أبى هريرة قال: قالوا يا رسول الله! متى وجبت لك النبوة؟ قال: وآدم بين الروح والجسد.

**الثانية:** محو الروح وصفاتها المخصوصة بها وفناؤها.. ونتيجة هذا المحو والفناء شهود كثرة الحقائق فى مرآة العلم الوحدانى الذى هو باطن الروح، وشهود كثرة شئون باطن الوجود من وراء أستار العلم والمعلومات بتميزاتها، غير مجردة عن كسوة مظاهر صور معلوميتها.

**الثالثة:** محو التقيد بحكم هذين الشهودين المترتبين على المحوين السابقين، ونتيجة هذا المحو الثالث الجمع بين الشهودين، أعنى شهود الوحدة فى عين الكثرة، وشهود الكثرة فى عين الوحدة، ولكن مع بقاء الأثر فى حكم المغايرة بين الوحدة والكثرة.

وأما المحو **الرابع:** الذى عليه اكتملت مراتب المحو، فهو أثر التقيد بحكم الوحدة والكثرة المتغايرين، ونتيجة التحقيق بوحدة جامعة بين نسبتى الوحدة والكثرة، ورؤية عدم المغايرة بينهما.

وقال الشارح، (رحمه الله)، فى أول الكتاب (المقدمة)، فى معرفة مراتب النفس ومعرفة الرب، أراد بذلك بيان معانى الحديث المشهور «من عرف نفسه فقد عرف ربه»[1]، وذلك التعرف لا يمكن إلا بالمراتب والمدارج.

قال القاشانى (رحمه الله): الأسفار أربعة:

**الأول:** هو السير إلى الله من منازل النفس للوصول إلى الأفق المبين وهو نهاية مقام القلب ومبدأ التجليات الأسمائية.

**الثانى:** هو السير فى الله، بالاتصاف بصفاته، والتحقيق بأسمائه، إلى الأفق الأعلى، وهو نهاية الأحدية.

**الثالث:** هو الترقى إلى عين الجمع والحضرة الأحدية، وهو مقام «قاب قوسين» ما بقيت الاثنينية، فإذا ارتفعت فهو مقام «أو أدنى» وهو نهاية أو أدنى، وهو نهاية الولاية.

---

(١) أورده السخاوى فى المقاصد الحسنة، حديث رقم ١١٤٩.

**الرابع**: هو السير بالله للتكميل، وهو مقام البقاء بعد الفناء والفرق بين الجمع، وسقوط الاعتبارات.. هو اعتبار أحدية الذات.

## المرتبة الرابعة: رتبة التحقيق

اعلم واستحضر: أن من أراد أن يكشف له الفرق والتحقيق بين معرفة النفس ومعرفة الرب، المترتبة على المحبة الذاتية فى المقام الأحدى الجمعى الأحمدى المحمدى، الذى هو غاية الغايات، فهذا لا يحصل إلا بعد تمهيد مقدمة، وأصول تنبنى عليها معرفة النفس والرب فى أربعة أصول من البيان المعجز من جهة دقة المعانى ورقة الألفاظ فى رعاية أبدع أصناف البديع، وأرفع أوصاف الترصيع، وأحلى فنون البيان، وأجلى عيون اللسان، وراعى فى كل أصول: ذكر أصلها على الإجمال والتفصيل.

**الأصل الأول**: فى تحقيق تعين الصفات الأربع الأصلية فى هذا المظهر الإنسانى من ظاهر هذه المشارع ، أحدها: اللسان.. وثانيها: العين.. وثالثها: الأذن.. ورابعها: البدن التى هى رقوم متضمنة جميع علوم عالم الحس، مرقومة فى ستور الهياكل البدنية المزجاة بين العوالم الغيبية والشهادة والخلقية والحقيقة.

**الأصل الثانى**: وهو يتضمن بيان أحكام الأسفار الثلاثة المختصة لسائر السائرين إلى مقام الكمال، وبيان حكم السفرة الرابعة الخصيصة بسير نبينا محمد ﷺ إلى مقام الأكملية المتعلقة تلك الأحكام بغاية كل سفرة منها، وتلك الغاية إنما هى التمكين فى تلوينات ذلك المقام وما تحتها.

أما السفر **الأول**: فهو فى ظاهر النفس الملهمة فجورها وتقواها إلى ظهور ظاهر الوجود الواحد فى القلب الكامن فى النفس، وانفتاح عين السائرين من حيث رابع بطن من الأبطن السبعة.

وأما السفر **الثاني**: فيكون من ظاهر الوجود إلى باطنه من حيث روح هذا السائر، وظهور ذلك الباطن من الوجود فى قلبه الكامن فى روحه الروحانية، وانفتاح عينه من حيث النظر الخامس من الأبطن السبعة التى لصفاته الأربعة الأصلية، حتى يصير تقلبه المذكور، الذى هو صورة حقيقة الباطن فى روحه الروحانية، آلة لنطق الحق الذى هو باطن الوجود المتجلى فيه أولاً وآخرًا.. وسبب تمكين هذا المقام الخلوة والعزلة، وأصحاب يمدونهم من الخيرات.

والسفر **الثالث**: هو الذى يوجب التقيد بالقيدين (الظاهرى والباطنى) إلى الحضرة، أى حضرة جمع الجمع.. وغاية هذا المقام التمكين فى التلوينات الجمعية الأسمائية والصفاتية جميعها، بحيث لا يحجبه شىء من التجليات المتعينة فى مقام جمع الجمع، ولا التجليات المختصة بالمقام الظاهرة وبالمقام الباطنى، إلا أنه يحجبه التجليات الغيبية الكنهية فاعلم ذلك وافهم.

وأما السفر **الرابع**: المختص بالحضرة المحمدية فهو فى مقام جمع الجمع ومقام قاب قوسين الذى هو مقام الكمال إلى حضرة أحدية الجمع ومقام «أو أدنى» والبرزخية الكبرى التى هى رتبة الأكملية، وظهور التجلى الأحدى الجمعى.. وحكم هذا المقام أن لا يحجبه شىء عن شىء، ولا تشغله أحوال العالم عن ذاته.

**الأصل الثالث**: وهو يتضمن ذكر أنه بعد شرف ظهور هذه المفاتيح بهذا المظهر الأشرف المحمدى، بظهور حكم اشتمال كل واحد منها على الجميع من حيثية جميع المراتب، بسبب كمال قابلية هذا المظهر المحمدى، وعروجه بجسده وروحه ومعناه وسره إلى عين هذه الحضرة الأحدية الجمعية، التى حكمها ظهور هذا الاشتمال بالكلية، فى كل ما وصل إليها، وتحقق بها، بشرط أن يعود فى بعض الأوقات إلى جزئية أوصافها، والظهور بقيد المراتب وأحكامها، وذلك الحكم هى النشأة

الدنيوية.. ألا ترى أنه ﷺ قيد هذا الرجوع إلى هذه الأحدية الجمعية بوقت ما، فيما قال: «لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل»(١).

وفى وقت ما كان ﷺ فى مقام الإسلام نائبًا عن المؤمنين.. وغير ذلك من السير والسلوك فى العوالم كلها.

فهذه السير والسلوك تنبنى على أربع قواعد فى حصر مقامات السير إلى الله مع كل مقام:

القاعدة **الأولى**: اعلم أن كليات المقامات فى سير الإنسان من الطبع إلى النفس وإلى الرب فى ثلاثة مقامات (غير الرابع الذى هو مقام التمكين):

الأول: مقام الإنسان.. والثانى: مقام الإيمان.. والثالث: مقام الإحسان.. والمقام الرابع: تمكينه فى هذه المقامات. ولكل مقام منها تفصيل فى الشرح.

القاعدة **الثانية**: اعلم أن من خصائص الكامل أن يكون بروحه وسره غالبًا مشاهدًا حضرة الغيب وما فيها.. فى مقام الإحسان وبحواسه ومشاعره الظاهرة والباطنة، مشتغلاً بالآثار والعبر.. وفى مقام الإيمان مشتغلاً بالعبادة الدينية فى الأمر والنهى الشرعى.

القاعدة **الثالثة**: فى بيان تجسد الأعمال:

اعلم أننا قد بيَّنا مرارًا على أن العرش والكرسى والسماوات كلها مظاهر الحقائق الإلهية، وأن الكواكب مظاهر الأسماء، وأن التشكلات والاتصالات والقرانات التى تؤثر بالوساطة وبحكم المظهرية فيما تحته من

(١) أورده السخاوى فى المقاصد الحسنة، وقال: يذكره المتصوفة كثيرًا وهو فى رسالة القشيرى، بلفظ: «لى وقت لا يسعنى فيه غير ربى»، حديث رقم ٩٢٦، طبعة مكتبة الخانجى.

عالم الكون والفساد، بل الأسماء تؤثر من ورائها، بل جمعية الحق تؤثر من ورائها، ومن وراء كل اسم من أسمائها.. كما أنها تؤثر بوساطة الأكل والشرب من ورائهما، ومن وراء اسم الرزق والباقى فى تحصيل الشبع والرّى فى البدن.. وكذلك الصور الإنسانية التى هى مظاهر تلك الحقائق والأسماء الإلهية وقواها وأعضاؤها، وغير ذلك من الأسمائية الشئونية الصفاتية.. فافهم ما فى هذا المسطور مجملاً، واطلب الشرح تجد مفصلاً.

عن أبى هريرة، رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ذروة الإيمان أربع خلال: الصبر للحكم.. والثانى: الرضا بالقدر.. والثالث: الإخلاص للتوكل، والرابع: الاستسلام للرب»[1]، الخواطر التى ترد على القلب، من الخطاب والوارد الذى لا تعمد للعبد فيه.. وما كان خطابًا فهو أربعة أقسام:

**الأول**، ربانى: وهو أول الخواطر ويسمى السبب الأول.. وفى الجملة كل ما فيه صلاح يسمى إلهامًا.

**والثانى**، نفسانى: وهو مافيه حظ النفس.

**والثالث**، شيطانى: وهو ما يدعو إلى مخالفة الحق، كما قال تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

**والرابع**، ملكى: وهو الباعث على مندوب أو مفرض.

القاعدة **الرابعة**: تتضمن أن النفس المطمئنة الراضية المرضية بالشهود والتحقق بهذه الأسماء الكلية والصفات الأصلية، إذا شاءت أن تظهر آثار

(١) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان ٢١٩/١، حديث رقم ٢٠٢، طبعة دار الكتب العلمية، وأخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ٢١٦/١، طبعة دار الفكر.. الحديث هو: ذورة الإيمان أربع خلال: الصبر للحكم، والرضا بالقدر، والإخلاص للتوكل، والاستسلام للرب.

هذه الأسماء والصفات المذكورة، فإظهارها تكون من حيث المفهومات الحاصلة من أخبار صادرة من مقام النبوة، يكون ذلك أجمع فائدة وأكمل نتيجة للخلق من مقام النبوة المضافة إلى الحضرة المحمدية العامة الشاملة جميع الحضرات، مثل قوله ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»[١].

وعند أهل الشريعة وأرباب الطريقة: أن الإنسان فى مقام الإحسان يعبد ربه على تيقن، بحيث يحسبه بين يديه برعاية كمال التعظيم وقوته، بترك الالتفات إلى عدم الرؤية، فيراعى حق تعظيمه وكمال التوجه بكلية الظاهر الباطن إليه.

وأما أهل الكمال: فلهم مقامات أخر فى ذلك.. ومن أراد الوقوف بكماله، فله أن يطالع الشرح.

**الأصل الرابع:** فى بيان أن صاحب مقام أحدية الجمع، بعد تحققه بحقيقة مقام الإحسان فى مبدئه الذى حكمه «كأنك تراه»، يكون هناك بقية من آثار أنانيته المجازية، ثم يترقى إلى مقام الإحسان الذى حكمه، «فإن لم تكن تراه» لفناء جميع البقايا، حيث شاهد ربه فى أعلى مراتب الشهود، والمعبر عن ذلك بقوله: «تراه» فصارت آيات تجليات هذه الحضرة الأحدية الجمعية التى هى الآيات الكبرى، وتجليات الأسماء العظمى، مرئية له.. وآلات تصرفاته من جوامع الكلم: رؤية كل شىء فى كل شىء، وسماع كلام ربه من حيث كل شىء.

فاستحضر هذه المقامات والأصول تنتفع إن شاء الله تعالى، وينكشف لك أسرار مراتب التربيعية الأصلية، الجامعة لجميع المراتب الظاهرة والباطنة فى العلوية والسفلية.

انتهى الكلام من القصيدة الفارضية، قدس الله سره، ونفعنا من معارفه الوترية الأحمدية.

---

(١) عن أبى هريرة، رضى الله عنه، صحيح البخارى.

# القسم الثانى
# بعض أحوال العالم الواقعة على أصول التربيع وأسرار التربيع فى بعض العبادات

حكمة غسل الأعضاء الأربعة:

قال صاحب كشف الأسرار (رحمه الله): السر والحكمة فى غسل الأعضاء الأربعة، ومجيئها فى الأصول التربيعة، قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]، حيث قال أهل الحكمة من العلماء: الإشارة فى أمر غسل الأعضاء الأربعة الظاهرة، ليكون مطابقًا على مراتب الطبائع الأصلية الإنسانية.

وقال بعضهم من العلماء: الأصل فيه أن أحوال القيامة أربعة: الأول: الموت.. والثانى: القبر.. والثالث: القيامة.. والرابع: النار.

فإذا غسل وجهه يرفع الله تعالى عنه هول الموت، وإذا جاء ملك الموت يجىء إليه نور غسل الوجه، فينظر العبد ذلك النور، فيرى عرش ربه، ويرى مكانه فى الجنة، ويسمع قول منادى الرب تعالى: ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

– فإذا وضع فى القبر: جاءه غسل اليدين، فيضىء له القبر، ويخرج الوحشة والندامة، فيجيبه القبر ويقول: جئتنى وأنا موضع الظلمة والوحشة، فأتيتنى بسراج منير، فطوبى لك أيها العبد.

– فإذا خرج من قبره، يجىء نور مسح رأسه، فيمشى أمامه، فتضىء له القيامة.. فذلك قوله تعالى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم﴾ [التحريم: ٨].

ويسلم عليه الملائكة، ويستغفرون له، ويكون له يوم القيامة (الذى هو مقدار خمسين ألف سنة) قدر أربع ركعات من الفرض؛ لأنه قام فى الدنيا كل يوم خمس مرات، فصارت له كل صلاة مقدار ألف سنة.

– فإذا وصل العبد الصراط، فعليه يومئذ ظلمة، فيجىء نور غسل القدمين، فيضىء له الصراط، فيمر عليه كالبرق الخاطف بتوفيق الله تعالى.

فلأجل ذلك أمر الله تعالى بغسل الأعضاء الأربعة، وبإقامة أربع ركعات، لتجمع عليه أنوار الأربعة، وتكون إمامه إلى الجنة، وذلك قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ﴾ [الزمر: ٧٣].

**موافقة الأعمال للأصول:**

– قال النيسابورى: ويقال: أن العمل للثواب والعقاب، لا للسعادة والشقاوة، والعلامة: جمود العين، وقسوة القلب، وحب الدنيا، وطول الأمل.. وتلك أربعة، لتكون الأعمال موافقة للأصول كسائر أحوال الناس، فانظر بالتأمل تجد التطابق بين الأصول.

وقال ذو النون المصرى، رضى الله عنه، علامة السعادة أربعة: **الأول**: حب الصالحين والدنو منهم.. **والثانى**: تلاوة القرآن.. **والثالث**: سهر الليل.. **والرابع**: مجالس العلماء ورقة القلب؛ لأن الطالب لا يستفيد من مجالسة العلماء ما لم يكن فى قلبه رقة وقابلية؛ لأن الأديان على أربعة أقسام:

**الأول**: سعيد بالنفس فى لباس السعادة، وهم الأنبياء عليهم السلام، وأهل الطاعة.

**الثانى**: شقى بالنفس فى لباس السعادة، مثل برصيصًا وبلغم بن باعورا.

**الثالث:** شقى بالنفس فى لباس الشقاوة وهم الكفار.

**الرابع:** سعيد بالنفس فى لباس السعادة كبلال وسلمان.

وفى هذه الألفاظ سر التربيع ظاهر من عدة أوجه لأولى البصائر.

**أسباب كفر إبليس:**

قال علماؤنا (رحمهم الله): الأسباب فى كفر إبليس كثيرة جدًا.. وبالقياس والحصر يعتبر على أربعة أوجه:

**الأول:** أنه قاس فى معرض النص (فلا قياس مع نص).

**الثانى:** أن الطين يتخذ منه المساكن وغيرها، وينبت فيه الأقوات، والنار من شأنها الإحراق والطيش.

**والثالث:** أن الطين طبعه الرزانة والثقل، والنار من شأنها الخفة والطيش، والطين خير منها.

**الرابع:** كفر لأنه استنقص آدم، عليه السلام، وهو نبى.. ولذلك كفر من استنقص الأنبياء، عليهم السلام، أو استنقص ورثة الأنبياء وهم العلماء إلى يوم القيامة؛ لأن من استنقص أو استحقر نبيًا أو وليًا أو عالمًا كفر.

- قال الشيخ فى الفتوحات: واعلم أن أهل النار الذين لا يخرجون منها أربع طوائف: المتكبرون.. والمعطلة.. والمنافقون.. والمشركون.. ويجمعها كلها كلمة «المجرمون» فى قوله تعالى: ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩]، أى: المستحقون العذاب.. ومن أراد التفصيل فليرجع إلى الأصل.

**أسرار التربيع فى الرجاء والخوف:**

تكلم علماؤنا، رحمهم الله، عن الرجاء والخوف وأيهما أفضل لتوحيد

الله: فقال بعضهم: الخوف أفضل؛ لأنه لولا الخوف ما قبل بنو آدم الأدب وسائر الحيوانات.. وقال آخرون: **الرجاء أفضل لأربعة أشياء:**

**الأول**: الرجاء إلى فضله والخوف من عدله، والفضل أفضل وأكرم من العدل.

**والثاني**: الرجاء إلى الوعد والوعيد من بحر الرحمة، والخوف من الوعد والوعيد من بحر الغضب، ورحمته سبقت غضبه.

**الثالث**: الرجاء بالطاعة، والخوف من المعصية.. ومن الطاعة ما لا يعلو على المعاصي كالتوحيد.

**الرابع**: الرجاء بالرحمة، والخوف من الذنوب.. والذنوب ذو نهاية، والرحمة لا نهاية لها.

وقال الشيخ (رحمة الله عليه فى الفتوحات): اعلم أن أعلم الأرواح بالله عزَّ وجل أرواح الجماد لكونها لا حظ لها فى التدبير.. ودونهم فى العلم بالله تعالى علم أرواح النبات.. ودونهم فى العلم بالله تعالى أرواح الحيوان.. ودونهم فى العلم بالله تعالى أرواح من تقيد بالعقل.. وذلك لأن الثلاثة الأول مفطورون على العلم بالله تعالى، بخلاف الرابع.

وقال بعضهم: **الخوف أفضل لأربعة أشياء:**

**الأول**: لأنه بالخوف وعد جنتين، ولم يعد بالرجاء إلا جنة واحدة(١).

**والثاني**: الخوف يمنع من الذنوب، وترك الذنوب أفضل من فعل الخيرات، كما ورد فى الأثر: «لترك ذنب أفضل من عبادة الثقلين».

**والثالث**: الخوف من مقام العارفين.

**والرابع**: من عبد الله تعالى بالخوف فهو مرتجى.. ومن عبد الله تعالى

---

(١) يقصد، قوله تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [الرحمن: ٤٦].

بالحب فهو زنديق.. ومن عبد الله تعالى بالثلاثة فهو مستقيم.. وفى ذلك كله إشارة للأصول من الأركان والعناصر وغيرها مما لا يخفى على الفطن العارف الذكى الفهم.. يعنى من عبد الله بالقلب لا بالجسد فهو مبتدع.. ومن عبد الله تعالى بالروح يعنى بالسر والمحبة فهو زنديق ملحد.. ومن عبد الله تعالى بالجسد فقط، فهو ساه وغافل وصاحب خسران، ناقص ساقط فى درجة العبودية.. ومن عبد الله تعالى بالنفس، فهو من أهل الهوى.. وأما من عبد الله تعالى بالأركان الأربعة، وبجميع قواه وحواسه، فعبادته حقيقة معتبرة فى الشرع.

**السر فى تصوير آدم، عليه السلام، على أربعين سنة:**

قال بعض الأفاضل: السر والحكمة فى تصوير آدم، عليه السلام، على أربعين سنة، قبل إدخال الروح فيه، أنه على طريق أكمل الأعداد وهى أربعون، ليعلم أن الحقائق فى الكون لا تخلو من أسرار التربيع؛ لأن قواعد الكون وأصله وحملة العرش وغيرها لا يخلو من سر التربيع، ولذلك لم يوحى ولم يبعث نبى من الأنبياء، عليهم السلام إلا بعد الأربعين.. فتركه مصورًا بعدد مدة الأنبياء، عليهم السلام.

وهذا المجال فيه أسئلة وأجوبة لم نلتزم ذكرها فى هذا المختصر، ومن أراد الوقوف على أمثال هذه، فعليه كتاب «أصول الحكم» لوالدنا المرحوم، قدس الله سره العزيز ونفعنا من علومه ومعارفه.

**أسرار التربيع فى دعاء سيدنا إبراهيم:**

قال صاحب كشف الأسرار فى قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

قال أهل المعرفة من المفسرين: سأل إبراهيم (عليه السلام) ربه ثناءً حسنًا وفى هذا الشأن أربعة من المعانى:

**الأول**: سأل إبراهيم، عليه السلام، الصفات المحمودة التى يستحق بها الثناء؛ لأن الثناء تعينه.. كما قال: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، أى: أكرمنا بمناقب الأمة التى نصلح لها، وكما قال سليمان بن داود (عليهما السلام) فى قوله تعالى: ﴿وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ [ص: ٣٥]، أى: احفظنى من الأشياء التى توجب زوال النعمة.

**الثانى**: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]، أى: بأن لا أغالى فى الأصدقاء، كى لا يقع أحد بسببى فى المعصية، كما قالت مريم: ﴿يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣]، أى: قبل أن يقع أحد فى المعصية بسببى.

**الثالث**: أن عيسى، عليه السلام، كذبت عليه النصارى بأنه ابن الله، فيستحى يوم القيامة حيث يقول الله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦].. كذلك خشى إبراهيم، عليه السلام، أن يكذب عليه فيستحى من الله تعالى.

**الرابع**: اجعل لى ثناءً حسنًا لأن المؤمنين تشهدوا، والله لا يرد شهادتهم، وقيل: ومعنى صلاة الله على إبراهيم كتحقيق الدعاء والإجابة والقبول.. وقولك فى الصلاة: اللهم صلى على محمد كما صليت على إبراهيم، هذا أثر قبول دعاء إبراهيم، عليه السلام.

**أربعة أسباب لابتلاء يعقوب عليه السلام:**

قال أرباب التأويل من المفسرين: فى ابتلاء يعقوب، عليه السلام، أربعة أوجه:

**الأول**: لأنه لا شىء أشد من كى الولد.. ألا ترى أن نوحًا عليه السلام دعى على الكفار فأغرقهم الله، ولم يحترق قلبه.. فلما بلغ ولده

الغرق صاح، وقال: ﴿إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥].

**الثانى:** لأنهم قالوا: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا﴾ [يوسف: ٨]، لحسن صورته.

**الثالث:** لأن الله تعالى أراد ابتلاءه بيوسف عليه السلام، كما ابتلى كثيرًا من الأنبياء، عليهم السلام، بسبب اقتضاه حكم القضاء من الله تعالى.

**الرابع:** لأنه كان يتيمًا من الأم فيترحم عليه.. وفى الخبر: أن الملك قال ليوسف، عليه السلام: إنى أحبك، فقال: لا تحبنى فإن أبى أحبنى، فوقعت فى العبودية بسببه، وزليخا أحبتنى، فوقعت فى السجن بسببها.. ومن أحبنى يصيبنى منه محنة.

**أسباب ابتلاء يوسف بالعبودية والسجن:**

قال بعض العارفين: فى ابتلاء يوسف، عليه السلام، بالعبودية والسجن أربعة أسباب، واعتبار فى المراتب، مطابقًا للأصل الخلقى الذاتى:

الأول: ليرحم المماليك والمسجونين إذا صار ملكًا.

الثانى: ابتلاؤه بجفاء الأقارب ليعتاد الاحتمال من القريب والبعيد.

الثالث: ابتلاؤه بجفاء الحساد ليعتاد الاحتمال من البعيد والعبيد.

الرابع: ابتلاؤه بالقربة ليرحم الغرباء.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف: ٢٤].. قال أرباب التأويل: فى الهم أربعة معان: الأول: همت به حرامًا.. والثانى: همت به حلالاً.. والثالث: همت به فرارًا.. والرابع: همَّ بها فرارًا.. وغير ذلك من التمثيلات والمحامل.

**التربيع فى أسماء عيسى عليه السلام:**

قيل: كانت أسماء عيسى، عليه السلام، أربعة: الأول: عيسى.. والثانى: كلمة.. والثالث: مسيحًا.. والرابع: روح الله.. وهذه الأسماء مطابقة للأركان والأصول.

**عيسى**: هو الأبيض فى اللغة.. **وروحًا:** لأنه كان من ريح جبريل، عليه السلام.. ويقال: ولد من ساعته.. ويقال: ولد لثمانية أشهر.. وقيل غير ذلك.

وأما **كلمة**: فلأنه صار بكلمته مخلوقًا.

وسماه **مسيحًا**: لأنه يسيح فى الأرض.

روى أن الله سبحانه وتعالى أكرم أربعة من الصبيان بأربعة أشياء: يوسف بالوحى فى الجب، وعيسى بالنطق فى المهد، وسليمان بالفهم، ويحيى بالحكمة.

**أربعة أوجه فى دعوة أيوب عليه السلام:**

قيل: هناك أربعة أوجه فى سبب دعوة أيوب، عليه السلام، فى قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

**الأول**: أيمسنى الضر وأنت أرحم الراحمين؟.

**الثانى**: مسنى الضر أن أقول: «لا أصبر» فيكون جزعًا، أو اكشف عنى فيكون تحكمًا.

**الثالث**: أن الدود قصد قلبه الذى هو خزانة المعرفة والإيمان، ومحل الحب والعرفان.

**الرابع**: لانقطاعه عن الطاعة بسبب البلاء.

## حبس يونس في بطن الحوت على سر التربيع:

قيل: حبس يونس، عليه السلام، فى بطن الحوت على أكمل الأعداد، أو فى التربيع لتكميل سر التربيع.. وفى هذا الأصل أسباب أربعة:

**الأول**: أن الحوت لما جرحه نمرود بسهم اشتكى إلى الله تعالى، وقال: «جرحنى عدوك بسهم» فأكرمه الله تعالى بيونس، عليه السلام.

**والثاني**: ثنى عليه بعجائب من الحيتان: حوت موسى عليه السلام، وحوت الذى تحت الأرض، وهو الذى رفع سفينة نوح عليه السلام، والحوت الذى أكل الطعام مع سليمان عليه السلام، والحوت الذى نزل على مائدة عيسى عليه السلام، وحوت قوم داود عليه السلام، وحوت يونس عليه السلام.

**والثالث**: تضرع قومه أربعين يومًا، لم يحمل أذاهم، فحبسه الله تعالى أربعين يومًا، وأنبت عليه شجرة يقطين لأن فيه خواص أربع:

**الأول**: لأن فيه شفاء للمعلولين.

**والثاني**: لا يقع عليه الذباب، ظلها أبرد ظل.

**والثالث**: أنه يشد قلب الحزين.

**والرابع**: هى ألطف الأشجار وأسرعها نباتًا.

وفى شجرة اليقطين خواص غير هذه، ولكن ذكر بعض خواصها فى هذا المسطور ليستدل بها على غيرها.. فافهم.

## سر خلق آدم على صورة الرحمن:

قال أرباب التأويل من العلماء بالله فى قوله ﷺ: «إن الله خلق آدم

على صورة الرحمن»[١]، وفى رواية: «على صورته»[٢]، وفى الحديث أربعة معانى:

**الأول:** أن المراد من صورته صورة آدم، عليه السلام، والضمير يرجع ويعود إلى آدم عليه السلام.. والمعنى أنه خلقه على صورته التى خلقه عليها، وكان طوله ستين ذراعًا فى عرض سبعة أذرع، وأن بنيه لم يزلوا يتقاصرون إلى ما نراه اليوم، وفى الحديث: «إن أهل الجنة يدخلون الجنة جردًا مردًا جعدًا على طول آدم ستون ذراعًا فى عرض سبعة أذرع»[٣].

**الثانى:** أن المعنى بصورته: أى بصورة الرحمن.. والمراد أن الله خلق آدم وصوره.. فصورة آدم صورها الرحمن، وإضافتها إلى الله تعالى تشريف لآدم، عليه السلام.. وعندى أن هذا الوجه الثانى أوجه من سائر الوجوه الثلاثة، الله أعلم حقيقته.. وأما عند بعض الصوفية مذاهب شتى، أوردناها مفصلة فى كتابنا كنز الأسرار، فاطلبه تجد أسرارًا لطائف، نقلاً عن كبار المشايخ رحمهم الله، لا أنه خلقه على صورة الرحمن نفسه؛ لأن ذلك مستحيل على الله تعالى؛ لأنه ليس بجسم مصوَّر.

**الثالث:** أن المراد بالصورة هى الصورة المعنوية، فالإنسان بطبعه يحب الكبر والعلو وهما صفتان للرحمن، فجعله سميعًا بصيرًا عالمًا.. وهذه الأوصاف قد أطلقت على الله تعالى، وفيها إشارة إلى تكريم آدم،

---

(١) حديث: «إن الله خلق آدم على صورة الرحمن»، رواه الحارث بن أبى أسامة فى مسنده عن ابن عمر، كتاب الآداب، باب النهى عن تقبيح الوجه.. حديث رقم ٨٧٢، نشر مركز خدمة السنة والسيرة، المدينة المنورة بتحقيق د. حسين أحمد.

(٢) حديث: «إن الله خلق آدم على صورته»، رواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة.. حديث رقم ٦٢٢٧، فى كتاب الاستئذان، باب بدء السلام ٦٢/٨، طبعة دار الشعب.

(٣) رواه الإمام أحمد، عن أبى هريرة، رضى الله عنه.

وتكريم ذريته وتشريفا له على سائر المخلوقات.

**الرابع:** ذكر الإمام فـى تفسيره: أن المراد صورة آدم.. والمعنـى أنـه خلقه مـن أول وهلـة علـى صورتـه، و لم يجعلـه أولاً نطفـة ثـم علقـة ثـم مضغة.. بل خلقه ابتداء على هذا الشكل، بخـلاف بنيـه، حيـث خلقـهم على التدريج.

## أسرار التربيع فى دفع خاتم سليمان:

قال أرباب التأويل فى دفع خاتم سليمان، عليه السلام، أربعين يومـا، على أكمل أعداد التربيع.. قيل دفع هذا فى حق سليمان لأسباب أربع:

**الأول:** كـان فـى داره صنـم يعبـد مـن دون الله تعـالى، أربعين يومـا فسلب بعدده.

**الثاني:** أراد أن لا يعجب بدنيا وولاية تصلح لشيطان.

**الثالث:** إنما أراد أن الملك بيده، إذا شاء أعطاه، وإذا شاء منعه.

**الرابع:** نظر سليمان، عليه السلام، إلى أربعة أشياء: الأول: إلى علـمه فـابتلاه الله تعـالى بـالهدهد.. والثـانى: نظـر إلى ملكـه فـابتلاه بـآصف.. والثالث: نظر إلى ماله فـابتلاه الله بشيطان.. والرابـع: نظـر إلى سياسته وحشمته، فابتلاه الله بنملة.

## أركان الصلاة التربيعية:

قال أهل الحكمة والمعرفة.. جعل الله الصلاة مثنى وثلاث وربا ع؛ لأن الله تعالى خلق أجنحة الملائكة مثنى وثلاث ورباع، على أركان الإنسان وأصوله الأربعـة، لتكـون كفـارة.. فـأراد أن يكفـر بـها ذنوبـا صـدرت بواسـطة هـذه الأركـان؛ لأن الإنسـان فـى الحقيقـة: اثنـان (أى الجسـد والـروح)، وقـد يكـون ثلاثـة (باعتبـار القلـب والمعنـى) ويكـون أربعـة بالنفس.. وهكذا يكون مطابقا وموافقا لأجنحة الملائكة.

وجعلت الصلاة على أربعة أركان: القيام.. والركوع.. والسجود.. والقعود.. يريد الله بها تكفير ذنوب الأعضاء الأربعة (كما مرَّ ذكره) وليكون الإنسان مصليًا ومناجيًا ربه بأركانه الأربعة مطابقًا للخلق؛ لأن الخلق أربعة أصناف:

**الأول:** قائم مثل الأشجار. **والثاني:** راكع مثل الأنعام.

**والثالث:** قاعد مثل الأحجار. **والرابع:** ساجد مثل الهوام.

فأراد سبحانه وتعالى موافقة الجسد فى العبادات لجميع المخلوقات.. ولذا قال بعض الأفاضل: هذه الكلمات الأربع (سبحان الله.. والحمد لله.. ولا إله إلا الله.. والله أكبر) هى صلاة الخلائق من جميع الموجودات، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤].

فشرع الله جلَّ شأنه الصلاة الشرعية على عدد الأركان الأربعة؛ لأن أسرار التربيع سارى فى أكثر الحقائق، خصوصًا فى الصلاة الجامعة للقيام والقعود والركوع والسجود، وحركة الرفع والخفض.. وقد كان أجملها فى: الساكن الذى هو الأرض، وفى الجارى الذى هو الماء، وفى المتحرك الصاعد الذى هو النار، وفى المتجدد المتحرك الذى هو الهواء.

- فجعل **القعود المشبه** بالسكون فى العالم (الأرض): التشهد.. والغرض من التشهد هو الشهادة بالتوحيد على كلمة **«لا إله إلا الله»** وهى شهادة الموجودات له بالتوحيد.

- وجعل حركة **الرفع والخفض**، الذى هو شبيه الهواء فى تجدده وحركته **«الله أكبر»**.

- وجعل **للركوع والسجود**، (ويجمعهما جميعًا اسم السجود الذى هو بين القيام والقعود شبيه بالماء الذى هو بين الأرض والهواء) التسبيح..

سبحان ربى الأعلى، وسبحان **ربى العظيم**.

- وجعل **للقيام** فى الصلاة الذى هو شبيه لصعود النار **«الحمد لله»**.

وكذلك كان ﷺ إذا أشرف على شرف كبر، وإذا هبط سبّح، وإذا استهل هلل، وإذا صعد قال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

فالأربع كلمات فى الأصول ، وهى صلاة الخليفة.. وإنما هى على أربعة أصول: الهواء والماء والنار والأرض.. لكل واحد من هذه الأصول كلمة يختص بها من الكلمات الأربع.. ولما أولج الحق سبحانه وتعالى هذه الأصول بعضها فى بعض، ومازج بينهما، امتزجت الكلمات الأربع فى الأصول الأربعة، وتركبت فى أحوال صلاتها، ففصلها جلَّ جلاله فى الصلاة الشرعية على أربعة أركان:

قيامه حالة الحمد.. وقعوده حالة التشهد.. وركوعه وسجوده حالتان مخصوصتان، وتراها بجملة فى الصلوات الفطرية بتفصيلها بالتدبير وإعمال الفكر.

ولما كانت الشجرة فى الدنيا على أربعة أصول، وكان ذكرنا أربع كلمات، ومن ذكر واحدًا منها غرس له شجرة فى الجنة كما جاء فى الحديث: «أكثروا من غراس الجنة وهى سبحان الله، والحمد لله، وإلا إله إلا الله، والله أكبر»[1].. وكذلك الصلاة جامعة لأربعة أشياء:

الأول: حضور.. والثانى: شهود.. والثالث: خشوع.. والرابع: خضوع.

فالحضور بالنفس.. فمن لم يحضر بالنفس فهو ساهى.

والشهود بالقلب.. ومن لم يشهد بالقلب فهو لاهى.

والخشوع بالسر (يعنى بالروح).. ومن لم يخشع بالسر فهو مضاهى.

(١) مسند أحمد، رواه عن أبى أيوب الأنصارى.

والخضوع بالجسد.. والمطلوب التأني في الصلاة حتى تخضع أركان الإنسان لمولاه.

فانظر بالإنصاف تجد سر التربيع ممتزجًا في العبادات وغيرها في العوالم.

**الحكمة في تخصيص الغسل في الأعضاء الأربعة[(١)]:**

قال بعض الأفاضل: ليكون مطابقًا بالأركان والأصول العارضة في النشأة الإنسانية.

وقيل في أول وضع الغسل: أول هذا الغسل وقع حين تناول أبونا آدم، عليه السلام، من الشجرة.. وسر ذلك وحكمته هي:

قيل توجه عند الأكل أولا بالوجه، ولذلك كان يغسل الوجه أولاً.. وتناول باليد.. ومشى إليها بالرجل.. ووضع يده على رأسه.. فأمر بغسل هذه الأعضاء الأربعة.

وقيل: نق ظواهرك حتى أنقي باطنك.

**أسباب جلد شارب الخمر أربعين:**

قيل: سبب هذا أربعة أوجه:

**الأول:** لأن الخمر إذا شربه إنسان يسقى ويجرى في عظمه ولحمه أربعين يومًا.

**والثاني:** لا يقبل شهادته إلى أربعين يومًا، كما جاء في الحديث[(٢)]،

---

(١) وهي المستمدة من قوله تعالى: ﴿وإذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾ [المائدة: ٦].

(٢) روى ما يتعلق بعدم قبول صلاة شارب الخمر ونجاسته أربعين يومًا، كقوله ﷺ: «من شرب مسكرًا لم يقبل الله له صلاة أربعون يومًا»، أخرجه الطبراني في الكبير ١٥٤/٧، والنسائي في سننه بلفظ مقارب في كتاب الأشربة (باب الروايات=

وبعد الأربعين تقبل صلاته؛ لأنه بعد الأربعين يذهب عنه آثار الخمر.

**والثالث**: أن شارب الخمر لا تقبل صلاته إلى أربعين يومًا.

**والرابع**: أن الخمر يسرى فى عروقه (كما أن النطفة تسرى فى الرحم أربعين يومًا، وفى عرق الأمهات) وعندما تسرى وتجرى عند التلذذ، تؤثر تأثيرًا شديدًا لذيذًا فى الأصول والأركان والعناصر الأربعة وسائر الحواس.

لذلك يجلد شارب الخمر أربعين جلدة بمقابلة كل يوم، وبمقابلة كل ركن عشرًا كاملةً، لتكميل سر التربيع السارى فى كل شىء، وذلك لسريان أسرار التربيع فى كثير من الأشياء.

**أنهار الجنة أربعة:**

قيل: إن أنهار الجنة أربعة، ومن ذلك علمنا أن التجلى العلى لا يقع إلا فى أربع صور: ماء.. ولبن.. وخمر.. وعسل.

فأنهار **الماء**: لأصحاب العلوم التى لا تدخلها الآراء.

وأنهار **الحليب**: الذى لم يتغير طعمه: فهى لأصحاب العلم بأسرار الشرع.

وأنهار **الخمر**: فهى للأمناء من أصحاب العلوم الذوقية، كعلم الخضر عليه السلام.

وأنهار العسل **المصفى**: فهى لأجل طريق الوحى.

كذا جاء فى الفتوحات.

**من أسرار التربيع فى أقوال المصطفى الأمين ﷺ:**

**قوله ﷺ فى الوضوء**: قال النبى ﷺ: «من توضأ نحو وضوئى هذا، ثم

=المغلظة فى شرب الخمر) وأخرج الطبرانى مرفوعًا: «من شرب الخمر كان نجسًا أربعين يومًا»، المعجم الكبير ١٢/٢٤٩، ٢٤/١٦٨، دار البيان العربى، القاهرة.

قام يصلى ركعتين، لم يحدث فيهما نفسه، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»[١].

وقول الرسول ﷺ «نحو وضوئى» ولم يقل: «مثل وضوئى» فيه أربعة أوجه:

**الأول**: أنه ﷺ رتب حصول الثواب على الإتيان بوضوء يقارب وضوءه، ولم يقرب فى الحصول للإتيان بمثل الوضوء، ليتميز فى ذلك على الأمة، والتوسعة عليهم فى أبواب الغسل.. يقرب منه قوله ﷺ: «قاربوا فى العمل»[٢]، يعنى أنكم لن تستطيعوا الإتيان بما أمرتم به، فقاربوا الإتيان بمثله، والذى يقرب من الشىء هو النحو.

**الثانى**: أنه ﷺ إنما قال: «نحو»؛ لأن أحدًا من الأمة لا يستطيع أن يأتى بالعبادة التى أتاها النبى ﷺ فى صفاتها الكاملة من الإخلاص وحضور القلب والخشوع وسائر الآداب.

**الثالث**: لابد من حصول ذلك فى مراعاة النحو، فيأتى بوضوء يقارب ذلك الفعل، ولا يأتى به بعيدًا عنه؛ لأن مدلول النحو القصد، كما قيل: «نحا إذا قصد».

**الرابع**: إشارة إلى مثلين متغايرين فى الذات واتحاد فى الصفات.. ويجوز أن يثبت لكل واحد ما يثبت للآخر، ويستحيل على كل واحد ما يستحيل للآخر.

**قوله ﷺ فى شهادة التوحيد:**

روى عن أنس، رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه، حديث رقم ١٥٩، عن عثمان بن عفان، كتاب الوضوء، راجع ١/٥٠ طبعة دار الشعب.

(٢) روى فى كتب الحديث بلفظ: «سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن يدخل أحدكم عمله الجنة»، أخرجه البخارى (٦٤٦٤): ٨١ كتاب الرقاق، ١٨ باب القصد والمداومة على العمل من حديث عائشة، رضى الله عنها.

يصبح: اللهم إنى أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك، بأنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمدًا عبدك ورسولك، أربع مرات، عتقه الله ذلك اليوم من النار»[١].

قال بعض الأفاضل: فيه سر التربيع من عدة أوجه: الوجه **الأول** (فيه أربع نقاط): الأول: أشهد الله.. والثانية: وحملة العرش.. والثالثة: والملائكة.. والرابعة: وجميع الخلق.. فأعتق الله تعالى بشهادة كل شاهد من هؤلاء ربعه[٢].

الوجه **الثاني**: كما أن الإنسان يهدر دمه إذا شهد عليه أربعة فى الزنا، كذلك يعصم دم هذا من النار، إذا شهد أربعة على إيمانه.

الوجه **الثالث**: قال بعض العلماء: تكرير هذه الكلمات أربع مرات، تبلغ حروفها ثلثمائة وستين حرفًا، وابن آدم مركب من ثلثمائة وستين عضوا، فأعتق بكل حرف منها عضوًا من أعضائه، فإذا قالها مرة أعتق الله ربعه.

**والرابع**: قال بعض العلماء: إن العبد إذا دعى ربه، وتوجه إليه بتوجه تام خالص، لا يخلطه بشيء آخر، ينادى ربه بلسانه، ويتوجه إليه بقلبه، ويصعد إليه بروحه وبسره، ويتعرض بنفسه لنفحات رحمته، فقد توجه بالأركان والأصول الظاهرة والباطنة.

واعلم أن الشافعين: واحد وثلاثة، فالواحد أرحم الراحمين، والثلاثة هم: الملائكة والنبيون والمؤمنون، وبقى أرحم الراحمين، فكل طائفة تخص حضرته.. فأرحم الراحمين يشفع فى الذين لم يعلموا خيرًا قط غير توحيدهم لله فقط.. فهم كصاحب السجلات، وهؤلاء هم الذين

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه، كتاب الأدب ٤/٣١٧، حديث رقم ٥٠٦٩، طبعة المكتبة العصرية.

(٢) فإذا قالها أربع مرات أعتق نفسه كلها.

شهدوا مع شهادة الله والملائكة: أنه لا إله إلا هو.

**تميز سيدنا محمد ﷺ بمنازل أربعة:**

قال الشيخ فى الفتوحات: لقد أنزل الله محمدًا ﷺ أربع منازل لم ينزل فيها غيره من الأنبياء: أعطاه ضروب الوحى كلها.. وأعطاه علم الأحوال كلها.. وأعطاه علم إحياء الأموات معنى وحسًا.. وأعطاه علم الشرائع المتقدمة كلها، وأمره أن يهتدى بهداهم.. فهذه أربع منازل خص بها.

**من أسرار التربيع فى أصول الفقه:**

قيل فى أصول الفقه: إن الشرع اقتصر على غسل الأعضاء الأربعة تيسيرًا فيما يكثر وقوعه.. وفيما عداه أبقى على أصل القياس (كالمنى والحيض والنفاس والتطهر من النجاسة وغير ذلك).

كذا فى المغنى، قال صاحب المغنى، رحمه الله: وكل ما تتعلق به أحكام الشريعة فهى أربعة:

الأول: السبب.. والثانى: العلة.. والثالث: الشرط.. والرابع: العلامة.

أما **السبب** فأربعة:

**الأول**: وهو ما يكون طريقًا إلى الحكم من غير أن يضاف إليه وجوب أو وجود.

**والثانى**: إن أضيف إلى السبب صار فى معنى العلة، مثل قطع حبل القنديل وغير ذلك.

**والثالث**: السبب الذى له شبهة العلة كحفر البئر فى الطريق.

**والرابع**: يسمى سببًا مجازًا كاليمين بالله، والنذر المعلق، وتعليق الطلاق والعتاق بالشرط.

وأما **العلة**: فهي ما يجب الحكم به معه.

وأما **الشرط**: فهو ما يمتنع به وجود العلة، فإذا وجد وجدت العلة.

وأما **العلامة**: فهي ما جعل علمًا على الوجود من غير أن يتعلق به وجود أو وجوب مثل الإحصان في باب الزنا.

وروى عن رسول الله ﷺ: «من حفظ على أمتي أربعين حديثًا في أمر دينها، بعثه الله يوم القيامة في زمرة الفقهاء والعلماء»[1]، والحديث فيه إشارة إلى سر التربيع.

وقال رضى الله عنه: العوارض المكتسبة أنواع، ومنها الجهل، وهو على أربعة أقسام:

**الأول**: جهل باطل بلا شبهة وهو الكفر.. وهو لا يصلح عذرًا في الآخرة.

**الثاني**: جهل هو دون الأول، لكنه باطل لا يصلح عذرًا في الآخرة أيضًا، وهو جهل صاحب الهوى في صفات الله تعالى، وفي أحكام الآخرة.

**والثالث**: جهل يصلح بشبهة وهو الجهل في موضع الاجتهاد الصحيح.

**والرابع**: جهل يصلح عذرًا، وهو جهل من أسلم في دار الحرب، فيكون عذرًا.

**أيهما أفضل: المشرق أم المغرب؟.**

قال صاحب كشف الأسرار: اختلف العلماء في المشرق والمغرب، أيهما أفضل؟ وفي السماء والأرض، أيهما أفضل؟ احتجوا في هذه

(١) رواه البيهقي في الأربعين الصغرى (٢٢/٢)، نشر دار الكتب العلمية، بتحقيق أبي إسحاق الحويني، ورواه الدارقطني في العلل عن معاذ (٣٣/٦) طبعة دار طيبة.

الأسماء الأربعة بأربعة أوجه.. كل واحد من هذه الأسماء الأربعة مطابق ومشابه إلى ركن من الأركان الأربعة، أعنى النفس والقلب والروح والجسد.

فقالت المشارقة: الشرق أفضل، واحتجوا بوجوه أربع:

**الأول**: أن الله تعالى لم يذكر الجهتين فى موضع إلا قدم المشرق.

**والثاني**: الفضاء يكون مظلمًا، فلا يضيء إلا بطلوع الشمس من المشرق.

**والثالث**: أن الأئمة الأربعة فى الفقه من المشرق.

**والرابع**: أن الأرض التى بورك فيها بنص القرآن هى أرض مصر والشام وأرض الجزيرة (وأرض مصر حد بين المشرق والمغرب).

واحتج المغاربة أيضًا بوجوه أربعة:

**الأول**: أن الله تعالى بدأ بذكر المغرب فى قصة ذى القرنين.

**والثاني**: ذكر فى الحديث: «لا يزال طائفة من أمتى ظاهرين»[(١)]، وفى رواية: «أهل المغرب ظاهرين».

وأجيب: بأن الشام غربى المدينة.

**الثالث**: أن المغرب اختص بظهور الأهلة التى هى مواقيت الصلاة والحج، ويرمقها أبصار الناس دون المشرق.. وعورض ذلك بطلوع الشمس من المشرق، وبأن القمر يطلع أولاً من المشرق ممجدًا ثم يظهر بالمغرب.. وبأن باب التوبة سعته أربعون عامًا، ثم أنه يغلق بالمغرب.

(١) أخرجهما الإمام مسلم فى صحيحه، حديث رقم (١٩٢٠)، كتاب الإمارة، ٥٣- باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم»، جـ٣/طبعة دار إحياء الكتب العربية.

**الرابع:** أن المهدى يظهر بالمغرب.. وأجيب: بأن ظهوره بمكة.. وقال المغاربة: لا تظهر الفتن عندنا.

## رباعيات من أقوال الرسول ﷺ:

- «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن، كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان.. وإذا حدث كذب.. وإذا عاهد غدر.. وإذا خاصم فجر»(١).

- لقد قلت بعدك أربع كلمات، ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: «سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضى نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته»(٢).

آمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع.. آمركم بالإيمان بالله وهل تدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة ألا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وتعطوا من الغنم الخمس.. وأنهاكم عن أربع: «لا تشربوا فى الدباء والنقير والظروف المزفتة والختمة»(٣).

- «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسنها ولجمالها ولدينها.. فاظفر بذات الدين تربت يداك»(٤)، يخرج من النار أربعة فيعرضون على الله، فيلتفت أحدهم فيقول: أى رب إذا أخرجتنى منها فلا تعيدنى فيها فينجيه الله منها(٥).

---

(١) أخرجه البخارى، عن عبد الله بن عمرو، رضى الله عنهما.

(٢) رواه ابن عباس، رضى الله عنهما.

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه (١٠٢/٣): ٩٧ كتاب التوحيد، ٥٦ باب قوله تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعلمون﴾ [الصافات: ٩٦].

(٤) رواه أنس بن مالك، رضى الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم فى صحيحه (١٩٢): كتاب الإيمان، ٨٤ باب أدنى أهل الجنة منزلة.

- وأما تفصيل المساجد الأربعة: قال رسول الله ﷺ: «أول بيت وضع للناس الكعبة ثم المسجد الأقصى.. قيل: يا رسول الله كم كان بينهما قال: أربعون سنة»[١]، أقول: وأفضل الأربعة هذان المسجدان ومسجد المدينة ومسجد قباء.. وعن البغوى، رحمه الله أنها أفضل المساجد.

- قال الرافعى، رحمه الله، فى أسانيد صحيحة عن صلاة التسابيح: قوله ﷺ لعمه العباس: «يا عماه ألا أمنحك ألا أحبوك ألا أعطى لك أربع خصال، إن فعلتها غفر الله لك ذنبك أوله وآخره، قديمه وحديثه، تصلى أربع ركعات... إلى آخر الحديث»[٢].

فى هذا الحديث سر التربيع بوجهين ظاهر غير خفى، كما لا يخفى على الفطن العارف.

## كيفية تحسين الخُلق:

قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

قيل: المراد من هذه الآية الكريمة تحسين الخلق.. وهذا يوجد فى أربعة أمور: الأول: القبيح والجميل.. والثانى: القدرة عليهما.. والثالث: المعرفة بهما.. والرابع: تهيئة تمايل النفس إلى أحد الجانبين والتهيئة أن تستعد النفس لأن يصدر منها الإمساك أو البذل.

فالخلق عبارة إذن عن تهيئة النفس؛ لأن كل إنسان خلق بالفطرة قادرًا على الإعطاء والإمساك، وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء عند شخص خلقه السخاء ولا يبذل، إما فقد المال أو لمانع

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه (٣٣٦٦): ٦٠- كتاب أحاديث الأنبياء، باب (١٠).

(٢) حديث صلاة التسابيح، أخرجه الترمذى (٤٨٢): كتاب الصلاة، ١٩- باب ما جاء فى صلاة التسابيح من حديث أبى رافع مولى النبى ﷺ.

آخر.. وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث معين أو لريائه.. وقس على هذا أمثلة أكثر أخلاق الناس (حسنة وقبيحة) من التواضع والعفة والغضب، والجود والكرم والعفو، وغير ذلك من الأخلاق.. وذلك التمييز لا يحصل إلا بحفظ مراتب أخرى، وهى أيضًا أربعة؛ لأن من غلبت عليه البطالة يستثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق، ولم يفهم ولم يعلم بأن ذلك لقصوره، فزعم أن الأخلاق لا يتصور تغييرها، والناس فى ذلك على أربعة مراتب:

**الأول:** هو الإنسان الغافل، لا يميز بين الحق والباطل، أو بين الجميل والقبيح، بل بقى كما جبل عليه وفطر، خاليًا من جميع الاعتقادات.

**الثانى:** أن يكون قد عرف القبيح، لكنه لم يتعود العمل الصالح، بل تزين بسوء عمله، وينقاد بشهوات نفسه، ويعرض عن صواب آرائه، لاستيلاء الشهوات النفسانية عليه.

**الثالث:** أن يعتقد فى الأخلاق القبيحة أنها الواجبة المستحسنة، وأنها حق وجميل، وهذا تكاد تمتنع معالجته وأن يرجى صلاحه، كمذهب الملاحدة وعقائد الزنادقة.

**الرابع:** أن يكون مع وقوع نشوئه على آرائه الفاسدة، ويرى الفضيلة فى كثرة الشد، يظن أن ذلك يرفع من قدره.. وهذا هو أصعب المراتب، وفى مثله قيل: «من التعذيب تهذيب الذئب».

وهذه القضية أربعة أيضًا:

الأولى: جاهل فقط.. والثانية: جاهل، وضال فقط.. والثالثة: جاهل، وضال، وفاسق فقط.. والرابعة: جاهل، وضال، وفاسق، وشرير فقط.

وأسباب ذلك كلها غاب عن الإنسان لعدم تعرف أحوال نفسه وعيوبه.. ومن أراد من العلماء ومن الطالبين أن يقف على عيوب نفسه، فأمامه أربعة من السبل:

**الأول**: أن يجلس بين يدى شيخ بصير بعيوب النفس، مطلع على خفايا الآفات النفسانية.. وهذا شأن المريدين والتلاميذ فى معاملاتهم مع الأستاذ.. وهذا العمل دائر لأرباب القوابل من المريدين؛ لأن بعضهم، مع عدم قبول النصيحة، كان أشد عداوة للمشايخ والأساتذة، ومبغضًا لهم من القلب، وهذا سبب لقلة العلم وأهله وأهل الصلاح.. وأنا الفقير المحرر ساهمت فى عصرنا هذا فى تربية أشخاص من أرباب الغفلة والسفه، عصمنا الله وإياكم عن اختلاط الأضداد، وهدانا وإياكم إلى طريق الرشد والسداد.

**الثانى**: أن يطلب صدوقًا بصيرًا متدينًا، ليلاحظ أحواله وأفعاله، فما يكره من أفعاله ينبهه عليه.. هكذا كان يفعل الأكابر من أئمة الدين، وكان عمر، رضى الله عنه، يقول: «رحم الله امرءًا أهدى إلىّ عيوبى» وكان قد سأل سلمان، رضى الله عنه، عن عيوبه لما قدم عليه.

**الثالث**: أن يستفيد عيوب نفسه من لسان أعدائه كما قيل شعر: «فإن عين السخط تبدى المساويا» ولعل انتفاع الناس قد يكون من عدو مشاحن يذكر عيوبه، إلا أن الطبع مجبول على تكذيب العدو، ولكن البصيرة لا تحيد عن الانتفاع بقول الأعداء.

**الرابع**: أن يخالط الناس، وكل ما يراه مذمومًا بين الناس من الخلق، يجب أن يطالب نفسه به، وينسب نفسه إليه، فإن المؤمن مرآة المؤمن، فيرى فى عيوب غيره عيوب نفسه، فيعلم أن الطبائع متقاربة فى اتباع الهوى.

وقيل لعيسى، عليه السلام: من أدبك؟ فقال: كلما رأيت جهل الجاهل تجنبته، فإذا رأيت أدب الأديب العالم المتورع كنت متنصحًا منه.

**مقتطفات تربيعية من الأقوال السنية:**

– قال فى العوارف: **للمحبة** أربعة وجوه متنوعة:

الأول: محبة الروح.. والثاني: محبة القلب.. والثالث: محبة النفس.. والرابع: محبة العقل.

– قال يحيى بن معاذ الرازى: الابتلاء لأربعة أشياء:

الأول: التقييد.. والثاني: التفكر.. والثالث: التعريف.. يعرفك العجز والضعف.. والرابع: التفضيل بالتوبة.

– جاء في صحيح مسلم: «ما من رجل يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئًا إلا شفعهم الله تعالى فيه».

– وفى البخارى: «أيما مسلم شهد له أربعة بخير، أدخله الله الجنة، فقلنا: وثلاثة؟ قال: وثلاثة.. فقلنا: واثنان؟ قال: واثنان.. ثم لم نسأله عن الواحد».

وفى هذا الحديث إشارة إلى مراتب التثليث والتثنية والواحدية، مخصوصة بذات واجب الوجود جلَّ ذاته.

– إياكم والزنا فإن فيه أربع خصال: يذهب البهاء عن الوجه.. ويقطع الرزق.. ويسخط الرحمن.. ويسبب الخلود فى النار.

– للمؤمن أربعة أعداء: مؤمن يحسده.. ومنافق يبغضه.. وشيطان يضله.. وكافر يقاتله.

– قال أهل الحكمة والمعرفة: **الختم** على أربع، على عدد أركان الكون: الأول: ختم النبوة المحمدية ﷺ.. والثانى: ختم الخلافة.. والثالث: ختم الولاية الخاصة والعامة.. والرابع: ختم المهدى.

– قيل لابن سيرين: أى الأدب أفضل مع الله؟ فقال: أربعة:

الأول: المعرفة بربوبيته.. والثانى: العمل بطاعته.. والثالث: الشكر على السراء.. والرابع: الصبر على الضراء.

– جاء فى الخبر: إذا جاء أربعة أشـياء ذهـب أربعـة أشياء: إذا جـاء القضاء ذهب البصر.. وإذا جاء الغضب ذهب العقـل.. وإذا جـاء الكبر ذهب الدين.. وإذا جاء الفقر ذهب الحياء.

**تعليق على الجزء الثالث:**

يعتبر هذا الجزء هو لُب الموضوع الذى يـدور حولـه المخطـوط؛ لأنـه يتناول ذكـر نشـأة الإنسـان وأطـواره الأولى وعنـاصره الأربعـة الأصليـة ومراتبه الروحية.

ولذلك فإن ما قبل هذا الجزء وما بعده، يبحث فى أسرار التربيع التى تخاطب تلك النشأة الأصلية، وتحاول أن ترتقـى بالإنسـانية إلى مدارجـها السامية، التى تستحق بها الخلافة الإلهية.

ورغـم تميز هذا الجزء بشىء من الصعوبة علـى بعـض الأفـهام، إلا أنـه يزخر بمعانى عالية وكنوز غالية لأولى البصـائر والإبصـار.. وهـو كغـيره من الأجزاء السابقة واللاحقة، يهدف إلى إثارة الأشواق الروحانية بتلك الإشارات النورانية، لتكون تلـك الإثـارة حـافزًا لمزيـد مـن البحـث عـن المعرفة التى يسعى العـارفون دومًـا إليـها دون أن تنطفـئ جـذوة الشـوق نحوها، مهما مرت السـنون والأعـوام؛ لأنـهم مـهما استزادوا مـن بحـار المعرفـة، يسـمعون قـول الحـق تبـارك وتعـالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، فتتجدد أشواقهم وعزائمهم إلى محاولة اغـتراف المزيد من بحار تلك المعارف السرمدية.

ومهما كتب العلماء الواصلون عـن معارفـهم اللدنيـة، فسـوف تظـل تلك العلوم ولا شك **ذوقية**، لا يعرف معناها إلا من تذوق مغزاها كمـا قيل فى أساسيات العلوم الصوفية «ومن ذاق عرف».

ونحن لا نريد الاسترسال فى الكلام، ونترك لذوى المذاقـات والأفـهام

أن يغترفوا ما شاء لهم رب الأنـام.. وندعـو المـولى عـزَّ وجـلَّ أن يزيدنـا علمًا وفهمًا، وأن يوفقنا إلى فهم مراده من خلقه، ويجعلنا مـن المتنافسـين فى حبـه كمـا قـال تعـالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

* * *

# الجزء الرابع
# أسرار التربيع فى العبادات والآداب والعادات
# وهذا العالم الظاهر الدنيوى

**كيفية تطهير القلب:**

اعلم أنه لابد على كل عاقل أن يبدأ أولاً بتطهير القلب من الآثام الظاهرة والباطنة. أما ما هو الميزان الذى يزن به طهارة قلبه، فالإجابة كما يلى:

قال الفاضل القاشانى: الميزان أربعة:

**الأول** ميزان أهل الظاهر: هو الشرع.. **والثانى** ميزان أهل الباطن.. هو العقل المنور بنور القدس.. **والثالث** ميزان أهل الخصوص.. هو علم الطريقة.. **والرابع** ميزان خاصة الخاصة: هو العدل الإلهى الذى لا يتحقق به إلا الإنسان الكامل.

واعلم أن الطهارة لها أربع مراتب:

**الأولى:** تطهير الظاهر عن الأحداث والأنجاس والفضلات.

**الثانية:** تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام.

**الثالثة:** تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة والرزائل الممقوتة.

**الرابعة:** تطهير السر عما سوى الله تعالى، وهى طهارة الأنبياء والصديقين، عليهم السلام.

كما قيل: الطهارة نصف العمل فى كل رتبة.. وهذه الأربعة راجعة

إلى الأركان الأصلية الأربعة، ليست بخارجة عنـها، والتوفيـق ظـاهر بـين الطهارة المذكورة وبين الأركان المعهودة كما تراه.

وقيل: تشويش فراغ القلب والدين لا يتم جهاده إلا بفراغ القلب عن غير الله عزَّ وجل، فإن لم يتم فراغه، فبقدر فراغه يتصور أن يشتغل بـأمر الدين.. ولا يتصور فراغ القلب فى الدنيا عن مهمات الدنيـا والحاجـات الضرورية، ولكن يتصور تخفيفـها وتقليلـها، وقـد نجـا المخففـون وهلـك المثقلون وذلك لا يحصل إلا بالخمول وقطع العلائـق، والغربـة التـى لابـد عنها لمن كثرت علائقه واتسع جاهه، ولا يتم مقصوده إلا بما ذكرنا مـن الانقطاع، حتى تبتعد نفسه مـدة عـن العلائق، ثـم ربمـا يمـده الله تعـالى بمعونة، فينعم عليه بمـا يقـوى نفسـه، ويطمئـن بـه قلبـه، فيسـتوى عنـده الحضر والسفر.

## درجات الحلال والحرام:

قال صاحب الإحياء: درجات الحلال والحرام مراتبهما كثيرة. ولكـن الاحتراز والورع عن الحرام على أربع مراتب:

**الأول**: ورع العـدل.. وهـو الـذى يجـب الفسـق باقتحامـه، وتسـقط العدالة به، ويثبت اسم العصيان به، والتعرض للنار بسببه.. وهـو الـورع عن كل ما تحرمه فتاوى الفقهيات.

**الثـانى**: ورع الصـالحين.. وهـو الامتنـاع عمـا يتطـرق إليـه احتمـال التحريم، ولكن المفتى يرخص فى تناوله بناء على الظاهر.

**الثالث**: ما لا تحرمه الفتـوى، ولا شـبهة فـى حلـه، ولكـن يخـاف أن يؤدى إلى محرم.. وهذا ورع المتقين.

**الرابع**: ما لا بأس به، ولكن تـرك ويخـاف منـه أن يـؤدى إلى مـا بـه بأس.

وهذه المراتب مر ذكرها فى أول الكتاب.

**فى بيان الحل والحرمة:**

وقال الغزالى (رحمه الله) فى بيان الحل والحرمة: قال رسول الله ﷺ: «الحلال بيّن والحرام بيِّن، وبينهما أمور متشابهات، لا يعلمها ولا يفهمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام، كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه»(١).

وعدم احتراز الناس فى زماننا هذا، لعدم الاحتراز من الشبه والمشكوك.. وهذا مما لابد منه لكل مؤمن، وهو أن يحترز من الشبهة الواقعة فى الحل والحرمة، وذلك أيضًا من جملة مزالق الأقدام بين أهل السلوك.. فلنقسم هذا إلى أربعة أقسام:

**الأول**: أن لا يكون الحل معلومًا من قبل، ثم يقع الشك فى المحلل، فهذه شبهة يجب احترازها واجتنابها، ويحرم الإقدام عليها.. مثاله: أن يرى الصيد فيخرجه ويقع فى الماء، فيصادفه ميتا، ولا يدرى أنه مات بالغرق أو بالجرح فهذا حرام، وغير ذلك من المحرمات والشبهات.

**الثانى**: أن يعرف الحل، يشك فى المحرم.. والأصل الحل.

**الثالث**: أن يكون الأصل التحريم، ولكن طوى ما أوجب تحليله بظن غالب، فهو مشكوك فيه، والغالب حله.. فهذا ينظر فيه، فإن غلبت الشبهة الظن بسبب معتبر شرعًا فالذى يحتار فيه أنه حل، فالاجتناب بسبب الورع فى مثل هذا أفضل.

**الرابع**: أن يكون الحل معلومًا، ولكن يغلب على الظن مجرى أنه محرم بسبب معتبر فى علة الظن شرعًا، فيرفع الاستصحاب فيقضى بالتحريم

---

(١) رواه النعمان بن بشير، فى صحيح البخارى.

إذا بان لنا أن الاستصحاب ضعيف، ولا يبقى له حكم مع غالب الظن.. مثال أن يؤدى اجتهاده إلى نجاسة أحد الإنائين بالاعتماد على علامة معينة توجب غلبة الظن فيه، فيوجب تحريم شربه، كما وجب منه الوضوء به، وأمثلة هذا مذكور فى الأصل، فاطلبه هنالك تكن مستفيدًا.

## الحل والحرمة فى أموال السلاطين:

قال صاحب الإحياء (رحمة الله عليه) فى باب الحل والحرمة:

المال فى أيدى الناس من السلاطين ومن وكلائهم على أربع درجات:

**الأولى:** أن لا يأخذ الإنسان من مالهم شيئًا أصلاً، كما فعله المورعون، على ما سيأتى فى الخاتمة بيانه.. وكان الخلفاء رحمهم الله، لا يأخذون لأنفسهم من بيت المال إلا بحق أوجب ذلك.. حكى أن عمر، رضى الله عنه، كان يقسم بيت المال، فدخلت ابنة له وأخذت درهمًا من المال، فنهض عمر، رضى الله عنه، فى طلبها، حتى سقطت الملحفة عن أحد منكبيه، ودخلت الصبية إلى بيت أمها تبكى، وجعلت الدرهم فى فيها، فأدخل عمر، رضى الله عنه إصبعه فى فمها وأخرجه من فيها، وقال رحمه الله: جاء فى الحديث عن رسول الله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»[1].

**والثانية:** أن يأخذ السالك من مال السلطان، إنما يأخذه إذا علم أن يأخذه فى جهة حلال.. وعلى هذا ما نقل من الآثار.

**والثالثة:** أن السلطان يأخذ بنفسه، ويتصدق على الفقراء من المستحقين.. وأما فى زماننا هذا، فإن أكثر أموال السلاطين ووكلائهم من الحرام، أخذوها ظلمًا وجورًا، لا يجوز التصدق منها على الفقراء وغيرهم، ولا يجوز أخذها للفقراء كما قال صاحب الشريعة.

(١) رواه الحسن بن على، رضى الله عنهما، فى سنن الترمذى.

**والرابعة**: أنه لا يتحقق أنه حلال، وإن كان لذلك لا يفرق ولا يأخذ ولا يأكل منه.

وكما قال الإمام فى الإحياء: «إن أموال السلاطين فى زماننا هذا حرام كلها أو أكثرها»، وكيف لا والحلال (الصدقات والفىء والغنيمة) لا وجود لها فى هذا الوقت، ولا يدخل شىء فى أيدى السلاطين فى عصرنا إلا الجزية، فإنها تؤخذ بأنواع من الظلم.

**معنى الأخوة فى الله:**

قال الإمام الغزالى (رضى الله عنه) فى بيان معنى الأخوة فى الله: أنها تنقسم فى أربعة أقسام:

**الأول**: حبك الإنسان لذاته، فذلك ممكن وهو: أن يكون هو فى ذاته محبوبًا عندك لإدراكك جماله على معنى: أنك تلتذ وتسعد برؤيته ومعرفته ومشاهدة أخلاقه لاستحسانك له، فإن كل لذيذ محبوب، واللذة تتبع الاستحسان، والاستحسان يتبع الملائمة والموافقة بين الطبائع.. قال الفضيل، رحمه الله: نظر الرجل إلى وجه أخيه على المودة والرحمة عبادة.

**الثانى**: أن يحبه لينال من ذاته غير ذاته، فيكون وسيلة إلى محبوب غيره، والوسيلة إلى المحبوب محبوب، كما أن الذهب والفضة (لا تطعم ولا تلبس) ولكنها وسيلة إلى المحبوبات.. وكذلك حب التلميذ أستاذه، ليكون وسيلة إلى العلم والمعرفة.. وغير ذلك من الأمثلة المقررة المحررة فى الأصل، يعنى فى كتاب الإحياء، فاطلبه هنالك.

**الثالث**: أن يحبه «لا لذاته» بل لغيره.. وذلك الغير ليس راجعًا إلى حظوظه فى الدنيا، بل يرجع إلى حظوظه فى الآخرة.. وكذلك شيخه وأستاذه؛ لأنه يتوسل به إلى تحصيل العلم، وتحسين العمل بالعلم، ومقصوده بالعمل والعلم الفوز فى الآخرة، فهذا من جملة المحبين فى الله.

**الرابع**: أن يحب لله وفى الله، لا ينال به علمًا أو عملاً، أو يتوسل إلى أمر وراء ذاته، وهو أعلى الدرجات وأدقها وأعظمها، وهذا القسم أيضًا ممكن.. وإن من آثار غلبة الحب، أن يتعدى من المحبوب إلى كل من يتعلق بالمحبوب ويناسبه، كما أن من أحب إنسانًا حبًا شديدًا، أحب محب ذلك الإنسان، وأحب محبوبه، وأحب من يخدمه.. وغير ذلك من الأمثلة فى الأصل المشروح، وقد اكتفينا بهذا القدر فى هذا المسطور، ولو رسمنا كل ما فى الأصل من الأمثلة، لطال الكتاب.

**من آداب أهل الطريقة:**

من جملة آداب أهل الطريقة وعاداتهم: حسن السماع، وهوعلى أربع درجات:

**الدرجة الأولى**: النظر والتلذذ فى المبصرات الجميلة، كالوجه الحسن والماء الجارى، والحضرات، وسائر أنواع الألوان الجميلة.. وبالنظر فى كل ذلك تلذذ النفس، وبذلك تتحرك نفس الإنسان بالسماع وبالشم وبالرائحة الطيبة، داخل فى ذلك تلذذ النفس بالصفات الحسنة بسبب تحرك آلات السماع وسائر أسبابها، وهو المقصود بهذه الدرجة الأولى؛ لأن مراتب السماع منحصرة إلى أربع درجات: **الأولى**: النظر فى الصورة الحسنة الموزونة وهى الشعر؛ لأنه يخرج من حنجرة الإنسان، بخلاف الدرجة **الثانية** وهى: النظر فيه من حيث أنه محرك القلب، ومهيج لما هو الغالب عليه.. **والثالثة:** مطابق لحواس النفس.. **والرابعة:** نظير لحسن الباطن فى الروح، ونفحات الباطن المنسوبة بالروح الحيوانى، كما سنقف إن شاء الله تعالى على مراتب أنواع من الروحانية وأذواقها مستوفاة فى مواضع كثيرة.

وهذه المراتب فى السماع موجودة فى مراتب الإنسان، وفى أكثر أصوله وحواسه. ونقول عن الدرجة الأولى فى السماع: وهى النظر فيه

فى الصوت الحسن الطيب، عن النبى المكرم ﷺ أنه قال: «لله أشد أذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن»[١].. وجاء فى الخبر: أن داود، عليه السلام، كان حسن الصوت فى تلاوة الزبور، حتى يجتمع الإنس والجن والوحش والطير لسماع صوته.

والصوت الحسن ممدوح، والصوت القبيح مذموم، كما جاء فى القرآن قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩].

وقيل: «إن من الشعر لحكمة».. ولو قيل هذا الجواز فى القرآن فقط، للزمه أن يحرم صوت العندليب وغيره، فافهم هذا فإنه لازم الفهم لأرباب السلوك من أهل السماع والوجد.. ومن أراد الاطلاع على جواز السماع وعدمه، فعليه أن يطالع كتاب العوارف للشيخ السهروردى.

**الدرجة الثانية**: النظر فى الصوت الطيب الموزون، فإن الوزن وراء الحسن فكم من صوت حسن خارج عن الوزن، وكم من صوت موزون غير مستطاب.

والأصوات الموزونة باعتبار مخارجها على أنواع: إما أن يخرج من المزامير والأوتار والطبل وغير ذلك، وإما أن يخرج من حنجرة الحيوانات.. وذلك الحيوان إما إنسان وغيره.. وتحريم أوتار المزامير من قبيل الاتباع كشرب الخمر، كما حرمت الخلوة بالأجنبية؛ لأن الخلوة مقدمة الجماع وسببها.. والخمر وإن كان لا يسكر إلا أنه يدعو إلى السكر، وكذلك السماع، إن كان سببًا لتذكر الشوق إلى المحرمات، والتشبه بمجالس أهل الفسق، فذلك يدعو إلى التحريم، وإلا لا؛ لأن «من

---

(١) عن فضالة بن عبيد، فى سنن ابن ماجه.

تشبه بقوم فهو منهم»[١].. والاحتراز عن السماع فى زماننا أولى، والمنع من التشبه بأهل الأهواء والبدع أفضل.

**الدرجة الثالثة**: الموزون المفهوم وهو الشعر، وذلك لا يخرج إلا من حنجرة الإنسان؛ لأنه كلام مفهوم موزون، والكلام الموزون والمفهوم غير حرام، كما حكى عن سماك بن جابر، رضى الله عنه، قال: «كنا نجلس إلى رسول الله ﷺ فكانوا يتناشدون الأشعار، ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية، ورسول الله ﷺ ساكت، فربما تبسم»[٢]، وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة الواردة فى حق الصوت الحسن، على ما عرَّفه الغزالى وغيره فى كتبهم.

**الدرجة الرابعة**: النظر فيه من حيث أنه يحرك القلب، ومهيج مما هو الغالب عليه، فالنغمات الموزونة لها مناسبة للأرواح، وتؤثر فى القلب والأرواح تأثيرًا عجيبًا.. ومن الأصوات ما يفرح، ومنها ما يحزن، ومنها ما ينعدم، حتى قيل: «من لم يحركه الربيع وأزهاره، والعود وأوتاره، فهو فاسد المزاج يحتاج إلى العلاج.. وقيل: ليس له علاج»، كذا ذكر فى الإحياء وغيره من المعبرات، وتأثير ذلك يشاهد فى الصبى وهو فى مهده، فإنه يسكنه الصوت الحسن الطيب عن بكائه.. وقيل: الجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء، تأثير يستخف معه الأحمال الثقيلة، لقوة نشاطه فى سماعه.

ومن طلب الخوض والاستقصاء فى بحث السماع، فالتفتيش فى الرد والقبول بين العلماء مشهور ومسطور فى كتب الصوفية.. ولو ذكر فى هذا المسطور شروط السماع بلوازمه، لطال الكتاب.

**أحوال المستمع:**

يشترط أن يكون للمستمع أربعة أحوال؛ لأن فهم السماع يختلف

---

(١) عن عبد الله، رضى الله عنهما، سنن ابن داود.

(٢) رواه سماك بن جابر، فى مسند أحمد.

باختلاف أحوال المستمع:

**أحدها**: أن يكون سماعه بمجرد الطبع، أى لاحظ لـه فى السماع إلا استلذاذ الألحان والنغمات.. وهذا مباح، وهو أحب رتب السماع، إذ الإبل شريكة له فيه، وسائر الحيوانات؛ لأن لكل حيوان نوع يتلذذ به من الأصوات الطيبة.

**الحالة الثانية**: أن يسمع بفهم، ولكن لا ينزله على صورة مخلوق.. وهو سماع أرباب الشهوات النفسانية، وهو مذموم عند جميع الناس.

**الحالة الثالثة**: أن ينزل ما يسمعه على أحوال نفسه فى معاملته.. وهذا سماع المريدين؛ لأن مراد المريد ومقصده: معرفة الله تعالى ولقائه، والوصول إليه تعالى بطريق المشاهدة والكشف.. فإذا سمع، أراد به الخطاب أو الوصول أو الخوف أو البعد أو التلهف على فائت، أو انتظار أو شوق إلى وارد، أو وفاء بالعهد أو نقض للعهد، أو خوف فراق، أو فرح وصال، أو ذكر ملاحظة الحبيب، أو غير ذلك مما يشوقه إلى انبعاث الشوق وهيجانه، ويهجم بسببه عليه أحوال مخالفة لعادته، ويكون له مجال وحب فى تنزيل الألفاظ على أحواله.. ويظهر أحوال شتى للمستمع عند الاستماع، ونحن نستغنى عنها فى هذا الموجز المفيد خوفًا من التطويل.

**الحالة الرابعة**: سماع جاوز الأحوال والمقدمات، فغرب عن فهمه ما سوى الله تعالى، حتى غرب عن نفسه: نفسه وأحوالها ومعاملاتها، وكان كالمدهوش الفائض فى عين المشهود، وتلك الحالة تضاهى حال النسوة التى قطعن أيديهن فى مشاهدة جمال يوسف، عليه السلام.. وهذا السماع مقام القلب وسماع القلب، وكذلك سماع سائر الأركان من القلب والجسد والروح والنفس، وذلك على أربعة أوجه:

الأول: سماع الجسد.. والثانى: سماع النفس.. والثالث: سماع

الروح.. والرابع: سماع القلب.. وسائر الشروط مذكور فى الأصل.

**الواردات الإلهية:**

جاء فى شرح النصوص: الواردات الإلهية على أربعة أقسام: الأولى: الرحمانية.. والثانية: الملكية.. والثالثة: النفسانية.. والرابعة: الشيطانية.

وهى أن كل ما يكون سببًا للخير بحيث يكون أبديًا، ولا يكون سريع الانتقال إلى غيره، ويحصل بعده توجه تام إلى الحق، ولذة عظيمة فى العبادة، فهو ملكى أو رحمانى، وبالعكس الشيطانى.. وما يظهر من اليمين أو الأمام أكثر ملكى، ومن جانب اليسار والخلف أكثره شيطانى.. وما كان من الاطلاع بالخواطر والضمائر فهو ملكى؛ لأن الجن لا يقدر على ذلك.

وغير ذلك كثير من التصرفات ومن العوارض، فقس الباقى على هذه الأربع، وافهم سر المراتب الأربع كيف يسرى فى أكثر الظواهر والخواطر والضمائر، تكن عارفًا بسر التربيع.

**آداب الإنسان الكامل:**

قيل: من جملة آداب الإنسان الكامل علمه أولاً بكسر الشهوات، وعلمه طريق الرياضة، وهذا واجب على المريدين والطالبين للعلم والحكم.. وهذا الطريق يتم بأربع خصال من المراتب:

- **الخصلة الأولى**: أن لا يأكل إلا حلالاً، فالعبادة مع أكل الحرام كالبنيان على أمواج البحر، وهذا ضعيف غير محكم فى المريد إلا مع الترقى فى أربع درجات:

الأولى: أن يرد نفسه إلى قدر القوام الذى لا يبقى دونه، وهو عادة الصديقين من المشايخ رحمهم الله.

الثانية: أن يرد نفسه فى اليوم والليلة إلى نصف مد، وهو رغيف

وشيء من المأكولات، وكان ذلك عادة عمر، رضى الله عنه، إذا أكل، تناول سبع أو تسع لقمات.

الثالثة: أن يرد إلى مقدار المد وهو رغيفان ونصف.

الرابعة: أن يزيد على المد إلى المن، وما وراء ذلك يشبه إسرافًا، ودخل فى نهى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ [الأعراف: ٣١].

- **الخصلة الثانية**: فى وقت الأكل ومقدار تأخيره.. قيل: أكل المؤمن عند الضرورة. وبعض المريدين ردَّ الرياضة أولا إلى الطى، لا إلى المقدار، حتى انتهى بعضهم إلى ثلاثين يومًا(١)، وأربعين يومًا.

- **الخصلة الثالثة**: فى نوع الطعام.. قيل: أعلى الطعام البر وأوسطه الشعير المنخول، وأدناه شعير لم ينخل.. وأعلى الإدام اللحم والحلاوة، وأدناه الملح والخل.. وعادة سالك طريق الآخرة: الامتناع عن الإدام على الدوام، بل الامتناع عن الشهوات حتى يكثر خيره ويحصل مرامه.

- **الخصلة الرابعة**: لابد وأن يحترز الطالب فى جميع ذلك عن الرياء، كما قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ [الماعون: ٤ - ٦].

قال مجاهد (وهو من كبار المفسرين) فى المتقدمين: هم أهل الرياء.. وفى المنع عن الرياء آيات غير هذه، وأحاديث وأخبار كثيرة.. وقيل: المرائى ينادى يوم القيامة.

**مراتب الرياء:**

الرياء داء قاتل، يهدم بنيان الإيمان.. وقيل: المرائى ينادى يوم القيامة بأربعة أسماء، مرائيًا بالأركان، والطبائع، والعناصر، والحواس، فذلك إشارة إلى أربع مراتب:

(١) المقصود: أنه لا يوقد النار لإنضاج الطعام إلا كل شهر أو أربعين يومًا.

الاسم الأول: يقال له يا مرائى.. والثانى: يا غادر.. والثالث: يا فاجر.. والرابع: يا خاسر.. اذهب فخذ أجرك ممن عملت له، فلا أجر لك عندى.

وقيل: لا ينبغى لذى لب أن يشاور أحد من الأربعة: الجاهل.. والعدو.. والمرائى.. وأهل الجبن (يعنى الجبان الخائف).

وقال الفضيل: كان الناس فى الصدر الأول يراؤون بما يعملون، والآن يراؤون بما لا يعملون ويكذبون.

**أما المحمود من الرياء فأربعة:**

**الأولى:** أن يكون قصده إخفاء الطاعة والإخلاص لله؛ لأنه لما اطلع عليه الخلق، علم أن الله تعالى أطلعهم وأظهر الجميل من أحواله، فيستدل على حسن صنع الله به، ونظره له، ولطفه به: أن الله يستر عنه المعصية ويظهر الطاعة، ولا لطف أعظم من ستر القبيح وإظهار الجميل، فيفرح العبد بحميد نظر الله إليه، لا بحمد الناس وقيام المنزلة فى قلوبهم، فيستر المعصية كما سترها الله، ويظهر الطاعة.

**الثانية:** أن يستدل بإظهار الله الجميل، وستره القبيح عليه فى الدنيا، أنه كذلك فى الآخرة.. كما جاء فى الحديث: «من أذنب ذنبًا فى الدنيا، فستر الله عليه وعفا عنه فالله أكرم من أن يعود فى شيء قد عفا عنه»[1].

**الثالثة:** أن يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به فى الطاعات، فيتضاعف بذلك أجره، فيكون له أجر العلانية بما ظهر، وأجر السر بما قصده أولاً.. ومن اقتدى به فى الطاعة فله أجر أعمال المقتدين، من غير أن ينقص من أجورهم شيء.

---

(١) عن على، رضى الله عنه، فى مسند أحمد.

**الرابعة:** أن يحمد المنطلقين على طاعته، فعرج بطاعتهم لله في مدارجهم من محبتهم وتميل قلوبهم إلى الطاعة.. إذ من أهل الإيمان من يرى أهل نعمة فيحسده أو ينسبه إلى الرياء.

وهذه الأربعة من الرياء ممدوحة، ولكن الخامسة مذمومة جدًا.. وأحوال الرياء ومراتبه معلومة عند العلماء، ولكن لابد لكل مسلم أن يتخلف عن الرياء.

**والتخلف في دفع خواطر الرياء على أربع درجات:**

**الأولى:** أن يرد على الشيطان مكيدته، ويشتغل بمجادلته.

**الثانية:** أن يعرف أن الجدال والقتال نقصان في السلوك، فيقتصر على تكذيبه ودفعه، ولا يشتغل بمجادلته.

**الثالثة:** أن لا يشتغل بتكذيبه أيضًا، بل يعقد في ضميره كراهية الرياء، وكذب الشيطان.

**الرابعة:** أن يكون قد علم أن الشيطان يسجد عند جريان أسباب الرياء، فيكون قد عزم على أنه كلما نزع الشيطان، زاد هو فيه من الإخلاص، والاشتغال بالذكر، وإخفاء الصدقات، غمطًا للشيطان حتى لا يرجع.

وللرياء علامات وأحوال كثيرة يطول إحصاؤها في هذا المسطور.. ومن أراد الوقوف عليها، فعليه بمطالعة إحياء العلوم للغزالي، رحمة الله عليه.

**مراتب الغرور:**

قال تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]، وقال رسول الله ﷺ: «حبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يغلبون الحمقى واجتهادهم. ولمثقال ذرة من صاحب

تقوى ويقين، أفضل من ملء الأرض من المغترين»[1].

وغير ذلك كثير مما جاء من الآيات والأحاديث فى ذم الغرور، ولكن يجمعهم أربعة أصناف:

**الأول**: صدر من عالم الأجساد، وهم أرباب الأموال.

**والثانى**: صدر من النفس وهم العبَّاد.

**والثالث**: صدر من عالم المثال، يعنى من عالم الأرواح، وهم العلماء.

**والرابع**: صدر من عالم القلب، وهم المتصوفة.

- فالعلماء المغرورون يحصلون لأجل الدنيا، وأهملوا علم الأخلاق المحمودة، ولم يتصفوا بها، فهم مغرورون، إذ قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩]، ولم يقل: «من تعلم كيفية تزكيتها» فإن العلم بالدواء لا يزيل المرض.

- وأما أرباب العبادة، فالمغرورون منهم فرق كثيرة:

منهم من غروره فى الصلاة.. ومنهم من غروره فى القرآن.. ومنهم فى الذهب.. وكذلك كل مشغول بمسلك من مسالك الأعمال.

- وليس خاليًا عن الغرور إلا الأكياس، وهم الذين جمعوا العلم والعمل، وعملوا بالعلم وتركوا اعتبارات الناس، ولم يرغبوا فى الرياسة والجاه. إنهم متصوفة أهل زماننا (عصمهم الله) تميزوا بالزى والمنطق والهيئة.. فقاعدوا الصادقين من الصوفية فى زيهم وهيئاتهم وألفاظهم وآدابهم ومراسمهم فى السماع والطهارة والصلاة، وكل ذلك أوائل منازل التصوف، ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم من الصوفية ولا يحوموا حولها.

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٢١١/١)، من قول أبى الدرداء.

– أما أرباب الأموال والمغترون منهم: فمنهم من يحرص على بناء المساجد والمدارس والرباط والقناطير، وما يظهر للناس كافة، لخلود ذكرهم وبقاء أثرهم بعد موتهم، وهم يظنون أنهم قد استحقوا المغفرة بذلك.. وقد اغتروا فى ذلك بوجهين:

**أحدهما**: أنهم يبنونها من أموال اكتسبوها من الظلم والنهب والرشاوى، والجهات المحظورات، فهم قد تعرضوا لسخط الله فى كسبها.. فإذا كانوا عصوا الله فى كسبها، فالواجب عليهم التوبة والرجوع إلى الله تعالى، ورد الأموال إلى مالكيها وأصحابها.

**الثانى**: أنهم يظنون بأنفسهم الإخلاص وقصد الخير فى الإنفاق على الأبنية، ويبنون المساجد للرياء، ليظهر ذلك بين الناس، ويصرفون المال لزخرفة المساجد وتزيينها بالنقوش التى هى منهى عنها؛ لأنها تشغل قلوب المصلين، والمقصود فى الصلاة الخشوع والخضوع وحضور القلب.

وبعض أرباب الأموال فى زماننا يحفظون الأموال ويمسكونها بحكم البخل، ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التى لا يحتاج فيها إلى نفقة، كصيام النهار، وقيام الليل، وقراءة القرآن، وهم مغرورون فى ذلك.

**أحوال التوبة وأسبابها:**

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [التحريم: ٨].. ومعنى النصوح: أى الخالصة لله تعالى، الخالية عن الشوائب، مأخوذة من النصح، وتدل على فضيلة التوبة.

وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾

[البقرة: ٢٢٢]، وتتضح أحوال التوبة وأسبابها بذكر أربعة أركان:

## الركن الأول: فى نفس التوبة، وحقيقة التوبة وحدها:

قيل فى حد التوبة: خلع لباس الجفاء، ونشر لباس الوفاء.. وقال الشيخ التسترى، رحمه الله: التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة، ولا يتم ذلك إلا بالصمت والخلوة وأكل الحلال، وصحبة الأصدقاء من العلماء.

والتوبة واجبة على كل بالغ عاقل مؤمن، يؤمن بأمر الآخرة.. وقيل: «من لم يؤمن بأمر الآخرة ولم يخف الله، فليفعل ما يشاء من المنكرات».. كما روى عن الرسول ﷺ: «إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت»[1]. وروى كذلك فى الأثر أن: «التائب حبيب الله»، و«التائب حبيب الرحمن».

**ومراتب التوبة وسر تربيعها ليس** بخارج عن مراتب الإنسان وأصوله الأصلية على ما تراه، وذلك لأن بعض التوبة قد يكون **بالجسد**، كالتوبة من الزنا وشرب الخمر، وغير ذلك من لوازم الجسم الكثيف؛ لأن التلذذ بفعل الزنا وشرب الخمر حاصل بالجسد، والجسم والنفس تلتذ بهما، والروح والقلب يتضرر ويتألم منهما.

وبعض الأحوال والأفعال المذمومة تتعلق **بالقلب**، مثل الحسد والعداوة وغيرهما، ولا يمكن التوبة منها إلا بالندامة والفراغ بالقلب.. وقد تكون **بالنفس** كالنظر إلى الأجنبية، والطمع إلى ما فى أيدى الناس.. وبعضها مخصوصة **بالروح الحيوانى**، مثل: المحبة والميل إلى المحرمات من الغلمان والجوارى، وإلى كل ما لا يجوز النظر إليه ومحبته عند الشرع الأحمدى، عليه أفضل الصلوات وأكمل التسليمات وعلى آله وبارك وسلم.

وقيل: **شرائط التوبة أربعة**.. الأول: الفراغ عن المعصية.. والثانى:

(١) عن عقبة بن عمرو أبى مسعود، صحيح البخارى.

الندامة على فعلها.. والثالث: عدم العود إليها.. والرابع: إن كانت المعصية تتعلق بآدمي استبرأ من صاحبها بطلب عفو واستحلال (إن أمكن) وإلا يتضرع إلى الله تعالى.

كذلك تعتبر أنواع التوبة، اعتبارًا بجوارح الإنسان، على أربعة مراتب:

الأولى: الندامة بالقلب.. الثانية: التوجه بالروح بالتعرض إلى النفحات الرحمانية.. الثالثة: التوبة بالنفس الرحيمية.. الرابعة: التوبة بالجسد الكثيف مع حواسه الظاهرة والباطنة.

كما قيل في التوبة: الندامة بالجنان.. والاستغفار باللسان.. وجريان العيون بالدموع.. والعمل بالجوارح (وهذه أيضًا على أربعة أقسام).

قيل: سئل ذو النون المصري، فقال: لكل جارحة توبة:

فتوبة **القلب**: النية على ترك ما كان من المحظورات والسيئات.. وتوبة **العين**: الغمض عن المحرمات.. وتوبة **اللسان**: ترك الغيبة والنميمة.. وتوبة **السمع**: ترك الإصغاء.. وتوبة **الرجل**: ترك السعي إلى المعصية، والأصل في الكل هو القلب.. لذا قال علماؤنا، رحمهم الله تعالى: التوبة واجبة في أول الأمر، قبل أن يتراكم الدين في القلب، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

**الركن الثاني: فيما يجب عند التوبة وهي ترك الذنوب صغائرها وكبائرها:**

اعلم أن التوبة هي ترك الذنوب، ولا يمكن ترك شيء إلا بعد معرفته.. وإذا كانت التوبة واجبة، كان ما لا يتوصل إليها إلا به واجبًا.. والذنب عبارة عن كل ما هو مخالف لأمر الله تعالى من ترك أو فعل.

وأقسام الذنب أيضًا على أربعة صفات: صفات ربوبية.. وصفات

شيطانية.. وصفات بهيمية.. وصفات سبعية.

وذلك أن طينة الإنسان عجنت من أخلاط مختلفة:

**الأول**: ما يقتضيه النزوع إلى صفات الربوبية، مثل الكبر والفخر وحب المدح والعز والجاه، وحب دوام البقاء في الدنيا.. ومن هذا تتشعب كبار الذنوب التي غفل عنها الخلق، فلم يعدوها ذنوبًا، وهي المهلكات.

**الثاني**: وهي الصفة الشيطانية، التي يتشعب منها الحسد والبغي والحيلة والفساد، وغير ذلك من المنكرات.

**الثالث**: الصفة البهيمية، ومنها يتشعب الشره، والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج، ومنها يتشعب الرياء واللواط والسرقة، وجميع الحطام لأجل الشهوات.

**الرابع**: الصفة السبعية، ومنها يتشعب الغضب والحقد، والتهجم بالضرب على الناس، والشتم والقتل.. فهذه الأوصاف أمهات الذنوب، ثم تتفجر الذنوب منها على الجوارح.. فبعضها في القلب.. وبعضها في الجسد.. وبعضها في النفس.. وبعضها تلتذ بها الروح.. على ما مرَّ في تقسيم المراتب، وقد مرَّ التوفيق والتطبيق فيها مرارًا من قبل، وعليك بحفظ الأصول في المراتب، تسبح في بحر الفوائد.

وفي هذا الركن الثاني طرق أربع لحفظ الأموال، وللتحرز من تناول مال الغير:

**أحدها**: الخفية وهي السرقة.. فإنه إذا لم يطلع عليها غالبًا، فكيف يتداركها؟.

**والثاني**: أكل مال اليتيم.. وهذا أيضًا في الخفية، وأعني به في حق المتولي والوحي، وليس له خصم سوى اليتيم، وهو صغير لا يعرفه.

**والثالث:** تقويته بشهادة الزور.

**والرابع:** أخذ الوديعة وغيرها باليمين الغموس، لا يمكن فيها التدارك.

قال صاحب الكتاب فى هذا الركن الثانى: الناس فى الآخرة ينقسمون بالضرورة إلى أربعة أقسام: هالكين.. ومعذبين.. وناجين.. وفائزين.

أما **الأولى** (وهى الهالكين): فهم الآيسون من رحمة الله تعالى.. وهذه الدرجة لا تكون إلا للمجاهدين والمعرضين، المتجردين للدنيا، المكذبين بالله (تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا) والمكذبين برسله وكتبه.

الرتبة **الثانية:** (وهى المعذبين): فهى رتبة من تحلى بأصل الإيمان، ولكن قَصَّر فى الوفاء بمقتضاه، فإن رأس الإيمان هو التوحيد، وهو أن لا يعبد إلا الله.. ومن اتبع هواه فقد اتخذ إلهه هواه، وهو توحيد باللسان لا بالحقيقة.. وهو فى العذاب الدنيوى والأخروى، فكل من ابتلى ببلاء فهو معذب بعذاب تحلى عقدة الإصرار.

**الركن الثالث: شفاء التوبة:**

اعلم أن شفاء التوبة لا يمكن إلا بالدواء، ولا يقف على الدواء من لا يقف على الداء.. فكل داء حصل من سبب، فدواؤه حل ذلك السبب ورفعه وإبطاله.

ولا يبطل شيء إى بضده، ولا سبب للإصرار إلا الغفلة والشهوة، والغفلة رأس الخطايا.. فلا دواء إذن للتوبة إلا معجون يعجن من حلاوة العلم، ومرارة الصبر.. وهذا المعجون له أربع شرائط فى المراتب المعهودة:

**الأول:** أن المريض لابد أولا أن يصدِّق الطبيب، ويسلم نفسه إليه، وهذا هو الإيمان بأصل الطب، كذلك لابد لكل طالب تائب أن يتوب،

ويوفى بأصل الشرع، وهو أن للسعادة سبب وهو العبادة، وللشقاوة سبب وهو المعصية، وحصوله إما فى تحقيق أو تقليد، وكليهما من جملة الإيمان.

**الثاني**: وهو أنه لابد أن يعتقد المريض فى طبيب معين، أنه عالم بالطب صادق فيه لا يكذب، فإن إيمانه بأصل الطب لا يفى دون هذا الإيمان، كالعلم بصدق الرسول ﷺ، والإيمان بأن كل ما يقوله حق لا كذب فيه.

**الثالث**: أنه لابد أن يصغى إلى الطبيب فيما يحذره منه، من سائر الأسباب المضرة.. ويوازنه مما نحن فيه من الدين: الإصغاء إلى الآيات والأخبار المشتملة على الترغيب فى التقوى، والتحذير من ارتكاب الذنوب.

**الرابع**: أن يصغى إلى الطبيب، ويلازم نصحه فيما يخص مرضه، وفيما يلزمه الاجتناب عنه، ليعرف أولا تفصيل ما يضره من أفعاله وأحواله ومأكوله ومشروبه.. فليس كل مريض ينفعه الاحتماء عن كل شيء، ولا ينفعه كل دواء، بل لكل علة خاصة علم خاص وعلاج خاص.. ويوازن هذا فى الدين: أن كل عبد ليس مبتلى بكل شهوة، وارتكاب كل ذنب، بل لكل مؤمن ذنب مخصوص، ثم لابد أن يعلم بكيفية التوصل إلى الصبر، ثم إلى العلم بأحواله، فهذه علوم يختص بها علماء الدين، وهم العلماء ورثة الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام.

والعاصى إن علم عصيانه، فعليه طلب العلاج من الطبيب (وهو العالم) من غير تأخير، لئلا يزداد مرضه.

وغير ذلك من الأمثلة كثير، ومن أراد تفصيل الأمثلة فى أحوال التوبة، فعليه بمطالعة الإحياء.

**الركن الرابع: مقاصد التائب:**

قيل فى الأصل: التائب يحتاج فى ترك الذنوب إلى أربعة مقاصد:

**المقصد الأول:** أن تذكر أولا ما فى القرآن من الآيات المخوفة للمذنبين والعاصين، وكذلك ما ورد فى الأخبار والآثار مثل قوله ﷺ: «ما من يوم يطلع فجره، ولا ليلة غاب شفقها، إلا وملكان يتجاوبان بأربعة أصوات، يقول أحدها: ليت هذه الخلائق لم يخلقوا، ويقول الآخر: ليتهم إذ خلقوا علموا لما خلقوا، فيقول الآخر: يا ليتهم إذ لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا، ويقول الآخر: ليتهم إذ لم يعملوا بما علموا تابوا عما عملوا».

قال بعض العلماء من السلف: «إذا أذنب العبد، أمر صاحب اليمين صاحب الشمال أن يرفع عنه القلم ساعات، فإن تاب واستغفر لم يكتبها عليه»[1].

وجاء فى الأثر: «ما من عبد يعصى فى الأرض إلا استأذن مكانه من الأرض أن يخسف به واستأذن سقفه من السماء أن يسقط عليه كسفا.. فيقول الله سبحانه وتعالى للأرض والسماء: كفا عن عبدى وأمهلاه، فإنكما لم تخلقاه، ولو خلقتما لرحمتما، لعله يتوب إلىّ فاغفر له، لعله يستبدل صالحًا فأبدله له حسنات».

**المقصد الثانى:** تذكر حكايات الأنبياء، عليهم السلام، والسلف، وذلك شديد الوقع وظاهر النفع فى قلوب التائب القابل النصح، مثل أحوال آدم عليه الصلاة والسلام فى عصيانه وتوبته.. قيل للخضر، عليه السلام: بم أطلعك الله الغيب؟ قال: بترك المعاصى لأجل الله تعالى.

وقال يوسف، عليه السلام: ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]، قال الله تعالى: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢]، ولابد أن يعلم أن الأنبياء، عليهم السلام، لم يتجاوز عنهم فى الذنوب الصغائر، فكيف يتجاوز عن غيرهم؟، نعم

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير (٢٩٥/٨ رقم ٧٩٧١)، من حديث أبى أمامة، مرفوعًا.

كانت سعادة لهم بأن عوجلوا بالعقوبة في الدنيا، ولم يؤخروا إلى الآخرة، وهذا منتهى الفوز.

**المقصد الثالث**: أن يعلم التائب ويقرر أن تعجيل العقوبة في الدنيا متوقف على الذنب، وأن يعلم أن كل ما يصيب العبد من المصائب فهو سبب جناياته، فربَّ عبد يتساهل في أمر الآخرة، ويخاف من عقوبة الله تعالى في الدنيا أكثر، وذلك لفرط جهله، فينبغي أن يخوف به، فإن الذنوب كلها تستعجل في الدنيا بشؤمها في غالب الأمر، حتى يضيق على العبد رزقه بسبب الذنب، وقد تسقط منزلته عن القلوب، ويستولى عليه أعداؤه، كما قال النبي ﷺ: «إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه»[1].

**المقصد الرابع**: أن يذكر ما ورد من العقوبات على آحاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة، وغير ذلك من الكبائر والصغائر، مما لا يمكن حصره، ويشتغل بعلاجها بقرائن الأحوال والعلل على خفايا الصفات، وليتعرض لما وقف عليه من اقتداء بالرسول ﷺ «حيث قال له واحد: أوصني ولا تكثر عليَّ، فقال له: لا تغضب»[2].. وقال له آخر: «أوصني، قال: عليك باليأس عما في أيدي الناس، فإن ذلك هو الغناء، وإياك والطمع، فإنه فقر حاضر، وصل صلاتك ولا تعتذر»[3].

وقال رجل لمحمد بن واسع: أوصني، قال: أوصيك أن تكون ملكًا في الدنيا والاخرة، قال: كيف لي ذلك؟، قال: الزم الزهد.. وقال لآخر: «كن رحيما أكن بك زعيما بالجنة».

---

(١) عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ، مسند أحمد.

(٢) عن أبي هريرة، رضي الله عنه: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني.. قال: «لا تغضب، فردد مرارًا.. قال: لا تغضب»، في صحيح البخاري.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٢٤٩)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣٢٦/٤)، (٣٢٧)، وكلاهما عن طريق محمد بن أبي حميد، عن إسماعيل الأنصاري، عن أبيه، عن جده.

وقال النبى ﷺ: «من التمس رضا الله بسخط الناس، كفاه الله تعالى مؤنة الناس.. ومن التمس رضا الناس بسخط الله تعالى، وكله الله إلى الناس»(١).

وقال بعض العلماء: عليك بتقوى الله تعالى، فإنه رأس كل خير.

**مراتب النعم الظاهرة والباطنة:**

قال تعالى فى شكر النعمة: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال جلّ شأنه: ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، لذا لابد للعبد أن لا يغفل عن الشكر فى كل يوم، بل فى كل ساعة وآن، إلى الله تعالى المنعم على العباد.

واعلم أن النعم تنقسم إلى ما هى غاية مطلوبة لذاتها، وإلى ما هى مطلوبة ليست لغاية.

**أما الغاية فهى**: سعادة الآخرة، ويرجع حاصلها إلى أربعة أمور:

الأول: بقاء لا فناء له.. والثانى: سرور لا غم له.. والثالث: علم لا جهل معه.. والرابع: غناء لا فقر معه.

وتلك الغاية هى النعمة الحقيقة كما قال رسول الله ﷺ: «لا عيش إلا عيش الآخرة»(٢).

---

(١) عن عائشة، رضى الله عنها، سنن الترمذى.

(٢) عن أنس، رضى الله عنه، فى صحيح البخارى رقم (٢٦٢٢)، ونص الحديث هو: حدثنا أبو إسحاق عن حميد قال: سمعت أنسًا، رضى الله عنه، يقول: خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون فى غداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال:

اللهم إن العيش عيش الآخرة ... فاغفر للأنصار والمهاجرة

فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمدًا ... على الجهاد ما بقينا أبدًا

**أما الفضائل**، فتنقسم إلى الأقرب الأخص كفضائل النفس وفضائل البدن، وإلى ما يليه في القرب إلى غير البدن، كالأسباب المتعلقة بالبدن من المال والأهل والعشيرة، وإلى ما يجمع بين هذه الأسباب الخارجة عن النفس، وبين الحاصلة للنفس على التوفيق والهداية.

فهذه الفضائل إذن على أربعة أنواع:

**الأول**: هو فضائل النفس.. وهذه الفضائل لا تتم إلا بأسبابها بعد ترك الشهوة والحقد والغضب، وسائر الأخلاق المذمومة.. وأسبابها الخاصة النافعة لها كالترياق للمرض وهي: المال والولد والأهل والأقارب والعز والجاه؛ لأن الفقير بلا مال في طلب العلم، كالغازي بلا سلاح، ولا يمكن دفع الفقر إلا بسلاح المال.. وأما الأهل والولد الصالح فنعم العون على الدين، والمرأة الصالحة كذلك.. ولابد من ولد صالح يدعو له إما في الدنيا وإما في الآخرة بعد الموت، فهو في الدنيا يعينه، وفي الآخرة يشفع أو يشفع، فينتفع به الوالد.. والمراد في الدنيا بالعز والجاه: أن يدفع عن نفسه الذل والفقر، ولا يندفع في الشواغل الدنيوية وبلياتها إلا بالعز والجاه، ونعني بهما: العلم التام؛ لأن الإنسان بالعلم مالك لقلوب الناس، ومن ملك القلوب سخر له أصحاب هذه القلوب.. ومع ذلك لابد من الهداية، فلا سبيل لأحد إلى طريق السعادة إلا بها، ولابد أيضًا من الرشد، ونعني به العناية الإلهية.

ولما كانت أقرب الفضائل إلى الإنسان فضائل نفسه، حيث أعطاها الله الكثير من النعم الظاهرة والباطنة، لذا لابد من تيسير الحركات الداعية بمساعدة الأعضاء والآلات حتى يتم المراد من تلك النعم الظاهرة والباطنة.

**ثاني الفضائل**: فضائل البدن.

**والثالث**: كل ما يتعلق بالبدن من المال والأهل والأقارب.

**والرابع:** الخارج عن البدن وهى الهداية والتوفيق.

فهذه مراتب أربع تفاصيل أحوالها موجودة فى الأصل، فاطلبه هنالك.

**منازل الأرواح:**

قال الإمام النسفى فى بحر الكلام: الأرواح على أربعة أوجه:

**الوجه الأول:** أرواح الأنبياء، عليهم السلام، تخرج من أجسادها، وتصير مثل صورها، ريحها مثل المسك والكافور، وقد تكون فى الجنة تأكل وتشرب وتتنعم، وتأوى بالليل إلى قناديل معلقة تحت العرش.

كذلك أرواح الشهداء: تخرج من أجسادها، وتكون فى أجواف طير خضر فى الجنة، تأكل وتتنعم، وتأوى بالليل إلى قناديل معلقة تحت العرش.

**الثانى:** أرواح المطيعين فى رياض الجنة، لا تأكل ولا تتمتع، ولكن تنظر إلى الجنة.

**الثالث:** أرواح العصاة من المؤمنين: تكون بين السماء والأرض فى الهواء.

**الرابع:** أرواح الكفار: فهى فى سجين، فى جوف طير سود تحت الأرض السابعة، وهى متصلة بأجسادها، فتعذب الأرواح، وتتألم الأجساد منه، كالشمس فى السماء، ونورها فى الأرض.

**ديار النفس:**

قال ابن القيم: للنفس أربعة دور، كل دار أعظم من التى قبلها:

**الأول:** بطن الأم، وذلك محل الحصر والضيق والغم والظلمات الثلاث.

**الثانى**: هذه الدار الدنيا التى نشأت فيها وألفتها، واكتسبت فيها الخير والشر.

**الثالث**: دار البرزخ، وهى أوسع من هذه الدار الدنيا وأعظم، ونسبة الدنيا إلى البرزخ كنسبة بطن الأم إلى الدنيا.

**الرابع**: دار القرار (الجنة أو النار).

والنفس فى كل دار من هذه الدور حكم وشئون غير شئون الأخرى.

## أحوال أهل القبور:

قال بعض الأفاضل: أهل القبور على أربعة أقسام فى قبورهم:

١- منهم القاعد على منكبيه حتى يعود الجسم ترابًا، ولا يزال بعد ذلك طوافًا فى الملكوت دون السماء الدنيا.

٢- ومنهم من يرسل الله عليه بمغفرة، ولا يدرى ما فعل، حتى يتنبه إلى النفخة الأولى ثم يموت.

٣- ومنهم من لا يقيم فى قبره أكثر من شهرين، ثم تركب نفسه فى طير يهوى به فى الجنة، وهو الحديث الصحيح، حيث قال صاحب الشرع ﷺ: «نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجرة الجنة»[1].

٤- أرواح الأنبياء والأولياء: لهم الحياة.. فمنهم من اختار الأرض أن يكون طوافا حتى تقوم الساعة، وكثيرًا ما يرى فى النوم.. وأظن الصديق والفاروق منهم (رضى الله عنهما).

والرسول ﷺ له الخيار فى طواف العوالم الثلاثة.. وعن هذه الإرادة

(١) عن كعب بن مالك، رضى الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: «إنما نسمة المؤمن طائر فى شجر الجنة، حتى يبعثه الله عزَّ وجلَّ إلى جسده يوم القيامة»، سنن النسائى.

قال ﷺ تنبيهًا وإشارة: «أنا أكرم على الله من أن يدعنى فى الأرض فى ثلث»[1]، وكان الثلث عشر مرات؛ لأن الحسين، رضى الله عنه، قتل رأس الثلاثين سنة، فغضب على أهل الأرض، وعرج به على العرش الأعلى، وقد رآه بعض الصالحين فى النوم، فقال: يا رسول الله بأبى وأمي: ما ترى فتن أمتك؟ فقال ﷺ: «زادهم الله فتنة، قتلوا الحسين وما لم يحفظونى فيه».

## أصول وآداب التوكل:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].. وللتوكل أصول وآداب:

ونبدأ **أولاً بالأصول**.. وأصول التوكل أربعة: **الأول**: بلا سعى.. **والثانى**: التوكل بالسعى الشرعى.. **والثالث**: التوكل بعد السعى.. **والرابع**: التوكل لا بسعى ولا بغير سعى، ولكن بعد وصول ما وجب من عند الناس بلا طلب، وإظهار ذلة إلى معطيها.

مثال **الأول**: وهو المتوكل على الله تعالى فقط، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

مثال **الثانى**: وهو السعى الشرعى.. قال تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩].

---

(١) المقصود بكلمة ثلث: أى أحد العوالم الثلاثة وهى: عالم الملك والملكوت والجبروت، ومعنى هذا: أن من كرم الله للرسول ﷺ: أن يبيح له الطواف فى هذه العوالم، فى أى منها شاء، ولم نجد حديثًا بهذا اللفظ، والذى وجدنا بلفظ: «أنا أكرم على الله من أن يدعنى تحت الأرض مائتى عام».
قال العجلونى فى كشف الخفاء (١/١٦١ رقم ٢١٧): هو أحد الأحاديث الأربعة التى تدور على الألسنة فى الأسواق عن رسول الله ﷺ، وليس لها أصل على ما نقل ابن الصلاح عن الإمام أحمد.

قال علماؤنا (رحمهم الله): فى السعى تأثير عظيم فى أحوال الناس.

ومثال **الثالث**: ما دلَّت عليه الأحاديث المتواردة أن: «الكاسب حبيب الله»، وقيل: من له أهل وأولاد فسعيه بعد أداء الفريضة عبادة.

مثال **الرابع**: قيل: «أداء الشكر واجب على كل عبد».. كما قيل: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله».. وغير ذلك من الأمثلة المشهورة بين العلماء.

وقال ابن معاذ: وجود رزق العبد من غير طلب، دلالة على أن الرزق مأمور بطلب العبد.

وقال ابن أدهم (رحمة الله عليه): سئل بعض الربانيين: من أين تأكل؟ فقال: ليس هذا العلم عندى، ولكن سل ربى من أين يطعمنى (وهذا مثال أيضًا للأصل الأول من أصول التوكل).

وقال هرم بن حبان لأويس القرني: أين تأمرنى أن أكون؟ فأومأ إلى الشام، فقال هرم: كيف المعيشة بها؟ قال أويس: إن هذه القلوب قد خالطها الشك، فما تنفعها الموعظة (وهنا مثال للأصل الرابع) يعنى الاستناد بالأسباب الظاهرة، والاتكال بالمال المباح، وذلك نوعان: اكتساب بشبهة، وبغير شبهة. ووجه الاكتساب ذكر فى كتاب الإحياء للغزالى، فاطلبه هنا لك.

**ثانيًا: آداب التوكل**: وهى أربعة كأصوله وشروطه.

قال المصنف (رحمه الله): للمتوكل آداب فى متاع بيته:

**الأول**: إذا خرج عنه أغلق الباب، ولا يلتمس الحفظ من الجيران.. وعن بعض العلماء: إذا خرج لا يغلق الباب، ولكن يشد بابه بشىء، فقال: ما شددته لولا الكلاب.

**والثاني**: أن لا يترك فى البيت متاعًا، لو عرض عليه السراق، يكون

هو سبب معصيتهم، أو يكون إمساكه سبب هيجان رغبتهم.. كذلك إن لم يكن فى قلب السالك طمع، وكان قلبه خاليًا عن تشويش المال والجاه، لا يشتغل الشيطان بوسوسة قلبه؛ لأجل ذلك قال الصوفيون: «الدنيا رأس كل خطيئة».

**الثالث:** إن اضطر إلى ترك المتاع فى بيته، فعليه أن ينوى عند خروجه الرضاء بالقضاء من تسليط العدو، أو جبر الظالم، أو تسليط السارق عليه، ويقول: كل ما أخذ منه فهو عنده فى حل، كما قال رسول الله ﷺ: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»[1]، والنصرة إلى المظلوم ظاهرة، وأما إلى الظالم فهى العفو عنه، ومنعه من الظلم إن أمكن.

**الرابع:** أنه إذا وجد المال قد سرق وأخذ جبرًا، ينبغى أن لا يحزن، بل يفرح إن أمكن ويقول: لو كان فيه الخير والثواب لما سلبه الله تعالى.. فينبغى للمرء إذا سرق منه مال أو أخذ وقال: «فى سبيل الله» أن لا يسترده ثانيًا؛ لأنه يضره ذلك، كما ذكر فى الإحياء سبب الضرر نقلا عن كبار العلماء، فاطلبه هنالك تجد نصحًا ينفعك، إن شاء الله تعالى.

**مراتب الحسد:**

قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢]، قيل: لابد لكل مسلم ابتلى بالحسد ويريد تركه أن يعلم أولاً مراتب الحسد، ويعلم علاج تركه، وتلك المراتب أربع:

**الأولى:** تمنى زوال النعمة عنه.. وهذا غاية الخبث.

**الثانية:** أن يريد زوال النعمة، لرغبته فى تلك النعمة، مثل رغبته فى دار حسنة أو امرأة حسنة ومثلهما.

**الثالثة:** أن لا يشتهى عينها، بل يشتهى مثلها لنفسه، فإن عجز عن

---

(١) عن أنس بن مالك، رضى الله عنه، فى صحيح البخارى.

مثلها أحب زوالها، كى لا يظهر التفاوت بينهما.

**الرابعة**: أن يشتهى لنفسه مثلها، فإن لم يحصل فلا يجب زوالها منه، بل يريد حصولها له.. وهذا الأخير معفو عنه.

هذه الأربعة هى مراتب الحسد.. أما **أسبابه** فكثيرة جدًا، نقتصر على أربعة: **الأول**: العداوة.. **والثانى**: التعزز.. **والثالثة**: الكبر على الغير.. **الرابع**: الرياسة، وحب الجاه بين الأقران والأمثال.

وكذلك **للدواء** أسباب شتى، ولكن نقتصر على أربع:

**الأول**: لابد أن تعلم بأن الشيطان هو الذى يلقى الحسد والبواعث إلى الحسد فى القلب، وينازعك إلى الحسد للحسد، لذا يجب أن تتدارك وتحترز من وساوسه بالذكر الدائم.

**الثانى**: لابد أن تعلم أن الحسد مهلك، وضرر الحسد لصاحبه أشد من ضرر النار وتأثيرها، كما قال على، رضى الله عنه، وكرم وجهه: «كفى للحسود حسده» (يعنى شره).

**الثالث**: لابد أن يتأمل الحسود فى أن الحسد قد يظهر فى اللسان تارة، وأخرى فى القلب وسائر الجوارح، وهذه كلها أسباب لنقص الثواب والمراتب عند الله والناس.

**الرابع**: متى قنعت باليسير من الدنيا فى المطعم والمشرب والملبس، ورضيت بقضاء الله وقدره فى جميع ذلك، عرفت أن الحسد والطمع لا يزيدان الإنسان إلا مقتًا ونقصًا عند الله تعالى، وعند الناس.. أعاذنا الله من سوء الخصال فى جميع الأحوال.

**أسباب الوقوع فى الذنوب:**

اعلم أن هذه الغفلة مع عدم الفراغ من الذنوب لا يكون إلا من ضعف الإيمان.. فكل مؤمن مصدق يعلم بأن المعصية سبب البعد عن الله

تعالى ورسوله ﷺ، وسبب العقاب فى الآخرة.. ولتعلم أن سبب الوقوع فى الذنب أربعة أمور:

**الأول:** أن العقاب الموعود غيب، ليس بحاضر، والنفس جبلت متأثرة بالحاضر، فتأثرها بالموعود ضعيف بالإضافة إلى تأثرها بالحاضر.

**الثاني:** أن الباعث على الذنوب لذات النفس، وهى فى الحال آخذه بالنوع وفيها قوى، لذلك استولت بحب الاعتياد والعادة والطبيعة على ذات الإنسان.. كذلك النزوع عن العاجلة لخوف الآجل جديد على النفس، لذلك قال تعالى: ﴿بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ [القيامة: ٢٠ - ٢١]، وغير ذلك من الآيات والأخبار كثير.

**الثالث:** أنه ما من مذنب مؤمن إلا وهو فى الغالب عازم على التوبة، وتكفير السيئات بالحسنات، وقد وعد بأن ذلك يشغله، إلا أن طول الأمل غالب على الطباع، فلا يزال يؤجل التوبة والتكفير.. فمن حيث رجاؤه مع الإيمان، ربما يقدم عليه توفيق التوبة.

**الرابع:** أنه ما من مؤمن موفق إلا وهو يعتقد أن الذنب لا يوجب العقوبة إيجابًا، بل يمكن العفو عنها، فهو مذنب وينتظر العفو اتكالاً على فضل الله تعالى.

انتهى إلى هنا كلام الإمام من كتاب الإحياء، رضى الله عنه، ونفعنا من علومه ومدده.

**من الصور الإنسانية:**

قال الغزالى فى كتابه معراج السالكين: إن الصورة الإنسانية تنقسم إلى أربعة أرباع: الرأس.. اليدان.. البدن.. الرجلان.

وغذاء الإنسان استقر فى المعدة، وتخدم المعدة أربع قوى: الجاذبة.. الماسكة.. الهاضمة.. الدافعة.

وقال آخر من العلماء: حكى أن هرقل ملك الروم كتب إلى معاوية ابن أبى سفيان (رضى الله عنهما) يسأله عن أمثلة منها: الأربعة الذين لهم الروح، ولم يركضوا فى أصلاب الرجال ولا فى أرحام النساء.

فأجابه بأنهم: آدم عليه السلام.. وحواء.. وعصا موسى عليه السلام.. والكبش الذى فدى الله به إسماعيل عليه السلام.

وقيل لبعض من كبار العلماء: من أكرم الناس؟ قال أربعة:

**الأول:** أفقههم وأصدقهم لليمين. **والثانى:** أبذلهم للمسلمين.

**والثالث:** أكرمهم للفقراء والعلماء.

**الرابع:** أطعمهم للمساكين والمحتاجين.

وقيل له: فمن أثقل الناس؟ قال أربعة:

الأول: المنقر فى الكلام، أى المدقق أو المجادل.

والثانى: الضنين بالسلام.

والثالث: المهدار فى الكلام.

والرابع: المنفتق على الطعام، أى شره.

وقيل: فمن خير الناس؟ قال أربعة:

الأول: أكثرهم إحسانًا. والثانى: أقومهم ميزانًا.

والثالث: أدومهم غفرانًا. والرابع: أوسعهم ميدانًا.

وقيل: فمن العاقل؟ قال: فى العاقل أربع علامات:

لا يتكلم.. ولا ينظر سرارًا.. ولا يضمر غدرًا.. ولا يطلب عذرًا.

وقيل: فمن الجاهل؟ قال: فى الجاهل أربع علامات:

الأولى: المهدار فى كلامه.. الثانية: المنان فى طعامه.. الثالثة: المتطاول على إمامه (يعنى على الحكام أو المشايخ والأساتيذ).. والرابعة: الفاحش على غلامه.

**ما هو الكون؟.**

قال العلماء فى كتب الأصول: الكون عبارة عن حصول الجوهر فى الحيز.. ويندرج تحت الكون أربعة أشياء:

**الحركة:** وهى عبارة عن حصول الجوهر فى حيز آخر.

**والسكون:** وهو عبارة عن حصول الجسم الواحد فى حيز واحد، أكثر من زمان واحد.

**والاجتماع:** هو عبارة عن حصول المتحيزين فى حيزين، بحيث لا يتوسطهما ثالث.

**والافتراق:** عبارة عن حصول المتحيزين فى حيزين، بحيث يتوسطهما ثالث كذا قال العلماء فى علم الكلام.

**فى تعريف العرش وبيانه:**

قال صاحب كنز الأسرار فى تعريف العرش وبيانه: الكلام فيه على أربعة وجوه:

**الأول:** فى عظمه ووجوده.. قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

**الثانى:** فى كون العرش مخلوقًا قبل السماوات والأرض ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، وذلك يدل على أنه مخلوق قبل ذلك.

وفى حديث عمران بن حصين: «كان الله و لم يكن معه شىء، وكان

عرشه علــى المــاء، ثــم خلــق السماوات والأرض»[١].. والظـاهر أن ثــم للتدرج (أى التدرج).

**والثالث:** فى حقيقة العرش.. وفى تفسير الثعلبى: أن الله خلق العرش فى جوهرة خضراء له ألف ألــف رأس، فــى كــل رأس ألــف ألــف وجــه وستمائة ألف، والوجه الواحد كطباق الدنيا ألــف ألــف مـرة، وستمائة ألف ألف مرة، وفى الوجه الواحد ألف ألف لسان، كل لسان يسبح الله تعالى بألف ألف لغة، يخلق الله تعالى بكل لغة من لغاته خلقًا فى ملكوتــه يسبحونه ويقدسونه بتلك اللغات.

**الرابع:** فى ملائكة العرش.. وهم أربعة أملاك اليـوم، فـإذا كـان يـوم القيامة أصبحوا ثمانية.. وقالوا: إنهم اليوم ثمانية، وهذا مـروى أيضًـا عـن النبى ﷺ، وسبب ذلك وتضعيفهن ذكر فى كتابنــا أسـرار الحـج.. وفـى قانون القاضى أبى بكر بن العربى:

أن العلماء اختلفوا فى أول المخلوق.. فقيل: العرش.. وقيل: الهــواء.. وقيل: الماء.. وقيل: العماء.. (وهى أربعة أيضًــا، والعمـاء هـو السحاب الرقيق عند الحكماء، وعند الصوفيين فيه مذهب آخر، أشير إليه فى هـذا الكتاب فى مواضع، ومن طلب وجد.

**وفى الكرسى وعظمته وجوه أيضًا:**

– حملة الكرسى من الملائكة أربعة أملاك، لكل ملــك أربعـة وجـوه، أقدامهم فى الصخرة التى تحت الأرض السابعة السفلى مسـيرة خمسـمائة عام.

وصور الملائكة كما يلى:

– ملك على صورة سـيد البشـر آدم، عليـه السـلام، وهـو يسـأل الله

---

(١) مسند أحمد، حديث رقم (١٩٠٣٠).

للآدميين المطر والرزق من السنة إلى السنة.

- وملك على صورة سيد الأنعام، وهو الثور، وهو يسأل الله للأنعام الرزق من السنة إلى السنة، وعلى وجهه غضاضة منذ عبد العجل من دون الله.

- وملك على صورة سيد الطيور، وهو النسر، وهو يسأل الله الرزق للطيور من السنة إلى السنة.

وبين حملة العرش وحملة الكرسى سبعين حجابًا من ظلمة، وغلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام، ولولا ذلك لاحترقت حملة العرش من حملة الكرسى (حكاه الثعلبى).

**الأجسام السفلية وعناصرها:**

وقال صاحب الكنز، رواية عن الإمام فخر الدين الرازى، رحمهما الله تعالى: الأجسام السفلية إما بسيطة أو مركبة.

**أما البسيطة:** هى العناصر الأربعة المذكورة فى أول الكتاب: أحدها: كرة الأرض فى المفاوز والجبال والبلاد المعمورة.. ثانيها: كرة الماء وما فيها من الأودية والعيون والأنهار والبحار.. وثالثها: كرة الهواء.. ورابعها: كرة النار.

**أما المركبة:** كالمعادن والنبات والحيوانات، وسائر الأشجار، والأعراض المتحيزة وغير المتحيزة.

**أما الرياح:**

قال فخر الدين: الرياح أربعة.. الأول: الشمال (من نقطة الشمال).. والثانى: الجنوب (من نقطة الجنوب).. والثالث: الصبا (مشرقية).. والرابع: الدبور (مغربية) وإنما سمى الصبا «قبولاً»؛ لأنها مستقبلة الدبور.. وما بين كل واحد من هذه الأمهات تسمى مكبًا..

والجملة تحت أجنحة الكروبيين حملة العرش.. ولكل واحد ممر ومخرج.

وكما أن للرياح ممر ومخرج، كذلك لكل أصل من أصول الإنسان ممر ومخرج، على ما فهم من تعريفها: أما الشمال: فإنها تمر بجنة عدن، فتأخذ من عرق طيبها فتمر على أرواح الصديقين، وحديها من كرسى نبات نعش.

أما الدبور: فحدها ومخرجها من مطلع الشمس إلى كرسى نبات نعش، فلا تدخل ريح على أخرى فى حدها.

وقال الإمام فخر الدين رواية عن ابن عمر، رضى الله عنهما: إن الرياح ثمان، أربع منها عذاب، وهى: القاصف، والعاصف، والصرصر، والعقيم.

وأربع منها رحمة، وهى: الناشرات، والمبشرات، والمرسلات، والذاريات. وتفاصيل ذلك فى كتاب كنز الأسرار.

**الكلمات التى تلقاها آدم من ربه:**

قال صاحب الكنز: الكلمات التى تلقاها آدم من ربه فيها أربعة أقوال:

**الأول**: ما روى عن ابن عباس (رضى الله عنهما): قول آدم، عليه السلام: «يا رب ألم تخلقنى بيدك من غير واسطة؟ قال: بلى.. قال: يا رب ألم تسكننى جنتك؟ قال: بلى.. قال: يا رب ألم تسبق رحمتك غضبك؟ قال: بلى.. قال: يا رب أرأيت إن أصلحت ورجعت وتبت أفتردنى إلى جنتك؟ قال: بلى»[1].

**الثانى**: رواية عن ابن عباس، أن الكلمات التى تلقاها آدم من ربه

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك (٢/٥٤٥)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى.

فتاب عليه قال: علم الله آدم وحواء أمر الحج، فهى الكلمات التى فى الحج.. فلما فرغا من الحج أوحى الله تعالى إليهما أنى قبلت توبتكما.

**والثالث:** رواية عن قتادة ومجاهد، أن الكلمات التى تلقاها آدم هى قوله[1] تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

**والرابع:** رواية عن سعيد بن جبير، وعن ابن عباس، رضى الله عنهما، أنها هى: «لا إله إلا أنت، سبحانك اللهم وبحمدك، عملت سوءًا وظلمت نفسى، فاغفر لى فإنك أنت الغفور»[2].

**تحديد الكفر وأسبابه:**

اختلف العلماء فى تحديد الكفر وأسبابه، وانحصروا على أربعة أركان فى الأقوال:

**الأول:** الجحد بالله ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٣]، واتفق أهل الإسلام بواحدنيته تعالى، فيلزم تكفير من يجحده وينكره ويشركه.

**الثانى:** هو تكذيب الرسول ﷺ، هذا القول للغزالى، رحمه الله.

**الثالث:** للإمام فخر الدين: بإنكارهم ما ينقل عن محمد ﷺ من الأخبار، من حج وزكاة وصوم.. وهم ينكرون نبوته، وبكل ما جاء به عن ربه تعالى.

**الرابع:** بما يدل بأقوالهم كالشرك والإنكار.. وبما يدل بأفعالهم كتعليق

---

(١) رواية عن قتادة، أخرجها البيهقى فى الشعب (٧١٧٤)، رواية مجاهد: أخرجها ابن أبى حاتم فى التفسير (٩١/١ رقم ٤١٠).

(٢) رواية عن سعيد بن جبير، وعن ابن عباس، رضى الله عنهما: عزاه السيوطى فى الدر المنثور (١١٨/١)، لهناد بن السرى فى الزهد.

الصليب وشد الزنار.. فهذه الأفعال يكفر صاحبها بالإجماع. ومع هذا فكثرة فرقهم لا تحصى، ولو التزمنا شرح أحوالهم لطال الكتاب.

**ما المراد بالأجلين؟:**

اختلف العلماء فى المراد بالأجلين فى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ [الأنعام: ٢]، وهذا الاختلاف على أربعة أقوال:

**الأول:** أن الأجل الأول أجل الماضين.

**والثانى:** أجل الباقين.

والمراد بالأول أجل الموت، وبالثانى أجل حياة الأرض؛ لأنه لا آخر لها ولا انقضاء، إلا بعلم الله تعالى.

**والثالث:** أن الأجل الأول هو ما بين خلق الإنسان إلى موته، والثانى ما بين موته إلى بعثه.

**والرابع:** أن الأول هو النوم، والثانى هو الوفاة.

وبعض العلماء اعتبر وجهًا خامسًا: وهو ما بقى فى عمر الإنسان، وما نقص من عمره.

**من الدعاء ما يكون كفرًا:**

قال بعض العلماء: من الدعاء ما يكون كفرًا، وهو على أربعة أقسام:

القسم **الأول:** كقول القائل: «اللهم لا تعذب من كفر واغفر له»؛ لأنه تكذيب للقواطع التى دلت على تعذيب الكفار؛ ولأن الله تعالى لا يغفر لمن يشرك به.. وغير ذلك من الأمثلة.

**الثانى:** وهو أن يطلب الداعى خلود المسلم فى النار، كقوله: «اللهم خلد فلانًا المسلم فى النار»، رغم أن هذا المسلم لابد له من الجنة.. أو أن يقول: «أحينى أبدًا حتى أسلم من سكرات الموت»، وهذا أيضًا مخالف

للنصوص القاطعة كقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، أو أن يقول: «اللهم اجعل إبليس محبًا ناصحًا لى ولبنى آدم».

**الثالث:** أن يطلب الربوبية، بسؤله عدم قدرته تعالى، أو بسلب علمه تعالى وغير ذلك من الأمثلة.

**الرابع:** يسأل الداعى الله أن يحل له بعض محرماته، وأن يفوض إليه أمور العالم، وغير ذلك من الأمثلة.

**مواقف يوم الحشر:**

قال صاحب الكتاب: إن مقدار الوقوف يوم الحشر أربعون عامًا.

قال المكى: روى أن الناس يقومون يوم القيامة حتى يلحقهم العرق، فيقومون مقدار أربعين عامًا.. وحكى أيضًا عن ابن مسعود، رضى الله عنه، أنه قال: يمكثون أربعين سنة على أكمل الأعداد.. وفى ذلك سبب وأصل ووجه، لابد من بيانه فى موضعه إن شاء الله تعالى، وقد أشير إليه فى المقدمة فى حديث الجمع والتخليق، منه قوله عليه الصلاة والسلام: «إن أحدكم يجمع فى بطن أمه»[1]، إلى آخر الحديث.

وقيل: مقدار الوقوف فى الحشر على أربعة أوجه:

**الأول:** الوقوف أربعون عامًا أو زيادة، وهذا على أقوال لم تذكر فى هذا المسطور، ولو ذكرت لطال الكتاب.

---

(١) عن عبد الله بن مسعود، صحيح البخارى، حديث رقم (٢٩٦٩)، ونص الحديث هو: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال: «إن أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله، وشقى أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح.. فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه، فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة.

**الثاني**: فى دنو الشمس يوم القيامة من رءوس الخلائق.. وفى رواية مسلم عن رسول الله ﷺ: «تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق لكثرة حر الشمس»[١].

**الثالث**: من العلامات التى يمتاز بها المسلمون عن غيرهم فى الحشر ما جاء فى الحديث: «يأتون يوم القيامة غرًا محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض»[٢]، والغرة والتحجيل على طريق التشبيه.

**الرابع**: فى العلامة التى يمتاز بها الكافرون يوم القيامة عن غيرهم.. وهذا الوجه أيضًا على أربعة أنواع:

**الأول**: أسوداد الوجه لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

**الثانى**: زرقة العيون.. قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢].

**الثالث**: عبس الوجوه.. قال تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٤].

**الرابع**: غبرة الوجوه.. قال تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ [عبس: ٤٠]، أى عليها غبار البهائم.

**التفاوت بين أهل الجنة**: قال بعض العلماء: التفاوت الذى بين أهل الجنة على أربعة أقسام:

**الأول**: من يستفتح له أبواب الجنة محمد ﷺ.

---

(١) عن عقبة بن عامر، مسند أحمد، حديث رقم (١٦٧٩٨).

(٢) عن أبى هريرة، رضى الله عنه (النسائى وابن ماجه) وفى موطأ مالك، حديث رقم ٥٣.

**الثاني**: الذين يكون وجوههم كالقمر ليلة البدر.. عن أبى هريرة، رضى الله عنه، عن النبى ﷺ: «إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر»[١]، ويحتمل أن يكون هؤلاء فقراء أمة محمد ﷺ، كما جاء فى الحديث «يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام»[٢].

**الثالث**: الذين يدخلون الجنة على أضواء كوكب درى.

**الرابع**: فى أهل الأعراف.. وفى هذا القسم الرابع أقوال عند المفسرين لا تحصى.

واعلم أن الأعراف جمع عُرف، وهو كل مرتفع، ومنه عرف الديك، سمى به لارتفاعه. وفى معناه عند العلماء أربعة معان فى الأقوال:

**الأول**: أنه أعالى الحجاب المضروب بين أهل الجنة وأهل النار، وهو السور الذى ذكره الله تعالى فى قوله جلّ شأنه: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ [الحديد: ١٣].

**الثاني**: أنه الصراط.. وهذا القول روى عن ابن عباس، رضى الله عنهما[٣].

**الثالث**: أنه جبل أحد، كما جاء فى الأثر من أقوال السلف الصالح.

**الرابع**: قال الحسن البصرى: أن معنى قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ [الأعراف: ٤٦]، أى رجال قادرون على معرفة أهل الجنة وأهل النار بسيماهم.. قيل للحسن البصرى: أهم أقوام استوت حسناتهم وسيئاتهم؟ فضرب على فخذه فقال: هم قوم جعلهم الله على تعرف

---

(١) فى صحيح البخارى، حديث رقم (٣٠٨٠).

(٢) عن أبى هريرة، وعبد الله بن عمرو وجابر وأبى سعيد الخدرى، سنن الترمذى.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى التفسير (١٤٨٣/٥)، رقم (٨٤٨٩)، (١٤٨٥/٥)، رقم (٨٥٠٢)، وأخرجه البيهقى فى البعث (١٠٠).

أهل الجنة والنار.. والله لا أدرى أبعضهم معنا.

قال المحرر الفقير إلى الله القدير: هذا الوجه الأخير موجه عندى، ومعوَّل عليه عند العلماء، وقريب من هذا ما قاله الإمام القرطبى فى تفسيره لهذه الآية: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾، وقسم أهل الأعراف اثنى عشر قسما.

## من رباعيات الكلم الطيب لأحاديث الرسول ﷺ:

- «للمؤمن أربعة أعداء: مؤمن يحسده.. ومنافق يبغضه.. وشيطان يضله.. وكافر يقاتله»(١)، «أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: صدق الحديث، وحفظ الأمانة، وحسن الخلق»(٢).

- «أربع حق على الله تعالى عونهم: الغازى، والمتزوج، والمكاتب، والحاج»(٣).

- «أربع دعوات لا ترد، دعوة الحاج حتى يرجع.. ودعوة الغازى حتى يصدر.. ودعوة المريض حتى يبرأ.. ودعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب»(٤).

- «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن

---

(١) أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس، عن أبى هريرة، وأشار السيوطى فى الجامع الصغير (٧٣٥٢)، لضعفه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (١٧٧/٢)، من حديث عبد الله بن عمرو، رضى الله عنهما.

(٣) عزاه السيوطى بهذا اللفظ للإمام أحمد فى مسنده، كما فى فيض القدير (٤٦٣/١)، وأخرجه الترمذى (١٦٥٥)، ٢٣- كتاب فضائل الجهاد، ٢٠- باب ما جاء فى المجاهد والناكح والمكاتب وعون الله إياهم.

(٤) أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس، ورمز السيوطى لضعفه كما فى فيض القدير (٤٦٣/١).

كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[١].

– «أربع من كن فيه حرمه الله على النار، وعصمه من الشيطان: من ملك نفسه حين يرغب، وحين يرهب، وحين يشتهى، وحين يغضب»[٢].

– «وأربع من كن فيه نشر الله عليه رحمته، وأدخله الله جنته: من آوى مسكينًا، ورحم الصغير، ورفق بالمملوك، وأنفق على الوالدين»[٣].

– «أربع من أعطيهن فقد أعطى خير الدنيا والآخرة: لسان ذاكر، وقلب شاكر، وبدن على البلاء صابر، وزوجة لا تبغيه حوبًا فى نفسها ولا فى ماله»[٤].

– «أربع من سنن المرسلين: الحياء، والتعطر، والنكاح، والسواك»[٥].

– «أربع من سعادة المرء: أن يكون له زوجة صالحة، وأولاد أبرار، وخلطاء صالحون، وأن يكون رزقه فى بلده»[٦].

– «أربع من الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، والحرص، وطول الأمل»[٧].

---

(١) أخرجه البخارى (٣٤)، ٢- كتاب الإيمان، ٢٤- باب علامة المنافق عن عبد الله ابن عمرو، رضى الله عنهما.

(٢) أخرجه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول عن أبى هريرة.

(٣) هو الشطر الثانى من الحديث السابق.

(٤) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير (١١/١٣٤)، رقم (١١٢٧٥)، والأوسط (٧٢١٢).

(٥) أخرجه الترمذى (١٠٨٠)، ٩- كتاب النكاح، عن أبى أيوب الأنصارى.

(٦) عزاه السيوطى فى الجامع الصغير لابن عساكر، والديلمى فى مسند الفردوس عن على، رضى الله عنه.

(٧) أخرجه ابن الجوزى فى الموضوعات (١٥٩٠)، من حديث أنس مرفوعًا.

- «أربع لا يشبعن من أربع: عين من نظر، وأرض من مطر، وأنثى من ذكر، وعالم من علم»[١].

- «أربع قبل الظهر ليس فيهم تسليم تفتح لهن أبواب السماء»[٢].

- «وأربع بعد العشاء يعدلهن ليلة القدر»[٣].

- «أربع لا يقبلن في أربع: نفقة من خيانة أو سرقة أو غلول أو مال يتيم، في حج ولا عمرة ولا جهاد ولا صدقة»[٤].

- «أربع أنزلت من كنز تحت العرش: أم الكتاب، وآية الكرسي، وخواتيم البقرة، والكوثر»[٥].

- «أربع حق على الله تعالى أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها: مدمن خمر.. وآكل الربا.. وآكل مال اليتيم بغير حق.. والعاق لوالديه»[٦].

- «أربعة دعوتهم مستجابة: الإمام العادل.. والرجل يدعو لأخيه بظهر الغيب.. ودعوة المظلوم بعد الصلاة.. ورجل يدعو لوالديه»[٧].

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٤٦٢، ٤٦٣)، من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وأخرجه (٤٦٤)، من حديث عائشة مرفوعًا.

(٢) أخرجه أبو داود (١٢٧٠)، كتاب الصلاة، باب الأربع قبل الظهر وبعدها.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٧٣٣)، من حديث أنس مرفوعًا، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٢٣٠).

(٤) أخرجه ابن عدي في الكامل (٦/٧٨)، في ترجمة كوثر بن حكم.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/٢٣٥، رقم ٧٩٢٠)، من حديث أبي أمامة.

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٣٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٥٣٠)، كلاهما من طريق إبراهيم بن خيثم بن عراك بن مالك عن أبيه، عن جده، عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٧) عزاه السيوطي في الجامع الصغير لأبي نعيم في الحلية، ولم نجده في النسخة المطبوعة.

- «أربعة لا ينظر الله تعالى إليهم يوم القيامة: عاق، ومنان، ومدمن خمر، ومكذب بقدر»[١].

- «أربعة يبغضهم الله: البياع الحلاف، والفقير المختال، والشيخ الزانى، والإمام الجائر»[٢].

- «أربعة يجرى عليهم أجورهم بعد الموت: من مات مرابطًا فى سبيل الله.. ومن علم أجرى له عمله ما عمل به.. ومن تصدق بصدقة فأجرى ما يجرى له ما وجدت.. ورجل ترك ولدًا صالحًا فهو يدعو له»[٣].

- «أربعة يؤتون أجورهم مرتين: أزواج النبى ﷺ.. ومن أسلم من أهل الكتاب.. ورجل كانت عنده أمة فأعجبته فأعتقها ثم تزوجها.. وعبد مملوك أدى حق الله وحق سادته»[٤].

- «أربعة من كنز الجنة: إخفاء الصدقة، وكتمان المصيبة، وصلة الرحم، وقول لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله»[٥].

- «أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركوهن: الفخر فى الأحساب، والطعن فى الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»[٦].

### من رباعيات نصائح العلماء:

السفر على أربعة أنواع وأقسام:

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير (٨/٢٤٠، رقم ٧٩٣٨).

(٢) أخرجه النسائى (٢٥٧٦)، عن أبى هريرة مرفوعًا.

(٣) أخرجه أحمد فى مسنده (٥/٢٦١)، والطبرانى فى معجمه الكبير (٨/٢٠٥، رقم ٧٨٣١)، كلاهما من حديث أبى أمامة مرفوعًا.

(٤) أخرجه الطبرانى فى الكبير (٨/٢١٢، رقم ٧٨٥٦).

(٥) أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد (٣/١٨٦)، من حديث على رضى الله عنه، مرفوعًا.

(٦) أخرجه مسلم (٩٣٤)، ١١- كتاب الجنائز، ١٠- باب التشديد فى النياحة.

الأول: محرم.. والثاني: مكروه.. والثالث: محمود.. والرابع: مندوب.

أما المحرم: كإباق العبد من سيده وسفر العاق.

والمكروه: كالفرار من بلدة الطاعون.

والمحمود: كالحج وطلب العلم.

والمندوب: كزيارة العلماء والشهداء، وغير ذلك من الأسفار، ظاهرًا وباطنًا.

• قال الشافعي، رحمه الله: آداب الأكل بين الصلحاء على أربعة أنحاء:

- الأكل بأصبع واحد من المقت.
- الأكل بإصبعين من الكبر.
- الأكل بثلاثة أصابع من السنة.
- الأكل بأربع أو خمس أصابع من الشره.

• وقال: أربع تقوى البدن:

أكل اللحم.. وشم الطيب.. وكثرة الغسل من غير جماع.. ولبس الكتان.

• وأربع توهن البدن:

كثرة الجماع.. وكثرة الهم.. وكثرة شرب الماء على الريق.. وكثرة أكل الحموضة.

• وقال: أربع تقوى البصر:

الجلوس نحو القبلة.. والكحل عند النوم.. والنظر إلى الخضرة.. وتنظيف الملبس.

• وأربع توهن البصر: النظر إلى القذر.. والنظر إلى المصلوب.. والنظر إلى فرج المرأة.. والجلوس فى استدبار القبلة.

• وأربع تزيد فى الجماع:

أكل العصافير.. وأكل الأطرفيل الأكبر.. وأكل الفستق.. وأكل الجرجير.

• وقيل: النوم على أربعة أنحاء:

النوم على القفا، وهو نوم الأنبياء، عليهم السلام، يتفكرون فى خلق السماوات والأرض.

ونوم على اليمين: وهو نوم العلماء والعُبَّاد.

ونوم على الشمال: وهو نوم الملوك ليهضم طعامهم.

ونوم على الوجه: وهو نوم الشياطين.

• نقل عن الحكماء: لا يغرنكم أربعة أشياء: الأول: زهد النساء.. الثانى: ضحك العدو.. الثالث: حر الشتاء.. الرابع: سكون الخيل.

والسالك هذا يكون فى سلوكه معاملاً فى أكثر أحواله فى الأصول والمراتب.

• قيل: المشورة راحة لك وتعب لغيرك..

ولا تشاور أربعة من الخلق: الأول: الجائع حتى يشبع.. والثانى: العطشان حتى يروى.. والثالث: الأسير حتى يطلق.. والرابع: المقل حتى يكثر خيره ويحصل مرامه.

• ويقال: من أعطى أربعًا لم يمنع أربعًا: من أعطى الشكر لم يمنع المزيد.. ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول.. ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخير.. ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب.

● قال صاحب الإحياء فى كتاب عجائب القلب: اعلم أن الإنسان قد مزجت فى خلقته وتركبت أربع شوائب، فلذلك اجتمعت عليه أربعة أنواع من الأوصاف وهى: الصفات السبعية، والبهيمية، والشيطانية، والزبانية.

● وقيل: أربع تزيد فى العقل:

ترك الفضول من الكلام، والسواك، ومجالسة العلماء، ومجالسة الصالحين.

وأربع تزيد فى العبادة: أن لا يخطو خطوة إلا على وضوء.. وكثرة السجود.. ولزوم المساجد.. وكثرة قراءة القرآن.

**تعليق على الجزء الرابع:**

يعتبر هذا الجزء بلورة وتطبيقًا لما سبق من أجزاء ، فهو يجول فى العبادات والآداب والعادات، ليبين ما فيها من أسرار التربيع، مما يشكل منهاجًا لفكر المسلم، بحيث يتعمق فى فهم حقيقة الإسلام والإيمان، ويعلم علم اليقين عظمة هذا الدين القيم، الذى يهدف إلى رشد الإنسان بمعالجته من كافة الأركان.

ونحن نعتبر أن ذلك الجزء يعتبر رؤية جديدة للعبادات، فى رباعيات توقظ الوجدان والعقول، وتستثير ما فيها من الفهم المكنون، بأبعاد جديدة، وحقائق مثمرة غزيرة.. ولا شك أن هذا أسلوب جديد فى مجال الدعوة، وفى نفس الوقت مفيد إلى أبعد مدى؛ لأن الإنسان يحتاج دائمًا إلى الجديد فى العلم وطرق الفهم لتوسيع مداركه وإثراء أفكاره.

ولذلك فنحن ندعو كل من كان له قلب أن يلقى السمع وهو شهيد لهذا الكلام الرشيد؛ لأنه يحمل فى مراميه ومغازيه كنوزًا هائلة، تخاطب

أصحاب القلوب النيرة، المتعطشة إلى ما يزيدها فهما لدينها، لتحقق العروج المطلوب إلى ربها.

كما يعتبر هذا الجزء رحلة ممتعة مع أقوال الصالحين فى كتبهم، مما يبين الجهد المشكور الذى بذله صاحب المخطوط (الشيخ إبراهيم البثنوى، رضى الله عنه وأرضاه) فى البحث العلمى الدائم حول أصول الحقيقة، التى يسعى إليها دومًا العلماء الأولياء الأتقياء.. وهذا البحث العلمى هو المطلوب لإثراء الفكر الإسلامى؛ لأنه يؤدى إلى تلاحق الأفكار لإعلاء بنيان الإيمان، ونضج بنى الإنسان.

فاللهم وفق علماءنا لإضافة مزيد من اللبنات لهذا البنيان، حتى يصير شامخًا يبهر أولى الألباب، ويرتفع معه هؤلاء العلماء مصداقًا لقولك الحق: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

* * *

# الخاتمة
# فى مراتب العلم والعلماء الواقعة على أصول التربيع

**مقام العلم:**

قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، قال علماؤنا، رحمهم الله تعالى: العالم أفضل من العامل بأربعة أشياء:

**الأول:** أن العلم قد يكون بغير عمل كما ورد فى الحديث[1].. ولأنه كفى به شفاعة يوم القيامة ، وسببًا لخلاصه من النـار، ولا يمكن العمل بغير علم.

**الثانى:** مقام العلماء مقام الأنبياء، عليهم السلام، ومقـام العمـل مقـام الأولياء.

**الثالث:** العمل لازم، والعلم متعد كالسراج.

**الرابع:** ينفع العلم بغير عمل، ولا ينفع العمل بغير علم.

وغير هذا مذكور فى الأصول.

**من غرائب العلوم:**

جاء فى الخبر: «أربعة من بلاد الدنيا من الجنة، الأول: مكة.. والثانى:

---

(١) أخرج ابن ماجه فى سننه (٢١٩)، المقدمـة، ١٦- بـاب فضـل مـن تعلـم القـرآن وعلمه، من حديث أبى ذر مرفوعًا، ما نصه: «يا أبا ذر لأن تعـدو فتعلـم آيـة مـن كتاب الله، خير لك من أن تصلى مائة ركعة، ولأن تغدو فتعلـم بابًـا مـن العلـم، عُمل به أو لم يعمل، خير لك من أن تصلى ألف ركعة».

المدينة.. والثالث: القدس.. والرابع: دمشق (يعني به الشام)»[1]، رواه أبو هريرة هكذا وجدتها مكتوبة في مناقب القدس.. فعلى الناظر في هذا المسطور، الراغب في استجلاء مراتبه وأسراره، أن يتأمل بين السطور، يجد مناسبة قريبة لا يجدها في غيرها، ويعلم ما أودع له فيها من غرائب العلوم والحكم ومراتبها ولطائفها.. ونرجو منه أن ينظر إليها بعين الإنصاف، وبقلب صاف، والإقبال بتصحيح ما وقع من خلل ونقص، ويخطر بباله قوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

فإن العلوم لا تنحصر في قلب شخص معين، ولا في قاعدة معينة، والإنسان محل النسيان، والبشرية كذلك جامعة النقصان.. فعليه أن يستر الخلل الواقع بذيل العفو، وكلما وجد فائدة جديدة فليحمد الله تعالى عليه، فهو وليه في كل حال من أحواله، في ليله ونهاره.

**مراتب العلم:**

اعلم أن مراتب العلم متعددة، ومنقسمة إلى أربعة أقسام:

الأول: معنوية.. والثاني: روحانية.. والثالث: صورية مثالية.. والرابع: مركبة مادية.

فروح العلم وحكمه السارى في مرتبته وسر وحدته، بواسطة المواد اللفظية والرقمية والصورية، كالحروف والكلمات المكتوبة (المتلفظة والمعنوية) وهي المعلومات المختلفة التي تتضمنها العبارات ومواد التراكيب والاصطلاحات الوصفية والمراتب التي هي محل ظهور العلم.

والعلم وإن كان حقيقة واحدة كلية، فإن لها أحكامًا ونسبًا.. وقد

---

(١) أخرجه ابن عدى في الكامل (٧٣/٧)، في ترجمة الوليد بن محمد الموقرى، ومن طريق ابن عدى، أخرجه ابن الجوزى في الموضوعات (٨٧٤).

فتح لك فى هذا المسطور باب واسع فى أصول التربيع، ما يتيسر لأحد إلا لأهل العناية الكبرى، وذوى المكانة الزلفى.

فتتبع المراتب فى العلم، واعتبر مثلها فى جميع الحقائق؛ لأن المراتب الواقعة فى التربيع سارية فى أكثر الحقائق.. قال بعض الفضلاء: العلم له تعلق بالحق وبسواه، والمتعلق بالحق متجرد عن التعليق بغيره، أو بارتباط الغير، أو بالاعتبار بين الأمرين.

قال الغزالى فى الإحياء: مراتب العلم إما محمودة.. وإما مذمومة.

فالمحمودة: هى العلوم الشرعية.. والمذمومة: هى العلوم العارضة كعلم السحر، والفلسفات وغيرهما.

أما **المحمودة**، فلها فروع وأصول ومقدمات، وهى أربعة:

**الأول**: الكتاب والسنة، وإجماع الأمة، وآثار الصحابة (يعنى القياس).

**الثانى**: الفروع.. وهى ما فهم من هذه الأصول.

**الثالث**: المقدمات.. كعلم اللغة والنحو، فإنهما مقدمات العلم.

**الرابع**: المتممات.. وذلك فى علم القرآن.

**من رباعيات العلم:**

- قال أرباب الأصول: أصول الدين أربعة: الكتاب.. والسنة.. والقياس.. وإجماع الأمة والعزيمة بها.

- العبادات أربعة أيضًا: فرض.. وواجب.. وسنة.. ونفل (فى كتاب المغنى).

- أقسام المجاز أربعة؛ لأن طرفيه إما **حقيقتان** (نحو أنبت الربيع البقل) أو **مجازان** (نحو أحيا الأرض شباب الزمان) أو **مختلفان** (نحو أنبت البقل

شباب الزمان وأحيا الأرض الربيع) جاء ذلك فى المغنى وكذا التلميص.

• قال صاحب المغنى: الرخصة أربعة أنواع فى العبادات والعادات: اثنان فى الحقيقة.. واثنان معتبر بالمجاز.

• كذا فى المغنى: أصول وجوه النظم أربعة:

الأول: الخاص.. والثانى: العام.. والثالث: المشترك.. والرابع: المأول.

• وجوه البيان فى الأصول أربعة:

الأول: الظاهر.. والثانى: المفسر.. والثالث: الحكم.. والرابع: النص.

- أما وجوه استعمال النظم فهى أربعة:

الحقيقة.. والمجاز.. والصريح.. والكتابة.

• وجوه الوقوف على أحكام النظم أربعة:

الأول: الاستدلال بعبارة النص. والثانى: الإشارة به.

والثالث: الاستدلال بدلالته. والرابع: الاستدلال باقتضائه.

كذا جاء فى المغنى.

• قال صاحب المغنى فى الأصول: الحجة نوعان: موجبة، ومجوزة.

- فالموجبة أربعة:

**الأول**: كتاب الله تعالى وقول الرسول ﷺ.

**الثانى**: قول المتواتر عنه.

**الثالث**: الإجماع.

**الرابع**: السماع منه.

- والمجوزة أربعة:

**الأول**: العام المخصوص. **والثانى**: الآية المأولة.

**والثالث**: غير الواحد. **والرابع**: القياس.

ومن أراد تفاصيل أحوال هذه الأصول المذكورة، فليطلب ذلك فى كتب الأصول.

**أنواع السنة:**

قال المغنى: السنة نوعان: مرسل ومسند.

فالمرسل: محمول على السماع.. والمسند على أربعة أقسام:

**الأول**: التواتر.. وهو يرويه قوم لا يحصى عددهم، ولا يتوهم تواطؤهم على الكذب.

**الثانى**: خبر الواحد.

**الثالث**: المشهور.

**الرابع**: المتفق عليه عند العلماء.

ويشترط فى الخبر أربعة:

الإسلام.. والعدالة.. والعقل.. والضبط والنسخ بوجوه، وهى أربعة:

الأول: نسخ الحكم والتلاوة. والثانى: نسخه دون التلاوة.

والثالث: نسخه دون الحكم. والرابع: نسخ وصف الحكم.

**والحكم له أربع مراتب:**

**الأولى**: الورع الذى يشترط فى عدالة الشهادة.

**الثانية**: ورع الصالحين، وهو التوقى من الشبهات التى فيها الاحتمالات، كما جاء فى الحديث: «دع ما يريبك إلا ما لا

يريبك»[١].. وقيل: «الإثم جواز القلوب».

**الثالثة:** ورع المتميز، وهو ترك الحلال المحض الذى يخاف منه، كما جاء في الحديث: «لا يكون الرجل متميزًا حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس»[٢].

**الرابعة:** ورع الصديقين، وهو الإعراض عما سوى الله تعالى، خوفًا من صرف ساعة من العمر، فيما لا يفيد زيادة قرب عند الله تعالى.

**مراتب الخواطر:**

قال فى العوارف: الخواطر أربعة:

الأول: خاطر من النفس.. والثاني: خاطر من الحق.. والثالث: خاطر من الشيطان.. والرابع: خاطر من الملك.

وقال (رحمه الله) فى موضع آخر، الخواطر أربعة، لا خامس لها:

الأول: ضعف اليقين.

والثانى: قلة معرفة صفات النفس وأخلاقها.

والثالث: متابعة الهوى.

والرابع: محبة الدنيا (جاهها ومالها) وطلب الرفعة والمنزلة عند الناس.

**أحوال العلم مع العلماء:**

لما كان فى المال أربعة أحوال للإنسان: حال استفادة فيكون

---

(١) عن الحسن بن على، رضى الله عنهما، قال رسول الله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، وإن الكذب ريبة»، سنن الترمذى.

(٢) عن عطية السعدى، وكان من أصحاب النبى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرًا لما به البأس»، سنن ابن ماجه.

مكتسبًا.. وحال ادخار لما اكتسبه، فيكون به غنيًا عن السؤال.. وحال إنفاق على نفسه، فيكون به منتفعًا.. وحال بذله لغيره، فيكون به سخيًا متفضلاً، وذلك أشرف أحواله.

كذلك **العلم** يقتنى كالمال: فله حال طلب واكتساب.. وحال تحصيل يغني عن السؤال.. وحال استبصار وهو التفكر في المحصل والتمتع به.. وحال تبصير وهو أشرف الأحوال.

وقال بعض العلماء: الرجال أربعة:

- **رجل يدرى، ولا يدرى أنه يدرى.. فذلك نائم فأيقظوه.**
- **ورجل يدرى، ويدرى أنه يدرى.. فذلك عالم فاتبعوه.**
- **ورجل لا يدرى، ويدرى أنه لا يدرى.. فذلك مسترشد فعلموه.**
- **ورجل لا يدرى، ولا يدرى أنه لا يدرى، فذلك جاهل فارفضوه.**

عجبت بمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشترى دنياه بالدين أعجب

وعن النبى ﷺ: «إن العالم ليعذب عذابًا لا يطيق به أهل النار استعظامًا لشدة عذابه»[1]، أراد به العالم الفاجر.

وقال أسامة بن زيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يؤتى بالعالم يوم القيامة فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان، ما لك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، كنت آمر بالخير ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه»[2].. لذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

---

(١) لم نجده.

(٢) عن أسامة بن زيد، صحيح مسلم، حديث رقم ٥٣٠٥.

كذا فى إحياء علوم الدين للغزالى، رحمه الله: وردت فى مراتب العلم، آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وقال تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٣]، ومن قصد الله بالعلم (أى علم) كان نفعه ورفعه لا محالة.

والمراد من المراتب والدرجات، والسر والحكمة فيها: كى يؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره.

**وأما آثار العلم فأربعة:**

**الأولى:** فى حق علماء السوء.. ونعنى بهم العلماء الذين قصدهم بالعلم التنعم فى الدنيا، والتوصل إلى الجاه والمنزلة عند الخلق.

جاء فى الحديث: «إن أشد الناس عذابًا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه»(١).. وقال: «لا يكون المرء عالمًا حتى يكون بعلمه عاملاً»(٢).

وعن عمر، رضى الله عنه: «أخوف ما أخاف على أمتى كل منافق عليم اللسان»(٣).

وإننا نرى بعض العلماء فى زماننا يدعو الظالم ويمدحه ويثنى عليه ويصدق مقاله، فذلك ممنوع عند الشرع.. قال رسول الله ﷺ: «من دعا

---

(١) رواه البيهقى فى شعب الإيمان عن أبى هريرة مرفوعًا، باب فى نشر العلم ٢٨٤/٢، ٢٨٥، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، لسنة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، بتحقيق أبى هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول.

(٢) أخرجه الدارمى فى سننه عن أبى الدرداء موقوفًا، بلفظ: «ولا تكون بالعلم عالمًا، حتى تكون به عاملاً».
سنن الدارمى (١/ ١٠٠)، طبعة دار الكتاب العربى.

(٣) مسند أحمد برواية عمر، رضى الله عنه.

لظالم بالبقاء، فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه»[١]، و«إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق والظالم»[٢].

وفى خبر آخر: «من أكرم فاسقًا فقد أعان على هدم الإسلام، ومن أعان على المعصية بالتزكية والثناء فهو شريك لفاعلها»[٣].

وقال صاحب الإحياء: المعاملة مع قضاة زماننا حرام.. وبالجملة إنما فسدة الرعية بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العلماء.. ولولا القضاة السوء، والعلماء السوء، لقل فساد الملوك خوفًا من إنكارهم.

وتقبيل يد الظالم، وسائر الأعمال، فغير جائز إلا عند خوف، أو لإمام عادل، أو لعالم، أو لمن يستحق ذلك (لا لدنية) فذلك أربعة.

ولا يجوز الجلوس على بساطهم، والأكل من طعامهم؛ لأن جميع ما فى أيديهم حرام، والسكوت على ذلك غير جائز، فيجب عليه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

**الثانية**: تفاوت العلماء فى المراتب، فتتصاعد درجات السعداء، بحسب تفاوت المعرفة والإيمان، كما تتفاوت درجات الأغنياء، بحسب قلة المال وكثرته.

وبعض السعادات أشرف من بعض، وكما أنه لا غنى إلا بالمال الكثير، لا بالدرهم القليل، كذلك العلماء.. قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وفسر ابن عباس، رضى الله عنه، هذه الآية: برفع العالم فوق المؤمن بسبعمائة

---

(١) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٩٤٣٢)، من قول الحسن البصرى.

(٢) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٤٨٨٥)، من حديث أنس مرفوعًا.

(٣) ذكره العجلونى فى كشف الخفاء (٢٤٧٤)، فى أثناء كلامه على حديث: «من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام» قال: أورده الغزالى، بلفظ: «من أكرم فاسقًا بدل من وقر صاحب بدعة».

درجة، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض.

وعن النبى ﷺ: «أكثر أهل الجنة البله، وعليون لذوى الألباب، وفضل العالم على العابد، كفضل القمر على سائر الكواكب»[١].

**الثالثة:** أهل العلم والمغترون منهم فرق كثيرة.. فمنهم فرقة أحكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها، وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصى، واغتروا بعلمهم، وظنوا أنهم عند الله بمكان، وظنوا أنهم لا يعذبون لكرامة علمهم.. وهم مغرورون، و لم يعلموا أن العلم مثل الدواء، يداوى به حذاق الأطباء القلوب.

فهكذا الفقية الذى أحكم علم الطاعات و لم يعملها، وأحكم علم المعاصى و لم يجتنبها، وأحكم علم الأخلاق المذمومة، وما زكى نفسه منها، فهو مغرور، إذا قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩]، و لم يقل: قد أفلح من تعلم كيفية تزكيتها وكتب علمها وعلمها الناس.. وعند هذا يلقى الشيطان فى قلبه أنواع المكائد والوساوس، ويتلو عليه الآيات والأخبار الواردة فى فضائل العلم.. فإن كان المسكن مفتونًا مغرورًا، وافق ذلك هواه وأهمل العمل.. وإن كان كيسًا فيقول للشيطان: أتذكر فضائل العلم، وتنسينى ما ورد فى العالم الفاجر، الذى لا يعمل بعلمه كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥].

كما يفهم من أحاديث النبى ﷺ، أن شر الناس: العلماء السوء.

**الرابعة:** أحكموا العلم والعمل، فواظبوا على الطاعات الظاهرة، وتركوا المعاصى، إلا أنهم لم يتفقدوا قلوبهم، ليمحوا عنها الصفات المذمومة عند الله تعالى: من الكبر، والحسد، والرياء، وطلب الرياسة

(١) عن أبى الدرداء، سنن الترمذى.

والعلو، وإرادة السوء للأقران، وطلب الدنيا، وجلب الأموال من النفقة وغيرها.. ولم يتفكر قوله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم إنما ينظر إلى قلوبكم، وأشار بأصابعه إلى صدره»(١)، والقلب هو الأصل، فلا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم.

**مراتب العلماء:**

إن فرق العلماء والمشايخ كثيرة لا يحصى عددهم، ومع كثرة فرقهم ترتقى إلى أربعين فرقة:

– **منهم** من يدخل على السلطان، أو إلى بعض أعوان السلطان وخدامه، ويتودد إليهم ويثنى عليهم، إنما ذلك لأجل الطمع فى مالهم.. فأما أنت: فغرضك أن تنتفع للمسلمين، وتدفع الضرر عنهم، وتدفع شر أعدائك عن نفسك.

• **وفرقة أخرى** تأخذ من مال السلطان، وتقول له نفسه عند ذلك: هذا المال ليس للسلطان، وهو لمصالح المسلمين، وأنت إمامهم تستحق ذلك، أفلا يجوز أن تأخذ قدر حاجتك؟ فيغتر بهذا التلبيس.

• **وفريق آخر**: أحكموا العلوم، وطهروا الجوارح، وزينوها بالطاعات، ولكنهم مغرورون إذ بقيت فى زوايا القلب من خفايا مكائد الشيطان، وخفايا خداع ما دق إدراكه، فيغتر بإصلاح ظاهره بزعمه.

• **وفريق آخر**: يسهر ليله ونهاره فى جمع العلوم وترتيبها، ولعلّ باعثه الخفى هو طلب الذكر، وانتشار الصيت فى أطراف البلاد، وكثرة الرحلة إليه فى أنحائها، والثناء والمدح من الناس عليه، ويريد انتشار الزهد والورع فى حقه، والاجتماع حوله، والتلذذ بحسن الإصغاء عند حسن اللفظ، والتمتع بتحريك الرءوس، على كلامه، والفرح بكثرة الأصحاب، والسرور بالتخصيص بهذه الخاصية بين سائر الأقران، لا عن

(١) عن أبى هريرة، رضى الله عنه، صحيح مسلم، حديث رقم (٤٦٥٠).

تبجح بمعصية الدين واعتداد بالتخصيص.. ولعل هذا المسكين المغرور قد تكون حياته فى المعاصى بما انتظم له من أمر وإمارة، وعز وانقياد، وتوفير وحسن ثناء، فهو لا يعلم أن هذه الأفعال من مكائد الشيطان.

● **وفريق آخر**: فلعل ذلك لتقدم فى الفضل والورع على أقرانه بالرياسة، ولعلهم يستفيدون منه ويرغبون في العمل معه، وهو يظن أن قبولهم له لإخلاصه وصدقة، ومرتبته عند الله تعالى، ومنزلته عند العلماء والمشايخ بحق علمه.. فيحمد على ما جرى على لسانه من المنافع للناس.

● **وفريق آخر**: يفرح إن كان أتباعه أكثر، وإن علم أن غيره أحق بكثرة الأتباع، ثم إذا تفرقوا واشتغلوا بالإفادة، تغاير وتحاسد.. ولعل من يختلف إلى واحد منهم إذا انقطع عنه إلى غيره، ثقل على قلبه، ووجد فى نفسه نفرة منه.

● **وفريق آخر**: يعرف عيوب نفسه، ويسوؤه ذلك ويكرهه، ويحرص على إصلاحه.. فإذا أراد الله بعبد خيرًا بصره بعيوب نفسه، ومن سرته حسناته، وساءته سيئاته فهو مرجو الحال، وأمره أقرب من المعذور المزكى لنفسه.

● **وفريق آخر**: يستعيذ فى أكثر الأحوال فيقول: نعوذ بالله من الغفلة والاغترار، ومن المعرفة بخفايا العيوب مع الإهمال.

● **وفريق آخر**: قنع فى اللباس وفى العلوم بما لا يهمه، وترك المهم، وهو به مغرور.

● **وفريق آخر**: اقتصروا على علم الفتاوى فى المعاملات الجارية بين الخلق بمصالح المعاش، وسموه علم المذاهب، وربما ضيقوا مع ذلك الأعمال الظاهرة والباطنة، ولم يتفقدوا الجوارح، ولم يحرسوا اللسان والبطن عن الغيبة والحرام، والرجل عن المشى إلى السلاطين والقضاة، والقلب عن الرياسة، والكبر، والحسد، والرياء.. وأما بزعمه: يظن أنه يراد منه ذلك كله.

• **وفريق آخر**: منهم من تفقه، و لم يعلم ذلك المسكين الفقيه: أنه قد تسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد، وسائر المهلكات الباطنة.. وربما يتلقى الموت قبل التوبة، فيلقى الله عزَّ وجلَّ وهو عليه غضبان.

• **وفريق آخر**: منهم من ترك إصلاح أحوال القلب من المهلكات، واشتغل بعلم الدعاوى والديَّات، وسائر المعاملات، وهو لا يحتاج إلى شيء من ذلك قط فى عمره، إذ يظن المغرور بنفسه: أنه مشغول بإصلاح دينه، ولا يدرى أن الاشتغال بفرض الكفاية، قبل الفراغ من فرض العين معصية.. فهذا غروره من حيث العمل، وترك علم تهذيب الأخلاق، وترك العظة عن الله، بإدراك جلاله وعظمته، وهو العلم الذى يورث الخوف والهيبة والخشوع.

• **وفريق آخر**: منهم من اقتصر فى علم الفقه على الخلافات، و لم يهمه إلا تعلم طريق المجاهدة فى المجادلة والإلزام وإفحام الخصوم.. وهو طول الليل والنهار فى التفتيش والتفقد بعيوب الناس من الأقران، والاشتغال بما ليس من فروض الكفاية.. وهذا أيضًا ممنوع بالنص.

• **وفريق آخر**: اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة فى الأهواء، والرد على المخالفين، وتفرقوا فى ذلك فرقًا كثيرة، لو ذكرناها لطال الكتاب، ومن أراد تفاصيلها فعليه بمطالعة إحياء العلوم للغزالى، يجده فى كتاب عجائب القلب.

• **وفريق آخر**: اشتغلوا بالوعظ، وأعلاهم رتبة من تكلم فى أخلاق النفس، وصفات القلب: من الخوف، والرجاء، والصبر، والتوكل، والزهد، واليقين، والإخلاص، وسائر المنجيات.. وهم مغرورون؛ لأنهم يظنون بأنفسهم إذا تكلموا بهذه الصفات، فقد صاروا موصوفين بها، وهم منفكون عنها عند الله تعالى.. وغرور هؤلاء أشد الغرور؛ لأنهم معجبون بأنفسهم غاية الإعجاب.

• **وفريق آخر**: يظنون أنهم ما تبحروا فى علم المحبة، إلا وهم محبون لله، وما قدروا على تحقيق دقائق الإخلاص، إلا وهم مخلصون.. فالمسكين بهذه الظنون يرى أنه من الخائفين وهو من أمن مكر الله تعالى، ويرى أنه من الراجين وهو من المغترين.

• **وفريق آخر**: منهم من يرى أنه من المخلصين والمتوكلين، وهو من المرائين، بل يصف الإخلاص ويترك الإخلاص، ويصف الزهد فى الدنيا مع شدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها.

• **وفريق آخر**: منهم من لو ظهر من أقرانه من أقبل الخلق عليه، وصلحوا على يديه، لمات غمًا وحسدًا.. ولو أثنى أحد من المترددين إليه على أقرانه، لكان أبغض خلق الله إليه.. فهو أعظم الناس عزة، وأبعدهم عن السداد، فهذا غاية حال الوعاظ الذين لا عيب فى كلامهم.

• **وفريق آخر**: عدلوا عن المنهاج الواجب فى الوعظ، وهم وعاظ أهل الزمان كافة، إلا من عصمه الله تعالى، واشتغلوا بالطامات والشطح، وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع طالبًا للفت الأنظار.

• **وفريق آخر**: اشتغلوا بعبارات النكتة، وتهذيب الألفاظ وتلفيقها.. فهؤلاء شياطين الإنس، ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل، فإن الأولين إن لم يصلحوا أنفسهم، فقد أصلحوا غيرهم وصححوا وعظهم.. أما هؤلاء فإنهم يصدون عن سبيل الله، ويجرون الخلق إلى الغرور بالله بلفظ الرجاء، فيزيد كلامهم جرأة على المعاصى.

• **وفريق آخر**: قنعوا بحفظ كلام عن الزهاد، وفى ذم الدنيا.. فبعضهم يفعل ذلك فى المنابر والكرسى، وبعضهم فى البيوت والأسواق، ويظن أنه قد أفلح ونال الغرض، وصار مغفورًا له من عذاب الله تعالى، من غير أن يحفظ ظاهره وباطنه عن الآثام.. وغرور هؤلاء أظهر من غرور من قبلهم.

● **وفريق آخر**: استغرقوا أوقاتهم فى علم الأحاديث، وطلب الأسانيد الغريبة، فهمة أحدهم أن يدور فى البلاد، ويرى العلماء، ليقول: أنا عالم علم الحديث، وأحفظ أسانيد الأحاديث وأعرف مراتب الروايات، ولم يعلم أنه كحملة الأسفار؛ لأنه لا يصرف العناية إلى فهم معانى السنة، فعلمه قاصر، وليس معه إلا النقل، ويظن أن ذلك يكفيه.

● **وفريق آخر**: اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر، واغتروا به، وزعموا أنهم من علماء الأمة، إذ قوام الدين بالكتاب والسنة، وقوام الكتاب والسنة بعلم النحو واللغة، فأفنى هؤلاء أعمارهم فى دقائق النحويين، وهم مغرورون بإهمال ما هو أهم مقاصدهم، وهو تصفية القلب، وتزكية النفس، وخدمة الشيخ الكامل العالم العامل.

## أنواع الغرور فى العبادة والعمل:

اعلم أن أرباب العبادة والعمل يدخلهم الغرور من نواحى متعددة: منهم من غروره فى الصلاة.. ومنهم من غروره فى الحج والتوكل.. ومنهم من غروره فى الغزو، ومنهم من غروره فى الزهد، وليس خاليا عن الغرور إلا الأكياس.

**أما من غروره فى الصلاة**: فمنهم فرقة أهملوا الفرائض واشتغلوا بالفضائل والنوافل، وربما تعمقوا فى الفضائل حتى خرجوا إلى العدوان والسرف.. ومن هؤلاء من يخرج عليه الوسوسة فى نية الصلاة، ولا يحضرون قلوبهم، ولا يقضون الغائبة من الصلاة، ومع ذلك يشتغلون بالنوافل فى الصلاة ولا يتركونها، ولم يفهموا أن أداء الفرائض أفضل وأكد من النوافل.

● **وفريق آخر**: منهم من اغتر بقراءة القرآن، ولا يفهم معانى القرآن.. ومثاله عبد كتب إليه مالكه كتابًا، وأشار فيه إليه بالأوامر والنواهى، فلم يصرف عنايته إلى فهمه والعمل به، ولكن اقتصر على

حفظه، وقراءته كل يوم مائة مرة، فهو مستحق للعقوبة، وهو مغرور بترك العمل، وعدم تفقده لمضمون الكتاب، وهو العمل بما فيه من الأمر والنهى.

**بالنسبة للغرور فى الحج:** فهم يخرجون إلى الحج من غير خروج عن المظالم، وأداء الدين، واسترضاء الوالدين، وطلب الزاد الحلال، ويضيعون فى الطريق الصلاة وسائر الفرائض، وربما جمع بعضهم الحرام وأنفقه على الرفقاء فى الطريق، وهو يطلب به السمعة والرياء.. وبذلك فهو يعصى الله تعالى بكسب الحرام، ثم إنفاقه على وجه الرياء، ثم يحضر البيت بقلب ملوث برذائل الأخلاق وذميم الصفات، وهو مع ذلك يظن أنه على خير من ربه، فهو مغرور تابع برأيه لا بالكتاب.

**بالنسبة للغرور فى الصيام:** فمنهم من اغتر بالصوم، وربما صام الدهر، أو صام الأيام الشريفة، وهو فيها لا يحفظ لسانه من الغيبة، وخواطره من الرياء، وبطنه من الحرام عند الإفطار، ولسانه من الهذيان.. وهو يظن بنفسه الخير، ويهمل الفرض، ويطلب النفل، وذلك غاية الغرور.

**الغرور فى ادِّعاء الزهد:** هناك البعض زهد فى الدنيا، وقنع من اللباس والطعام بالدون، وظنَّ أنه أدرك رتبة الزهاد.. وهو مع ذلك راغب فى الرياسة والجاه، إما بالعلم أو بالوعظ، أو بمجرد الزهد.. فقد ترك أهون الأمرين، وبادر بأعظم المهلكين، وهذا مغرور إذ ظن أنه من الزهاد فى الدنيا، فهو لم يفهم معنى الدنيا، ولم يدر أن منتهى لذاتها الرياسة، وأن الراغب فيها لابد أن يكون منافقًا، وحسودًا، ومتكبرًا، ومرائيًا.

● **ومنهم فريق آخر:** يهتم البعض بترك الرئاسة، ويؤثر الخلوة والعزلة.. وهو مغرور، إذ يتطاول بذلك على الأغنياء، ويخشى الكلام

معهم، وينظر إليهم بعين الاحتقار، ويعجب بعمله، رغم أنه يتصف بجملة خبائث القلوب وهو لا يدرى.. وربما يعطى المال، فلا يأخذ من بعض، ويأخذ من آخر (من تبعه من المريدين) خيفة أن يقال بطل زهده.

● **وفريق آخر**: منهم من هو راغب فى حمد الناس، وهو من ألذ أبواب الدنيا، ويرى نفسه أنه زاهد فى الدنيا.. وهو مع ذلك مغرور، فهو لا يخلو عن توقير الأغنياء، وتقديمهم على الفقراء، والميل إلى المريدين له.. وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان.

● **وفريق آخر**: بعض العباد يشدد على نفسه فى أعمال الجوارح، حتى يصلى فى اليوم والليلة مثلا ألف ركعة، أو مائة ركعة، ويختم القرآن.. وهو فى جميع ذلك كله لا يخطر له فراغ القلب وتطهيره من الرياء والكبر والعجب، وسائر المهلكات، فهو لا يدرى أن ذلك مهلك.

● **وفريق آخر**: منهم من يظن أن العبادة الظاهرة يترجح بها كفة حسناته.. وهيهات هيهات.. فذرة من ذى تقوى، وخلق واحد من أخلاق الأكياس، أفضل من أمثال الجبال عملاً بالجوارح.. ثم لا يخلو هذا المغرور مع الناس من سوء خلقه وخشونته، وتلوث باطنه بالرياء وحب الثناء، فإذا قيل له: أنت من أوتاد الأرض، وأولياء الله وأحبائه، فرح المغرور وصدق به، وزاده ذلك غرورًا.

● **وفريق آخر**: يظن أن تزكية الناس له دليل على كونه مرضيًا عند الله تعالى، ولا يدرى أن ذلك بجهل الناس بخبائث باطنه.

● **وفريق آخر**: حرص على النوافل، ولم يعظم اعتدادها بالفرائض.. تراه يفرح بصلاة الضحى، وصلاة الليل، ولا يجد للفريضة لذة، ولا يشتد حرصه على المبادرة بها أول الوقت، وينسى قول رسول الله ﷺ

عن رب العزة: «ما تقرب المتقربون إلى، بمثل أداء ما افترضت عليهم»[1]، ونظائر ذلك أكثر من أن يحصى.

## مظاهر الغرور فى متصوفة هذا الزمان:

اعلم أن متصوفة هذا الزمان غلب الغرور عليهم، والمغترون منهم فرق كثيرة إلا من عصمه الله تعالى:

– **فرقة** منهم اغتروا بالزى والمنطق والهيئة، فساعدوا الصادقين من الصوفية فى زيهم وهيئاتهم وفى ألفاظهم وآدابهم، وأحوالهم الظاهرة فى السماع والرقص والطهارة والصلاة، والجلوس على السجادة مع إطراق الرأس.. إلى غير ذلك من الشمائل والهيئات.

– **وفرقة أخرى** لم يتعبوا أنفسهم قط فى المجاهدات والرياضات، ومراقبة القلب، وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية، وكل ذلك من أوائل حال الصوفية.. وهذه الفرقة لم يتعهدوا هذه الخصال المحمودة، ولم يتعبوا ذواتهم وأنفسهم بها، بل يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين، ويأكلون طعام الظلمة، ويتحاسدون على النقير والقطمير، ويمزق بعضهم أعراض بعض، وهؤلاء غرورهم ظاهر.

– **وفرقة أخرى**: زادت على هؤلاء فى الغرور، بلبس المرقعات النفيسة، والكتب **المصبوغة**، فهؤلاء أظهر حماقة من المغرورين، فإنهم يتنعمون بنفيس الثياب ولذيذ الأطعمة، ويطلبون رغد العيش، ويأكلون أموال السلاطين، ولا يجتنبون المعاصى الظاهرة، فضلا عن الباطنة، ومع ذلك يظنون بأنفسهم الخير.

وشر هذه الطائفة مما يتوارى عن الخلق، إذ يهلك من يقتدى بهم،

---

(١) أخرجه البخارى(٦٥٠٢)، ٨١ – كتاب الرقاق، ٣٨- باب التواضع من حديث أبى هريرة مرفوعًا، وأوله: «إن الله قال: من عادى لى وليا»، وفيه: «ما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضه عليه».

ومن لا يقتدى بهم يشكك فى عقيدتهم من أهل التصوف كافة، ويظن أن جميعهم كانوا من جنسه، فيطول اللسان فى الصادقين منهم، قياسا على الفاسدين.

– **وفرقة أخرى**: ادَّعت علم المعرفة ومشاهدة الحق، ومحاورة المقامات والأحوال والوصول إلى القرب.. ولا يعرف هذه الأمور إلا بالأسامى والألفاظ، ويردد علىاللسان هذه الكلمات، حتى يظنوه على درجة عليا فى علم الأولين والاخرين.

وهو ينظر إلى المفسرين والمحدثين والفقهاء بعين الإزدراء والحقارة، حتى أن الفلاح ليترك فلاحته، والحائك يترك حياكته، ويلازمه أيامًا معدودة، ويتلقف منهم تلك الكلمات المزخرفات، يرددها كأنه يتكلم فى الوحى، ويخبر عن سر الأسرار، ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء.

– **وفريق آخر**: يقولون إن العلماء محجوبون فى الحديث عن الله تعالى، ويدعى لنفسه أنه الواصل إلىالحق، وأنه من المقربين، وهو عند الله من الفجار المنافقين، وعند أرباب القلوب من الحمقى الجاهلين، ولم يحكم قط علمًا، ولم يهذب خلقًا، ولم يرتب علمًا، ولم يراقب قلبًا سوى اتباع الهوى.

– **وفرقة أخرى**: وقعت فى الإباحة، ورفضوا الفصل بين الحلال والحرام، وبعضهم يزعم أن الله مستغنى عن علمى، فلم أتعب نفسى، وبعضهم يقول: قد كلف الناس، بتطهير القلب عن الشهوات وعن حب الدنيا.. وذلك محال، وإنما يفتريه من لم يجرب، وأما نحن فقد جربنا، وأدركنا أن ذلك محال، ولا يعلم الأحمق أن الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والغضب فى أصلهما، بل تأديبهما بحيث ينقادا لحكم العقل والشرع.

– **وفريق آخر**: يقول الأعمال بالجوارح لا وزن لها، وإنما النظر إلى

القلوب، وقلوبنا والهة بحب الله، وواصلة إلى معرفة الله، وإنما نخوض الدنيا بأبداننا، وقلوبنا فى الحضرة الربوبية، فنجنى مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب والخواطر، ويزعمون أنهم قد ترقوا عن رتبة العوام، واستغنوا عن تهذيب النفس بالأعمال البدنية.. ولم يعلموا أنهم يرفعون درجة أنفسهم عن درجة الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، حيث كانوا لو صدر منهم خطيئة واحدة، يبكون عليها سنين طوال.

## أصناف غرور أهل الإباحة:

وأصناف غرور أهل الإباحة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى.. وسبب كل ذلك لاشتغالهم بالمجاهدة قبل إحكام العلم، ومن غير اقتداء بشيخ متقن فى الدين والعلم، صالح للاقتداء، غير مرائى.. والحاصل إحصاء أصنافهم يطول:

- فمنهم فرقة: جاوزت حد هؤلاء، وأحسنت الأعمال، وطلبت الحلال، واشتغلت بتفقه القلب، وصار أحدهم يدعى المقامات فى الزهد والتوكل والرضا، من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلامتها وآفاتها.

- ومنهم من يدعى الوجد والحب قبل معرفته وقبل أوانه، ويترك بعض الأمور حياءً من الخلق، ولو أحب حقًا، لما ترك حياء من الله تعالى.. وكل ذلك يناقض الحب.

- ومنهم من أجَّل أمر الحلال فى مطعمه ومشربه وملبسه ومسكنه، ولا يدرى المسكين أن الله لم يرض بطلب الحلال فقط، ولا يرضى بسائر الأعمال دون طلب الحلال، بل لا يرضيه إلا تفقد جميع الطاعات والمعاصى، فمن ظنَّ أن بعض هذه الأمور يكفيه وينجيه، فهو مغرور.

- ومن هذه الفرقة: من ادعى حسن الخلق والتواضع والسماحة، فتصدى لخدمة الصوفية، فجمع قومًا، وتكفل بخدمتهم، واتخذ ذلك

شبكة للرياسة وجمع المال، وغرضه الإرفاق، وهو غرضه الاستتباع.. ثم أنه يجمع من الحرام والشبهات، وينفق على المـردة وعلى سائر التوابع، ليكثر أتباعه وينتشر اسمه بالخدمة بين الناس.

• وبعضهم يأخذ أموال السلاطين وينفـق عليـهم، ويزعـم أن غرضـه الانفاق والإرفاق، وباعث جميعهم الرياء والسمعة وآية ذلك: إهمـالهم جميع أوامر الله تعالى عليهم، خصوصًا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ظاهرًا وباطنًا.. ورضاهم بأخذ الحرام، والإنفاق منه.. وكل ذلك يصيب السالك بها تأخر فى سلوكه بسبب حمقه وقلة عقله، كما روى عن أبى الدرداء، رضى الله عنه: «أنه قيل يـا رسـول الله! أرأيـت الرجـل يصـوم النهار، ويقوم الليل، ويحج ويعتمر ويتصدق، ويغزو فى سبيل الله، ويعود المريض، ويشيع الجنازة، ويعين الضعيف، ما يعلـم منزلتـه عنـد الله تعـالى يوم القيامة، فقال رسول الله ﷺ: إنما يجزى على قدر عقله»[1].

وقال أنـس، رضـى الله عنـه: «أثنـى علـى رجـل عنـد رسـول الله ﷺ فقالوا: خيرًا، فقال الرسول الأكرم ﷺ: كيـف عقلـه؟ قـالوا: نقـول مـن عبادته وفضله وخلقه، فقال ﷺ: كيف عقله؟ فإن الأحمق يصيب بحمقـه أعظم من فجور الفاجر، وإنما يقرب الناس على قدر عقولهم»[2].

وأصناف غرور أهل العلم فـى هـذه الأعصـار لا تحصـى، وأعدادهـم خارجة عن الحصر.. وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير، ومـا ذكـر فى هذا المختصر كفاية لك ومقنع إن شاء الله تعالى.

---

(١) لم نجده، والذى وجدناه من حديث ابن عمر بلفظ مقارب وهـو: «إن الرجـل ليكون من أهل الجهاد، ومن أهل الصلاة والصيام، وممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وما يجزى يوم القيامة أجره إلا على قدر عقله».
أخرجه الخطيب فى تاريخه (١٣/٧٩، ٨٠)، مرفوعًا، ونقل الخطيب عن ابن معـين قوله: هذا حديث باطل.

(٢) ذكره القارى فى كتاب: «المصنوع فى معرفة الحديث الموضـوع»، رقـم (٤٥٦)، ص (٢٥٦).

**خاتمة الخاتمة:**

في حكم سب العلماء ومستخفيهم ومنتقضيهم بالعيب وبالتعريض في حقهم، وهم على أربعة أقسام:

**الأول:** وقع عن قصد، وهذا يوجب الكفر باتفاق الأئمة.

**والثاني:** لا عن قصد، بل وقع سهوًا، وذلك معفو عنه، وحكمه التعزير عند المشايخ.

**والثالث:** ما وقع بطريق التشبيه والتشبه بالفقه، وغيرهم من العوام الخرفة.. وهذا حكمه: ضيف على قائله الكفر، وإن وقع التشبيه والتشبه بالكفار حكمه الكفر لاستهزائه بالدين.

**والرابع:** صدر لا عن قصد، ولكن وقع بسبب جهله وحمقه، وهذا يوجب التعزير بالضرب الشديد.. وبالإصرار في الكل يكفر، كما نشرحه فيما يلي:

قال في الخلاصة: من نقض عالمًا خيف عليه الكفر، ولو سأل عالمًا بطريق الاستهزاء في جماعة، وهم يضحكون، يكفرون جميعًا.. والتشبيه بالعلماء إلى الأدنى والأراذل والفساق كفر على طريق السحر كذلك.. أو قال رجل: «من يقدر على أداء ما يقولون».. أو ألقى الفتوى على الأرض يكفر.. أو قال لعالم أو فقيه، أي لفظ استهزاء بالعلماء في أدب الخطاب، أو دعاه باسمه فقط استحقارًا وإهانة له يكفر القائل والمستمع إذا سكت على ذلك؛ لأن الاستخفاف والاستحقار بالعلماء كفر عند جميع العلماء.. أو قال فعل عالم فعل كافر يكفر.

وقيل: تقبيل يد العلماء جائز ليس بكفر.. ومن غير العلماء خيف عليه الكفر.

**وداع ودعاء من كاتب المخطوط:**

لقد حررنا هذه الرسالة لما رأيت أكثر عصرنا من العلماء من أرباب

السلوك حاليًا يعانون من قصور فى علم المراتب.. وقد حررتها علي نهج الأصول والمراتب، بطريق الاختصار، احترازًا من التطويل، وتحصيلا للمرام فى علم التأويل، وهو المطلوب من المراتب فى التثليث والتربيع والتخميس، وقد وجدت مفروغًا منها فى كتب العلماء من المتأخرين، وقد كنت متخصصًا بين الأقران فى هذه الأعصار فى تحرير المراتب التربيعية على لسان العلماء الجامعين بين العلم والمعرفة، كما سبق بقرائنه فى صدر الكتاب، فى مواضع متعددة، ما سبقنى فى هذا الفن سابق.

وهذا القدر التى حررت فى هذه الرسالة، تحته أسرار التربيع مندرجة، ورموزنا مكنونة فيه ومنشورة على طريق الحصر والإيجاز.. والعارف تكفيه الإشارة كما قيل.. وكم من عاقل كيس ينال من العلم القليل ما لا يدركه الجاهل البليد فى جميع عشر عشره.. وكذا قيل: يفهم الفاهم بشاهد ما لا يفهم البليد بألف شاهد.. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

فعليك أيها الطالب الصدق بالمطالعة بهذا الوجيز، وتأمل تأمل منصف غير متعسف حسود، لتصل إلى غرائب الأصول فى التربيع، وأن تعلم أنى ما كتبت لك ما فى هذا المسطور واهبا ناصحا، بل مستفيدًا طالبا، ومقصودى من هذه السطور عرض الحال على ذوى الفهم الذكى.

وأسأل الله التوفيق لى ولسائر الطالبين، والصون عن الأغيار.. فانظر يا أخى بالإنصاف، وتأمل بقلب صاف ويقين ثابت.

والسلام علىَّ وعلى جميع أهل الله تعالى وخاصته، ورحمة الله وبركاته.

وقد أتممت هذه الرسالة التربيعية فى شهر شعبان يوم الثلاثاء سنة إحدى وخمسين وألف.. وتيسر الختم بحمد الله تعالى وكرمه، وله المنة

فى ذلك.. والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله وصحبه وسلم.. وبارك على عدد المخلوقات فى الأرض والسماوات.. اللهم ارض عنا وعن والدينا، وعن أساتذتنا، وعن جميع المؤمنين والمؤمنات، بحرمة أشرف الموجودات، عليه أكمل الصلوات وأفضل التسليمات.

## كلمة مسجل المخطوط:

وافق الفراغ من إعادة كتابته كمخطوط يحفظ فى مكتبة السلمانية باستانبول بتركيا، فى اليوم الثانى من شهر صفر لسنة إحدى وستين بعد الألف على يد أضعف عباد الله الملك الرزاق «الحاج مصطفى بن طوارق» غفر الله له ولكل المسلمين والمسلمات أجمعين.. ونقلت من نسخة كتبت بخط المؤلف بإجازة منه، وهو من العلماء الراسخين شيخ الشيوخ: الشيخ إبراهيم البثنوى ابن الشيخ على أفندى، قدس الله سره العزيز.

اللهم انفعنا من علومهم، ورضى الله عنهم، وعن سائر العالمين العاملين الواصلين إلى درجات الولاية العليا.. واحشرنا مع ذويهم بحرمة سيد الورى، وسيد الكونين، ورسول الثقلين، وشفيع من فى الدارين، وجد السبطين، مهبط جبريل الأمين، محمد حبيب الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

## عرفان ووفاء
## من محققة الكتاب

ما إن انتهيت من آخر كلمات ذلك المخطوط القيم، حتى وجدت قلبي يجيش بكل مشاعر العرفان والوفاء اللامتناهية.. وتساءلت بيني وبين نفسي: إلى من أتوجه بتلك المشاعر؟ فهي كالينبوع الذي يتفجر في اتجاهات متعددة.

• فبعضها يتوجه لصاحب المخطوط الذي كتبه عن علم ودراية لا تنبع إلى من ولي عارف بالله حق المعرفة، فهو قطب زمانه، وفقيه عصره وأوانه: الشيخ **إبراهيم البثنوي**، رضي الله عنه وأرضاه؟ فهو بحق قد أمتعنا وأفادنا بعلمه الفياض.. وإذا كان بعض ذلك العلم صعب المذاق، إلا على أولي البصائر والإبصار، إلا أنه بلا شك قد فتح أمام وجداننا نافذة ممتدة الآفاق على علم الله السرمدي الذي يغترف منه العلماء ما شاء الله لهم الاغتراف.. وقد أثبت لنا بالبرهان العملي كيف أن القرآن معين لا ينضب يتميز بالثراء، حيث يمد العلماء بمدد لا ينقطع من كنوز المعاني على مر العصور والأجيال.

• ثم تتوجه مشاعر الامتنان هذه إلى أستاذنا العارف بالله العالم القدير فضيلة الدكتور **حسن عباس زكي**، شكرًا وتقديرًا له على سعيه الدءوب في جمع جواهر العلم من مخطوطات العلماء الأولياء في كل زمان ومكان، وإحياء ما يكاد يندثر منها، إيمانًا منه بأهمية المعرفة في صقل القلوب، وإعدادها لاستقبال تجليات الحق، على طريق المعراج النوراني.. ليس ذلك فقط، بل إنه يساعد في نشر تلك المعرفة بكل ما يملك من مقومات الحياة، فدوره في تقديم هذا المخطوط للأمة الإسلامية يشمل عدة اتجاهات:

– بذل الجهد والمال فى الحصول عليه من مكتبة استانبول بتركيا، رغم ما واجهه فى سبيل ذلك من صعوبات.

– بذل الجهد فى مساعدتى على فهم معانيه، وتوضيح ما غمض من الخط فى الكلمات، حيث يتميز الخط ببعض الصعوبة.. ولولا جهده ومثابرته وصبره على قصور فهمى، ما ظهر المخطوط فى صورته الحالية؛ لأن البحر عميق، والأمواج عالية على من كان مثلى، فهى تحتاج إلى ربّان خبير، وغواص ماهر، اعتاد على السباحة فى بحار الحب الإلهية، والغوص فى أعماقها لالتقاط جواهرها النورانية.

– بذل المال لطباعته على نفقته الخاصة، لينتفع به كل من كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

ولذلك فنحن لا نملك إلا الدعاء له بكل الحب والإخلاص: أن يجازيه الله عنا خير الجزاء، ويبارك لنا فى عمره، ولا يحرمنا مدده.

● ولا يفوتنى أن أتوجه بمشاعر الامتنان إلى فضيلة الأستاذ الدكتور **«على جمعة»** لما قدمه لنا من خدمات فى تخريج كثير من الأحاديث النبوية التى وردت فى هذا المخطوط، وما كان يمكن تخريجها بالجهود الذاتية.. فهو بحق من جنود الله الذين يسعون فى خدمة السنة الشريفة بكل ما وسعهم من جهد، وبكل ما يعمر قلوبهم من إخلاص.

فقد أسس مركزًا مستقلاً لتلك الخدمة الجليلة يسمى **«المكنز الإسلامى»** يعمل منذ خمسة عشر عامًا فى دأب لا يكل، وعزيمة لا تلين، وذلك فى تجميع الأحاديث النبوية بمختلف الروايات وتبويبها على حسب صحتها، وذلك بأساليب التقنية الحديثة.

فاللهم وفق أصحاب القلوب النيرة وسدد خطاهم فيما عقدوا عليه العزم من إزالة ما علق بالسنة الشريفة من آثار، حتى يعود إليها وجهها المشرق الوضّاء، فالسنة هى المذكرة التفصيلية لدستور القرآن العظيم،

وإعلاء شأنها معناه إحياء الدين، وفتح كنوز لا نهاية لها من أساسيات التشريع التى تلبى احتياجات المسلمين مهما تغيرت المجتمعات على مدار العوام والسنين.

● وفى النهاية أجد أن مشاعر العرفان لهؤلاء العلماء الأجلاء توجب عليَّ، وتردنى تلقائيًا إلى أن أحمد الملك الوهاب حمدًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه فهو الذى يمنح من خزائن علومه الاصطفائية لمن يشاء ويصطفى من خلقه.. فهو الحكيم الخبير الذى يؤتى الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرًا عظيمًا، ومددًا كبيرًا، تفيض به قلوب العارفين على من أراد الله لهم الهداية والفهم من الأصفياء، كل ينهل من ينابيع الحكمة حسب ما أراد الله له وقدَّر.

ونحمد المولى عزَّ وجلَّ أن اصطفانا بخير دين، ببعثة المصطفى الأمين، الذى يستمد منه كل أولياء الله الصالحين مداد كلماتهم وأنوار قلوبهم.. فهو المبعوث رحمة للعالمين، والذى أنشد فيه القائلون:

أنت مصباح كل فضل فما تصدر إلا عن ضوئك الأضواء
كل فضل فى العالمين فمن فضل النبى استعاره الفضلاء

فاللهم صل وسلم على هذا الرسول الحبيب سيدنا محمد ﷺ صلاة تكون لك رضاء، وله جزاء، ولحقه أداء.. وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأبرار، وكل من اهتدى بهديه، واتبع سنته بإحسان إلى يوم الدين، فهؤلاء بحق منارات هدى للحيارى والتائهين وكل من ضل عن السبيل.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾ [الأعراف: ٤٣].

* * *

# فهرس الكتاب

**- تعريف وتقدير:**

لأستاذنا القدير: فضيلة الدكتور/ حسن عباس زكى ............. ٥

**- تقديم من محققة الكتاب:**

نظرة عامة على المخطوط ........................... ١٣

**- تمهيد** لمؤلف المخطوط قطب زمانه وفقيه عصره وأوانه

الشيخ/ إبراهيم البثنوى ........................... ٢٥

**- مقدمة الكتاب:** فى بيان ثمرة مطالعته وهى الوصول على مراتب

أصوله، والوقوف على أنواع مراتبه وفصوله ................... ٣٣

**- الجزء الأول:** تربيع البسملة والفاتحة

وما فهم من سائر الآيات القرآنية ........................... ٤١

**- الجزء الثانى:** أسرار التربيع فى مراتب التوحيد

وفى الحرم المكى.. وفى شمائل النبى ﷺ ..................... ١٠٣

**- الجزء الثالث:** سر التربيع العلوم اللدنية فى كتب الصوفية.... ١٣٥

**- الجزء الرابع:** أسرار التربيع فى العبادات والآداب

والعادات وهذا العالم الظاهر الدنيوى ......................... ١٧٩

**الخاتمة:** فى مراتب العلم والعلماء الواقعة على أصول التربيع..... ٢٢٨

**- عرفان ووفاء من محققة الكتاب** ........................... ٢٥٢

